

من الأعمال المختارة
يوجين أونيل - ٢

مرحلة الواقعية الأولى

• وراء الأفق • أنا كريستى

ترجمة وتقديم : د. عبد الله عبد الحافظ متولى

مراجعة : د. محمد سمير عبد الحميد



سلسلة من المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

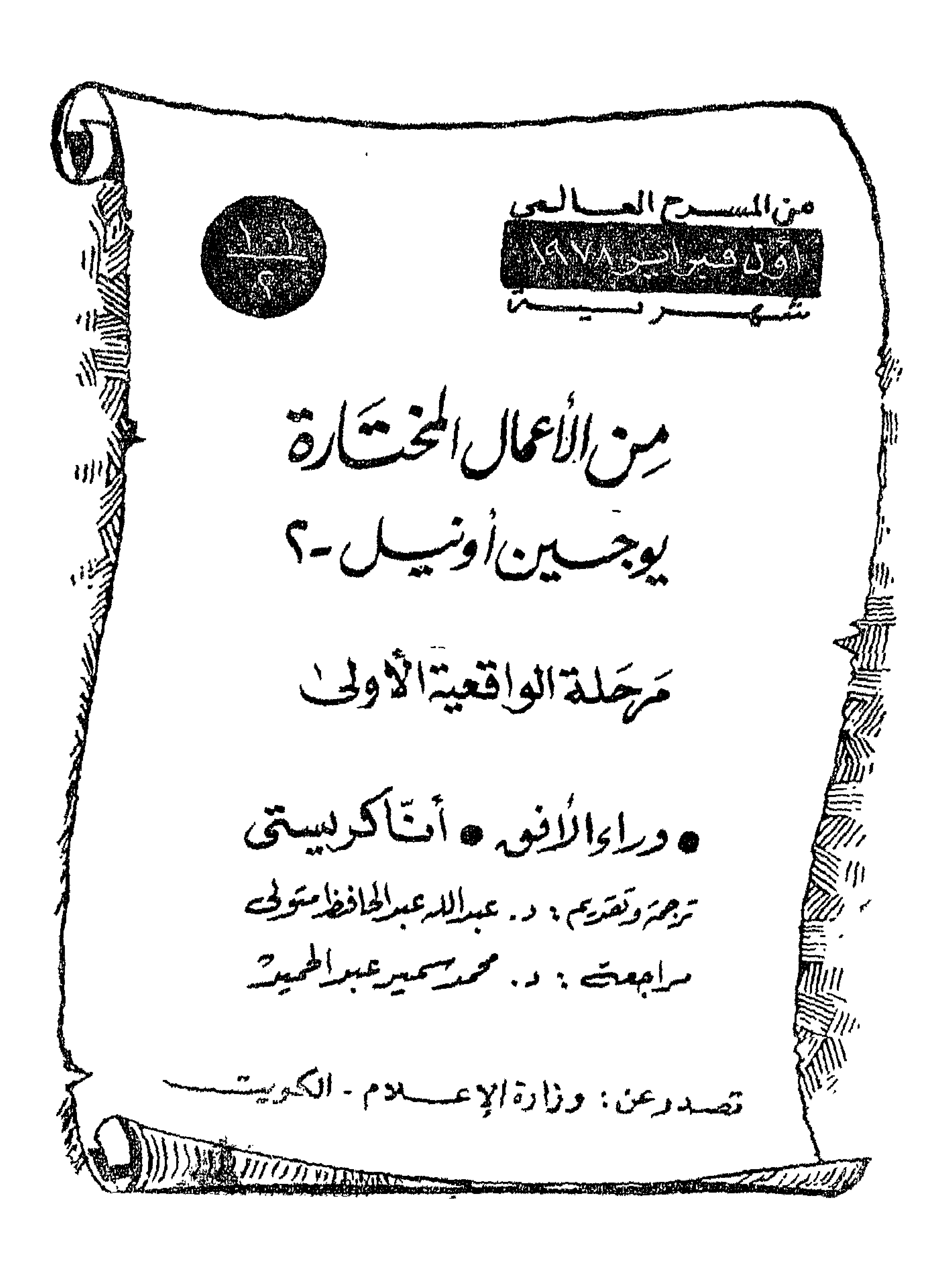
أحمد مشاري العدواني

حمد يوسف الرومي
الوكيل المساعد للشئون الفنية

د. طه محمود طه
أستاذ الأدب الإنجليزي الحديث
جامعة الكويت

المراسلات باسم :

الوكيل المساعد للشئون الفنية
وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣


من المسرح العالمي
أول فبراير ١٩٧٨
شهرية
١٠١
٢
من الأعمال المختارة
يوجين أونيل - ٢
مرحلة الواقعية الأولى
• وراء الأفق • أنا كريستي
ترجمة وتقديم : د. عبد الله عبد الحافظ متولي
مراجعة : د. محمد سمير عبد الحميد
تصدر عن : وزارة الإعلام - الكويت

مقدمة بقلم المترجم

يمقدم يوجين اونيل دخلت الدراما الامريكية المجال العالمي ، فمسرحياته تمثل على مسارح بلاد كثيرة ، كما ترجمت الى لغات عدة لما فيها من سمات الابداع والاصالة . لهذا لم يكن من المستغرب أن نرى أونيل يجرب أنماطا مسرحية شتى فهو لايرضي بلون درامي واحد ، بل كان دائم السعي وراء الابتكار والتجريب . فبعد ثورته على الميلودراما التى رآها ومجها منذ الصغر متمثلة فى والده الممثل جيمس أونيل الذى تجمد في شخصية ميلودرامية واحدة ، هى شخصية دانتيس فى مسرحية **الكونت دى مونت كريستو** لاسكندر ديما الاب ــ بعد هذا أتت مرحلة التلمذة والارهاصات الأولى عندما تصدى للمسرحية ذات الفصل الواحد التى تدور معظمها حول حياة البحر ، وفيها ظهرت بذور اتجاهات شتى نمت وترعرعت فيما بعد الى واقعية وتعبيرية ورمزية .

بعد مرحلة التلمذة وكتابة المسرحيات ذات الفصل الواحد وجد أونيل أن هذا اللون يحد من قدرته على التعبير والافاضة . وعلى حد قوله ان المسرحية ذات الفصل الواحد وسيلة ممتازة للتصدى لفكرة سامية محدودة لايمكن متابعتها فى مسرحية طويلة . على العموم لم يمض وقت طويل حتى لفت أونيل اليه الانظار بكتابة مسرحية **وراء الأفق** (١٩١٨) التى نالت نجاحا كبيرا وحازت على جائزة بوليتزر لأحسن مسرحية عرضت فى عام ١٩٢٠ .

تنقسم هذه المسرحية الى ثلاثة فصول ، كل منها ينقسم بدوره الى منظرين. وقد صمم أونيل هذه المشاهد حتى تنتقل الأحداث بانتظام بين عالم الفضاء الفسيح وما فيه من أفق وما وراءه من سحر المجهول ، وعالم المزرعة وما فيه من ضيق وانحباس وجمود . وقد اشار أونيل الى تبدل المناظر في هذه المسرحية حينما قال لآثر جيلب « أحد المناظر خارج الدار مبينا الأفق ، وموحيا بأحلام وآمال روبرت ، والمنظر الاخر داخل الدار وقد اختفى الأفق ، موحيا بما يقف حائلا ما بين الانسان وبين احلامه . وبهذه الطريقة حاولت أن أجد ايقاعا منتظما بين هذا التنقل وبين التمنى والضياع (١) » .

والمسرحية بهذا تصور عالمين مختلفين لكل منهما شخصية ترمز اليه . فروبرت واندرو على طرفي نقيض فى كل شيء . فاندرو فلاح واقعى عملى ينتمى الى المزرعة

---

(١) آرثر وباربارا جيلب : اونيل . نيويورك ــ ١٩٦٢ ص ٤١١

كما تنتمى سنبلة القمح الى الحقل ، بينما نجد روبرت مستغرقا فى عالم الشعر والخيال والاحلام . وهذا التقابل بين رجل الاعمال والشاعر موضوع طالما تردد فى مسرحيات أونيل ، حتى فى مسرحيته القصيرة **ضباب** (١٩١٤)

وعند بداية المسرحية نرى روبرت وقد عزم على الرحيل على السفينة ساندا التى يعمل عليها خاله الكابتن سكوت . وقد دفعه الى هذا حب التجول هناك وراء الأفق ـ هناك حيث سحر الشرق والانطلاق الى عالم أرحب وأجمل . الا أنه وهو على وشك الرحيل ، أو بصورة أدق ليلة رحيله تعترف له روث ، بنت الجيران، بأنها تحبه ، وتقنعه بالبقاء فى المزرعة . وتقع هذه المفاجأة وقع الصاعقة على أخيه اندرو الذى يقرر عندئذ الرحيل على نفس السفينة تهربا من الموقف الذىلايستطيع معه أن يرى حبيبة عمره روث ، حتى مع أخيه الذى كان يكن له حبا جما .

خلال السنوات الثلاث التى تلت يقع روبرت فريسة المرض والخيبة فهو لم يخلق للعمل على المزرعة التى سرعان ما تدهورت الاحوال فيها وأشرفت على الافلاس التام . وتدرك روث كذلك انها لم تكن تحب روبرت حقا فتتمثل في نفسها مشاعر الخيبة والبغض واخذت تحن لرؤية اندرو من جديد . ولكن عندما عاد هذا لزيارة قصيرة يتبين لروث أنه شفى من حبه القديم لها . ويعود أندرو الى الارجنتين ، وتزداد حالة المزرعة سوءا ويزداد حال الاسرة شقاء عندما تموت طفلتهما الوحيدة مارى .

وفى نفس الوقت نرى اندرو بعد نجاحه المبدئى تستهويه المضاربات المالية ، ويفقد معظم ما كسبه فى التجارة حتى كاد يشرف على الافلاس . فعدم التوفيق اذن لم يصادفه أيضا نتيجة سوء اختيار طريق الحياة تحت وطأة نزعة عاطفية طارئة سواء أكانت حبا أو غضبا . فاندرو ، اذن ، قد باع روحه للشيطان فكان جزاؤه الاخفاق المرير .

وما أن أشرف روبرت على الموت من السل الرئوى الذى هد كيانه عاد اندرو ومعه طبيب اخصائى . حينئذ يتوسل روبرت لاخيه بأن يتزوج روث ، ويعيد الرخاء الى المزرعة ، بينما هو يرحل بعيدا وراء الأفق ، ويفارق الحياة عندما تشرق الشمس فوق التلال البعيدة .

لقد أخذ أونيل فكرة هذه المسرحية من قصة بحار نرويجى زميل له كان دائم الشكوى من انه ترك مزرعة والده ، واشتغل بحارا ، عندئذ خطر ببال أونيل « كيف يكون مصيره لو انه رغم حبه للتجوال قد استقر فى مزرعة والده » ـ هذا التعليق يبين كيف كان أونيل منهمكا في هذه المشكلة الاساسية التى تتمثل في سعى الفرد الى طريق الحياة الذى يناسبه ، ويسعده . فالشاعر تدمره النظرة العمليةللاشياء، ورجل الاعمال تحطمه الاحلام لو انه انساق وراءها . كل منهما له طريق متباين فى الحياة . فمغزى المسرحية ، اذن ، يشير الى أهمية اختيار الانسان لطريق حياته وفق قدراته ومواهبه الذاتية ، وعلى هذا الاختيار تتوقف سعادته أو شقاؤه .

الا أن اختيار الانسان كثيرا ما يصادف ظروفا تقلبه رأسا على عقب ، كما حدث لروبرت ، وهذه مأساة الانسان الذى لايستطيع التحكم فى ظروف حياته . وهذا ما قاله يوجين اونيل مرة الى هويسون كوين « اننى مدرك تماما وعلى الدوام بوجود قوة وراء ...... (القدر ، الله ، الوراثة ، او سمها ما شئت) .. انها لغز ، بالتأكيد (٢) » ففى ما وراء الأفق يحاول اونيل ان يجد جوابا لسر الحياة .

ما الذى يكمن وراء الافق ؟ هل هو البحر بما فيه من سحر المجهول وبما فيه من انطلاق وتحرر ؟ أم أن وراء الافق أحلاما لن تتحقق فى هذه الدنيا ، ولهذا فالموت بالنسبة لروبرت تحرر من قيود هذه الدنيا الى عالم آخر تتحقق فيه الاحلام. لهذا فان روبرت وهو في سكرات الموت يصيح فى أخيه وزوجته : « لا تحزنا على . الا تريان اننى سعيد آخر الأمر — اننى حر ... حر ! ... لقد تحررت من الزرعة.. لقد اصبحت حرا فى التجوال باستمرار والى الابد ! .... انها ليست النهاية . انها البداية الحرة ... بداية رحلتى ! ولقد كسبت حق التحرر .. والمضي وراء الافق ! » (٣)

ان مضمون المسرحية اذن يعتمد على واقع الحياة ، والمشكلة التى تعالجها المسرحية نلمسها باستمرار على مستوى القرية وعلى مستوى المدينة وعلى مستوى البر والبحر ، وان كانت معالجتها المباشرة استوحاها أونيل من قصة زميله البحار الذى ترك مزرعة والده وعمل بحارا ، الأمر الذى أدى به الى الاخفاق والخيبة لانه ضل طريق السعادة .

وبجانب هذه المشكلة الواقعية فالشخوص القليلة رسمت ببراعة وعمق . فالي جانب الأخوين روبرت وأندرو ، نرى الاب مايو المحافظ الذى لا يقبل أن يعصي له أمرا أى فرد من الاسرة ، والذى طرد ابنه اندرو ولعنه لانه أدعى أنه قرر الرحيل فجأة حبا فى التجوال . ثم هناك مسز مايو ، الزوجة الحنون التى تحاول أن تهدىء الحال ما بين زوجها وابنها . ثم هناك روث ، بنت الجيران التى تتصف بجمال رائع يجذب اليها الاخوان روبرت واندرو . حتى شخصية الكابتن سكوت رسمت ببراعة واتقان فهو رجل أعزب حياة البحر هي مجاله الوحيد .

وحوار المسرحية واقعى متلازم مع كل شخصية ، فأسلوب روبرت يختلف من أسلوب أخيه أو أبيه أو زوجته ، لانه نال قسطا من التعليم أكثر منهم . ولا يعنى هذا أن حوار المسرحية سطحي في واقعيته فهناك مثلا بعض الكلمات والعبارات التى تتردد لتضفي وتؤكد دلالة معينة فكلمة « يرحل » تسود الجو من البداية والنهاية ، كما ان هناك كلمات لها دلالة دينية كحر جهنم ، والاتون ، والشمس المتقدة — وشجرة التفاح ، والسور الذى تتشابك فيه الاغصان كالثعابين ،

---

(٢) آرثر وباربرا جيلب : **اونيل** . ص ٤٠

(٣) الفصل الثالث — المنظر الثانى ص ١٦٨ .

مما جعل بعض النقاد يرى فى قصة روبرت وروث صورة مصغرة لقصة آدم وحواء . حتى عبارة « وراء الأفق » دفعت النقاد الى استنتاجات عدة ، منها ان « وراء الأفق » يرمز الى الجنة التى طالما يحن اليها الانسان ، ولكن تقف حقائق الحياة دون الوصول اليها .

وعلاوة على الحوار نرى الجو العام لمسرح الاحداث أى المزرعة وما حولها من تلال وطرق تغرى الانسان الى التطلع وراء الأفق .. ياترى ما وراء الأفق ؟ وأى حياة وراءه) انه اغراء المجهول بسحره وغرابته . ويرتبط هذا بالمنظر العام للمزرعة وقت الشروق ووقت الغروب ، ودورة الزمن فى هذه المنطقة الريفية الجميلة . فروبرت يموت فى نهاية المطاف عندما تشرق الشمس ايذانا بحياة جديدة لا معنى للخيبة والفشل فيها .

أما مسرحية أنا كريستى Anna Christie فظهرت اول الامر تحت عنوان « كريس كريستوفيرسون Chris Christopherson فى عام ١٩٢٠ ، وهذا يعنى أن محور اهتمام أونيل كان يدور حول شخصية كريس وليس حول ابنته انا . ولقد كان كريس هذا صورة لشخصية حقيقية ـ لزميل بحار زامل أونيل الاقامة بعض الوقت فى حانة جيمى ـ القس Jimmy-the Priest في نيويورك حيث كان يدفع كل منهم ثلاث دولارات مقابل اقامة شهر كامل . وقد اشار أونيل الى هذا الزميل فى مقال نشرته جريدة نيويورك تايمز فى ٢١ ديسمبر ١٩٢٤ فقال : « لقد جاب البحار حتى سئم ذكر اسم البحر . ان العمل كبحار هو العمل الوحيد الذي يعرفه . وكان عاطلا عندما تزاملنا فى غرفة فى حانة جيمي القس . وكان يمضي وقته يتجرع الويسكي ويلعن البحر ويشير اليه بعبارة كريس المشهورة « البحر ... هذا الشيطان العجوز » لهذا فان اصرار كريس على ترديدها لم يبد أمرا مبالغا فيه .

ولكن عندما غير أونيل العنوان الى « أناكريستي » قصد بهذا اعطاء اهمية أكثر لقصة أنا التي أصبحت الان محور المسرحية ، التي نالت جائزة بوليتزر كأحسن مسرحية عرضت فى أمريكا عام ١٩٢٢ . وتبدأ احداث المسرحية فى حانة جيمي ـ القس عندما نرى كريس كريستوفرسون ، وهو قبطان مركب فحم ، ينتظر ابنته أنا التي لم يكن رآها منذ خمسة عشر عاما. وكان قبل ذلك بسنين أرسلها لتعيش مع اقارب فى غرب أمريكا حماية لها من الحياة الفظة التي يمكن ان تجدها بجواره في حياة البحر وعدم الاستقرار . الا انه من سخرية القدر كانت هذه الخطوة بداية النهاية لها . فقد اعتدى عليها بول ، احد أولاد عمومتها ، عندما بلغت السادسة عشرة من العمر ، كما ان هؤلاء الاقارب عاملوها أسوأ من معاملتهم الاجيرة حتى انزلقت ، بعد عملها فترة قصيرة كمربية ، الى حياة العهر فى سانت لويس مما غرس فى قلبها كراهية مقيتة للرجال ، لكل الرجال . على أية حال ، لم يلحظ والدها كريس أي فظاظة أو سوقية في تصرفاتها فرحب بها ودعاها للبقاء معه على مركب الفحم .

وفى حياة البحر تتجدد قوى أنا ورغبتها فى الحياة فتسترد صحتها ونضارتها وجانبا كبيرا من جمالها السابق ، وتنقذ مركب الفحم بحارة قارب قد تحطم ، وكان من بين من انتشلوا من براثن الغرق مات بيرك Mat Burke وهو وقاد ايرلندي قوي شجاع سرعان ما وقع فى غرام أنا . الا ان كريس كان يعترض على هذه العلاقة التي تطورت بين ابنته ومات بيرك لانه لا يريد منها ان تتزوج بحارا حتى لا تشقى كما شقيت أمها من قبل .

وعندما تشتد الازمة لا تجد أنا مناصا من ان تعترف بماضيها السابق لكلا الرجلين ـ الامر الذي وقع على كل منهما وقع الصاعقة . لكن مات بيرك يعود ، ويتبين له ان أنا لا تحب ، ولم تحب شخصا غيره ، وانها مخلصة فى هذا رغم ما حدث لها . ويصر على الزواج منها ، بعد ان اقنعته انا ان حبها له قد غيرها تماما ، ويزمع على الرحيل على السفينة لندنديرى المتجهة الى رأس الرجاء الصالح ، وهي نفس السفينة التي سيرحل كربان عليها والدها كريسي . هنا يتصالح الرجلان ، وتعدهما أنا بان تعد لهما بيتا مريحا عندما يعودان من رحلتهما . رحلتهما .

ان مسرحية أنا كريستي هي اخر ما كتب اونيل عن البحر وهي تذكرنا بمسرحية الكاتب الايرلندي جون سنج الا وهي « **الراكبون الى البحر** Riders to the Sea التي يبدو فيها البحر فى صورة قدر لا يرحم . لهذا فان كريستي يحملق فى البحر على الدوام ويلوح بيديه فى عنف وهو يسب ويلعن « ذاك الشيطان العجوز ـ البحر » . وان خوفه من البحر وأمله فى ان تتزوج أبنته الوحيدة شخصا مستقرا على البر هو الذي دفعه الى ارسالها الى بعض الاقارب فى غرب الولايات المتحدة ، حيث بدات مأساة أنا وانحرافها . والبحر هو الذي جمع انا ومات بيرك بعد ان أنقذه أبوها عندما تحطم قاربه ، والبحر ايضا هو الذي رفع كريستي ومات بيرك ـ دون علم أي منهما ـ للابحار على سفينة لندنديرى بعد ان تصافت النفوس آخر الامر . فالبحر ، اذن له حيله والاعيبه ولا يمكن للانسان ان يتغلب عليه. لهذا فان أنا محقة عندما اعفت والدها ومات بيرك من اللوم قائلة فى تأثر : « لماذا تلوم نفسك ؟ انها ليست غلطتك ، ولا غلطتي ، ولا غلطته كذلك . اننا جميعا حمقى مساكين . تحدث الاشياء التي نتورط فيها فنرتكب الاخطاء ، هذا كل ما فى الامر » . فيرد كريستي عليها فى حماس « ان ما تقولينه ، يا أنا ، لهو عين الصواب ! انها (٤) ليست غلطة أحد (يهز قبضة يده) انه البحر ، ذاك الشيطان العجوز ! » .

فالبحر اذن قوة جهنمية ، اداة للقدر الذي يسيطر على حياة الناس ويستخدم الاعيب فظيعة كالضباب الذي يحجب الرؤيا ، وتشتيت شمل الاسر ، وتحطم

---

(٤) الفصل الرابع . ص ٧٤

السفن على زبد البحر . فهو فى نظر كريستي « شيطان عجوز » . وان كانت هذه الفكرة قد تسلت على كريستي فان مات بيرك له رأي آخر فحياة البحر لا يخافها الا الجبناء الذين خارت عزائمهم واستمرءوا الهزيمة . البحر هـو المكـان الملائم للرجل الشجاع الذي لا يهاب المخاطر بل يتصـدى لكل شيء بثبات وعزيمة . أمـا أنا فترى البحر مكانا للاستجمام والتأمل والتطهر ، فهي لا تقتنع برأي والدها الذي يلقي اللوم على البحر فى كل صغيرة وكبيرة فبالنسبة لها تمثل حياة البحر النظافة والطهر « انني أحبها ... انها تشعرني بشيء من النظافة ... كما لو انني أخذت حماما » . لهذا ما ان مكثت بعض الوقت على ظهر السفينة حتى عادت اليها نضارتها وجمالها . حتى الضباب له سحر خاص بالنسبة اليها فهو يلقي مظلة واقعية على الانسان من العالم الخارجي ، باخفاء معالم الماضي .

وتعيد هذه المسرحية ـ بعد ان غير أونيل عنوانها الى أنا كريستي ـ تعيد الى الاذهان مسرحية « غادة الكاميليا لاسكندر ديماس الابن ... فغادة الكاميليا ، مثلها مثل أنا ، عاهرة قد تابت وطهرها الحب . وهذا ما حاولت أنا ان تثبته وتقنع مات بيرك به : » اعتقد انني لو حاولت أن أقول لك انني لم أعد ... تلك الفتاة .. ستصدقني ! ولو اني قلت لك ان مجيئى الى هذه السفينة ووجودي فى البحر قد غيرني وبدل مشاعري ، كما لو ان ما مررت به من احداث ليس بدي بال وكأنه لم يحدث قط ... هل تصدق اذا قلت لك أن حبي لك قد طهرني ؟ صدقني ! هذا كلام خالص أمين ! (٥) .

فأنا عندما انزلقت الى حياة الدعارة لم تكن تجد متعة فى ذلك ، بل كانت تمقت الرجال من صميم قلبها . فهي اذن ضحية مجتمع لا يرحم الفقراء ولا يهيىء لهم فرصة للحياة الكريمة ... مثلها مثل غادة الكاميليا تماما .. ولذا فان أول حب حقيقي لها كان جارفا لدرجة أنها رفضت عرض الزواج من مات بيرك ايمانا منها بأنها لا تقوى على خداعه ، وهى امرأة ذات ماض . وعندما دفعها الرجلان دفعا الى الاعتراف حاولت ان توضح الحقيقة لمات بأنها قد تغيرت وان ماضيها قد ولى وكأنه لم يحدث ، وان حبه لها قد طهر نفسها من الدنس .

وتعد مسرحيـة أنا كريستي لواقعيتها فى الاحـداث والاسلوب والشخـوص والجو العام والموضوع من أحب مسرحيات أونيل لدى جماهيرالنظارة ، وخاصة فى السويـد . فشخصيات أنا وجوني الملقب بالقس ، ومـات بيرك ، وكريستي يعيشون فى مخيلتنا ، والعواطف المتصارعة فى نفوسهم تجد صدى فى نفوسنا ، فهي عواطف انسانية عامة ، فالانسان ضعيف لاقبل له بالتصدي لقوى القدر والطبيعة ، وقيود المجتمع الصارمة ، لهذا يتورط فى خطايا قد تؤدي به الـى الهلاك ان لم يجد طريق التوبة والخلاص . وهذا هو مصير أنا كريستي التي

---

(٥) الفصل الثالث ص ٦٦

تابت توبة نصوحا ، وأسدلت الستار عن ماض مشين ، بعد ان تطهرت من الدنس الذي لوثها ولطخ حياتها ، وذلك بفعل حب صادق عميق .

الا ان نهاية المسرحية لا تتركنا نسعد بالشعور بأن انا وبيرك وكريس قد اجتمع شملهم فى وئام دائم . لهذا تثير نهاية المسرحية احتمالات شتى وتتركنا فى جو غير مأمون . ولقد كتب اونيل الى الناقد جورج ناثان فى ١٩٢١ متسائلا « كيف نتوقع نهاية قاطعة بينما لا يزال بيرك يشك في صدق قسم انا وذلك لكونه كاثوليكيا لا يثق فى قسم أي شخص من مذهب ديني مخالف . ان نهاية المسرحية تضفي جوا زائفا من القطع مما يضلل القراء والنقاد معا ـ جوا بنهاية سعيدة لم اقصدها . ولهذا اعتمدت على آخر كلمات الاب ، وما فيها من تردد وايمان بالخرافة لاضفي على موضوع المسرحية صفة الاستمرار (٦) » .

وكلمات كريستي الاخيرة التي تختم المسرحية هي : « ضباب ، ضباب ، ضباب ! طول هذا الوقت اللعين ـ لا ندري اين نسير ، لا ندري . فقط ذاك الشيطان العجوز ، البحر ـ يعرف ـ يعرف ! لهذه الكلمات مدلولا لاننا لا ندري الغيب . فالحياة يكتنفها الضباب ، ولا ندري كيف نسير ومتى نسير ، ولا ندري هل يضمر البحر خيرا او شرا لهؤلاء الناس ؟

---

(٦) جورج ناثان : مذكرات جون ناثان الخاصة . نيويورك ١٩٣٢ ص ١١٠

وراء الأفق

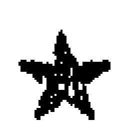
(مسرحية من ثلاثة فصول)

تأليف : يوجين أونيل
ترجمة : د. عبد الله عبد الحافظ متولى
مراجعة : د. محمد سمير عبد الحميد

العنوان الاصلى للمسرحية :

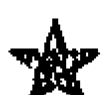
BEYOND THE HORIZON

ACTING EDITION



PLAY IN THREE ACTS

BY EUGENE O'NEILL



DRAMATISTS
PLAY SERVICE
INC.

شخصيات المسرحية

جميس مايو	مزارع	James Mayo
كيت مايو	زوجته	Kate Mayo
كابت ديك سكوت	قبطان السفينة « سندا » واخ مسز مايو	Captian Dick Scott
روبرت مايو	ولدا جميس مايو	Robert Mayo
اندرو مايو		Andrew Mayo
روث اتكنز		Ruth Atkins
مسز اتكنز	امها الارملة	Mrs. Atkins
مـــاري		Mary
بـــن	عامل مزرعة	Ben
الطبيب فوسيت		Doctor Fawcett

الفصل الأول

المنظر الاول : الطريق ، اثناء غروب يوم من أيام الربيع .

المنظر الثاني : دار المزرعة ، في الليلة نفسها .

الفصل الثانى

بعـد ثـلاث سنـوات

المنظر الاول : دار المزرعة ، ظهر يوم من ايام الصيف .

المنظر الثاني : أعلى تل فى المزرعة يطل على البحر ، فى اليوم التالي .

الفصل الثالث

بعـد خمس سنوات

المنظر الاول : دار المزرعة ، فجر يوم قرب نهاية فصل الخريف

المنظر الثاني : الطريق ، وقت شروق الشمس .

الفصل الأوّل

المنظـــر الأول

(جانب من طريق ريفي واسع ، يسير الطريق بانحراف من اليسار ، نحو مقدمة المسرح ، إلى جهة اليمين ، نحو مؤخرة المسرح ، ويمكن رؤيته من بعيد متعرجا نحو الأفق كشريط باهت من التلال المنخفضة المتتابعة التي حرثت حديثا ، والتي يفصل بعضها عن البعض بشكل واضح ، وكأنها خطوط في رقعة الشطرنج ، صفوف من الأســوار الحجرية ، وأسياج من جذوع الأشجار .

ان المثلث الأمامي الذى يخترقه الطريق هو جانب من حقل تربتـــه السمراء تبعث منها أعداد كبيرة من سنابل زاهية الخضرة لنبات الشيلم الذى بذر وقت الخريف . ويفصل هذا الحقل عن الطريق خط شـــارد من صخور متراكمة ، منخفض لدرجة لا يمكن معها أن تسميه حائطا أو ســـورا .

خلف الطريق إحدى القنوات المـــائية ضفتها البعيدة منحـــدرة وتكسوها الأعشاب . ووسط هذه شجرة تفاح عجوزة كثيرة العقد ، قد بدأت أوراقها تزدهر ، وأغصانها المتشابكة تشخص نحو السماء في لونها الأسود وسط هذا الشحوب المحيط . ويميل ســـور من جذع الأشجار من اليســـار الى اليمين على طول نهاية هذه الضفة ، مارا وراء شـــجرة التفاح .

لقد بدأ على التو شفق هادىء ليوم من أيام شهر مايو . لا تزال التلال في الأفق يحدها خط من لهب بهت ضوءه ، وان كانت السماء

فوقها تتوهج بلون الغروب القرمزى . إلا أن هذا التوهج يخفت بالتدريج خلال تطور أحداث هذا المنظر

عندما يرفع الستار يبدو روبرت مايو جالسا على السور وهو شـاب طويل نحيل في الثالثة والعشرين من العمر . به سمات الشاعر التي تبدو في جبهته العالية العريضة ، وعينيه السوداوين . ملامحه رقيقة صـافية تميل إلى الضعف عند الفم والذقن . يرتدى سروالا رماديا من قطيفة « الكورد روى » قد تدلى طرفه داخل رقبـة حذائه الطويل ، وقميصا أزرق من الفانلا ، وربطة عنق زاهية الألوان . انه يقرأ كتابا على ضوء الغروب الذى يزداد خفوتا . ثم يقفل الكتاب ، وقد وضع إحـدى أصابعه ليحدد المكان الذى توقف عنده ، ملتفتا إلى الأفق ، وبصره يرنو محملقا في الحقول والتلال . وتتحرك شفتاه كما لو أنه يتلو شـيئا لنفسـه .

يقبل أخوه أندرو من الطريق جهة اليمين ، وقد عاد من عمله في الحقول وهو في السابعة والثلاثين من العمر ، وعلى النقيض من أخيـه تمـاما . . . أجش الصوت ، برونزى اللون من لفحة الشمس ، وسيم بملامح وجهه الكبيرة ، وسمات رجولته — انه ابن الأرض ، ذكي في شيء من الدهاء ، ولكنه لا يميل إطلاقا إلى المسائل الفكرية العقلية . انه يرتدى ملابس العمال ، وحذاء جلديا طويلا ، وقميصا رماديا من الفانيلا مفتوحا عند الرقبة ، كما يلبس على رأسـه قبعة ناعمة بهـا بقع من الطين . يتوقف ليتحدث لروبرت ، وهو يتكىء على فأسه) .

أنـدرو : (عندما يرى أن أخاه لم ينتبه لوجوده — في صوت عال) ايه ، أنت هناك ! (يستدير روبرت فـزعا . وعندما يرى أنه أخوه يبتسم) ياه ، أنت تستحق جائزة الاستغراق في أحلام اليقظة وأرى أنك أتيت بأحـد

كتبك القديمة معك . (يعبر القنـــاة ويجلس على السور بالقرب من أخيه) ماذا تقـــرأ هذه المـــرة ؟ . . . . أراهن ، أنه شعر (يمـــد يده لأخذ الكتاب) دعني أرى .

روبرت : (يناوله الكتاب على مضض) حـــذار من أن تمـــلأه بالأوساخ .

أندرو : (ينظر إلى يديه) ليست هذه أوساخ . . انها الأرض الطيبة . (يقلب صفحات الكتاب . وتقع عيناه على بعض السطور فتنطلق منه صيحة اشمئزاز) اوف ! (يقرأ بصوت كئيب رتيب وكأنه يريد إثارة أخيه) « لقدأحببت الريح والضياء والبحر الساطع . ولكن أيها الليل الجليل المقدس لم أحببها ، كما أحببتك » (يعيد الكتاب اليه) خذ ! خذه وادفنه ! أعتقد أن الســـنة التي قضيتها في الجامعة هي التي غرست فيك حب هذه الأشياء . إنني سعيد للغاية إذ أنني توقفت عنـــد المدرسة الثانوية ، وإلا أصبحت مخبولا كذلك . (يبتسم في فتور ويضرب روبرت على ظهره في حنان) تخيلني أقـــرأ الشعر وأحرث الأرض في نفس الوقت . أؤكد لك أن الدواب المشدودة الى المحراث ســـتولى هاربة !

روبرت : (ضاحكا) أو تخيلني أحرث الأرض .

أندرو : كان يجب عليك العودة إلى الجامعة في الخريف الماضى ، كما كنت ترغب إنك مؤهل لمثل هذه الأشياء . . . على العكس مني .

روبرت : أنت تعرف سبب عـــدم عودتي ، يا اندى . لم يرحب والدى بالفكرة ولو أنه لم يفصح عن ذلك ، كما أني كنت أعلم أنه في حاجة للمـــال لإدخال بعض الإصلاحات في المزرعة . وفوق ذلك ، ان رؤيتك لى دائم القراءة لا تعنى أننى تواق لحياة التلمذة . ان ما أريده الآن هو أن أتجول على الدوام دون أن أســـتقر في مكان واحد .

أندرو : حسن ، ان الرحلة التي ستقوم بها غدا ستتيح لك فرصة التجوال على وجه أكمل . (عند ذكر الرحلة يسكت الاثنان . وبعد فترة الصمت يتابع أندرو الحديث في ارتباك ، محاولاً الكلام بطريقة عفوية) ان خالك يقول ان الرحة ستستغرق ثلاث سنوات .

روبرت : حوالى ذلك، على ما نعتقد .

أندرو : (بكآبة) هذا وقت طويل .

روبرت : ليس طويلا إذا تدبرت الأمر مليـــا . أنت تعرف أن السفينة « ساندا » تبحر حول رأس هورن متجهة أول الأمر الى يوكوهاما ، وهي رحلة طويلة على ســـفينة شراعية . وإذا ما ذهبنا إلى أى من الأماكن التي يذكرها خالى ديك . . مثل الهند ، أو استراليا أو جنوب أفريقيا أو أمريكا الجنوبية — فهذه كلها رحلات بحرية طويلة كذلك .

أندرو : يمكنك أن تتمتع بكل هذه البلاد الأجنبية بدلا عنى (بعد فترة صمت) ستفتقدك أمي كثيرا ياروب ؟

روبرت : فعلا . . وسأفتقدها أيضا .

أندرو : ووالدى لا يشعر بالسعادة لرحيلك ــ وان كان يحاول ألا يظهر مشـــاعره .

روبرت : إنني أدرك مقـــدار تأثره .

أندرو : وتأكد بأنني لا أرحب بسفرك . (يضع إحدى يديه على السور القريب من روبرت) .

روبرت : (يضع إحدى يديه على يد أندرو ، وبحركة تكاد تنم عن الخجل) إننى أعرف ذلك ، أيضا يا أندى .

أندرو : سأفتقدك ، كما يفتقدك كل شخص هنا ، على ما أظن أنت تدرك أننا لسنا كمعظم الأخوة الآخرين ــ الذين دائمـــا يتشاجرون ويتخاصمون معظم الوقت ، أما نحن فدائما مع بعض ــ نحن الاثنين فقط ولا أحــد غيرنا . ان الأمر يختلف بالنسبة لنـــا ، ولهذا فالأمـــر شاق على نفسى للغاية .

روبرت : (في تأثر) وثق أنه لأمر شاق على نفسى ، كذلك ! إننى لا أود أن أتركك وأترك الوالدين ــ ولكن ــ أشعر بأنه لا مفـــر من ذلك . هناك شيء ينادينى . . (يشير الى الأفق) أوه ، لا أستطيع أن أشرح هـــذا لك ، يا أندى .

أندرو : لا داعي لذلك ، ياروب (مغتاظا من نفسه)ياللجحيم ! أنت تريد الرحيل ــ هذا كل ما في الأمر ، ولن أرضى أن تضيع منك هذه الفرصة لأى سبب مهما كان .

روبرت : هذا شعور جميل منك ، يا أندى .

أندرو : أوه ، سأكون إنسانا حقيرا لو لم أشعر بهذا ، أليس كذلك ؟ عندما أعلم مقدار حاجتك لهذه الرحلةلتخلق منك إنسانا جديدا — أعنى من ناحية الجسم — وتعيد اليك كامل صحتك .

روبرت : (في شيء من الضجر) كلكم تضربون على وتر صحتى لقد اعتدتم رؤيتي راقدا في البيت في السنين الماضية حتى أنكم لم تستطيعوا التخلص من فكرة أنني كسيح لايرجى شفاؤه . ألا تدرك كيف أنني استعدت قوتي في السنوات القليلة الماضية ؟ إذا لم يكن هناك ثمة سبب لسفرى في سفينة خالى ديك سوى صحتى ، لبقيت هنا أحرث الحقل .

أندرو : لا يمكن . الزراعة لا تناسب طبيعتك . ان مشاعرنا تختلف حول المزرعة اختلافا بيننا . أنت — حسن ، أنت تحب المزرعة كبيت للإقامة فيه ، أما كمكان للعمل والزراعة فانك تكرهها . أليس هذا صحيحا ؟

روبرت : نعم ، على ما أعتقد . أما بالنسبة لك فالأمر مختلف . لقد وهبت حياتك للأرض . فأنت نتاجها كسنبلة القمح أو شجرة من الأشجار ووالدك نفس الشيء . ان هذه المزرعة هي حياته ، وسيشعر بالسعادة عندما يعلم أن أحد أفراد أسرة مايو يلهمه نفس هذا الحب وسيتولى العمل حيث ينتهي هو . إنني أدرك وجهة

نظركما ، وأعتقد أنها مدهشة وصادقة . لكني — حسن — لم أخلق على هذا النحو .

أندرو : فعلا . ولكني أعتقد أن لك وجهة نظر خاصة .

روبرت : (مفكرا) إنني أتساءل عما إذا كنت تدرك ذلك ،حقا

أندرو : (في ثقة) بالطبع ان القليل الذى شاهدته من العالم يكفي لأن يجعلك ترى المزرعة شيئا صغيرا ، وترغب في رؤية العالم كله .

روبرت : ان الأمر أكثر من هذا ، يا أندى .

أندرو : بالطبع . أعلم أنك ستتعلم الملاحة وشئون السفن حتى تصبح ضابطا بحريا . هذا أمر طبيعي ، كذلك . وأعتقد أن راتبك سيكون حسنا ، عندما تضع في الحسبان بأنك لن تتكفل بإقامة أو غذاء ، كما أنه إذا ما عزمت على السفر فسيتسنى لك السفر حيثما تريد بالمجان .

روبرت : (بابتسامة فيها شيء من الحزن) إن الأمر أكثر من هذا ، يا أندى .

أندرو بالطبع . هناك على الدوام فرص سعيدة تصادفك في هذه الموانى الأجنبية وغيرها . لقد سمعت أن هناك فرصا عظيمة لأى شاب قوى الملاحظة ، في بعض هذه البلاد التي فتحت مجالاتها لنا منذ وقت قريب . (فرحا) أراهن بأن هذا ما يشغل ذهنك ، رغم كل ما يبدو عليك من هدوء . (يضرب أخاه على ظهره

وهو يضحك) ، ايه ، لو أصبحت فجأة مليونيرا ، فلتزرنا بين الحين والحين ، وعندئذ سأطلب منك المساعدة ، فلن يضير المزرعة إذا أنفقنا عليها مالا كثيرا

روبرت : (يتكلف الضحك) لم أفكر قط في الجانب العملى ، يا أندى .

أندرو : حسن ، ينبغي عليك أن تفكر .

روبرت : لا ، لا ينبغي ذلك . (يشير إلى الأفق — وهو حالم) فلنفرض أنني أخبرتك بأن الجمال فحسب هو الذى يناديني جمال البعيد والمجهول ، سحر وجاذبية الشرق التي سحرتني في الكتب التي قرأتها ، والحاجة الى حرية الأماكن الرحبة الكبيرة ، ومتعة التجوال — سعيا وراء السر الكامن هناك ، وراء الأفق؟ فلنفرض أنني أخبرتك أن هذا هو السبب الوحيد لرحيلى ؟

أندرو : عندئذ سأقول إنك مخبول .

روبرت : (عابسا) لا تقل هذا ، يا أندى . إنني جاد فيما أقول .

أندرو : إذن ، ينبغي لك أن تبقى هنا ، فلديك كل ما تسعى اليه ، هنا على المزرعة . يعلم الله المكان فسيح . بما فيه الكفاية ، كما يمكنك ، إذا ما سرت ميلا واحدا حتى الشاطيء ، أن تجد البحر الذى تريده ، وهناك عديد من مناظر الأفق لتنظر اليها ، وجمال يكفي كل إنسان ، في كل وقت عدا فصل الشتاء . (يبتسم) . أما عن السر والسحر ، فانني لم ألقاهما بعد ، وربما

تجدهما في مكان ما ، حواليك . أريدك أن تدرك أن هذه مزرعة من الدرجة الأولى وفيها كل الاستعدادات والتجهيزات . (يضحك) .

روبرت : (يضطر لمشاركته في الضحك) لا فائدة من الكلام معك ، أيها الأبله.

أندرو : من الأفضل ألا تخبر خالى « ديك » عن السحر وخلافه عندما تركب السفينة . فمن المحتمل أن يلقي بلك من على ظهر السفينة ، كما حدث ليونان (ينزل قافـزا من على السور) يحسن أن أسرع ، فعلى أن أغتسل مادامت والدة روث ستحضر للعشاء .

روبرت : (محتدا وفي مـرارة) وروث ؟

أندرو : (في ارتباك . ناظرا حواليه ومتجنبا النظر الى روبرت — محاولا عـدم إظهار أى اهتمام) نعم . روث ستبقى أيضا للعشاء . حسن ، على أن أسرع ، على ما أظن . . . (يقفز من على « القناية » الى الطريق وهو يتكلم) .

روبرت : (الذى يبدو أنه يكافح ضـد مشاعر داخلية قوية . . يقول في اندفاع (انتظر لحظة ، يا أندى !) ينزل قافزا من على السور) أريد أن أقول لك شيئا . . . (يتوقف فجأة ، وهو يعض شفتيه ، وقد احمرّ وجهه) .

أندرو : (يواجهه ، وفي شيء من التحدى) نعم ؟

روبرت : (في ارتباك) لا — لا داعي — لا يهم ، لاشيء .

أندرو : (بعد فترة صمت ، أثنائها يحدق النظر في جه روبرت الذى استدار بعيدا) ربمـا أستطيع أن أخمن —

كنت تريد أن تقوله — وان كنت أعتقد أنك على حق في عـــدم الكلام فيه . (يسحب يد روبرت من على جنبه ويضغط عليها بشده ، ويظل الاخوان يحدقان النظر ، أحدهما في الآخر لحظة) ليس من وسعنا منع هذه الأشياء ، ياروب . (يستدير بعيدا ، وقد ترك يد روبرت) ستأتي للزيارة عما قريب ؟ أليس كذلك ؟

روبرت : (في فتـــور) نعم .

أندرو : إلى اللقاء ، إذن . (يسير في الطريق إلى اليسار يشـــيعه روبرت بنظراته لحظة ، ثم يصعد الى السور من جديد ، ناظرا إلى التلال وعليه ســـيماء حزن عميق . بعـــد لحظة تقريبا تدخل روث على عجل ، من جهة اليسار وهي فتاة سليمة البنية ، شقراء ، رياضية ، في العشرين من عمرها ، ذات جسم رشيق نحيل . في وجهها ، رغم ميله للاستدارة جمال لا ينكر . أما عيناها الكبيرتان الزرقاوان فتبرزان بشكل واضح لون وجهها البرونزى من أثر لفحة الشمس . وتتميز ملامحها الصغيرة المتسقة بشيء من القوة — إذ يكمن وراءها هدف ثابت عنيد ، قد أخفاه سحر شبابها الغض الذى يستهوى الإنسان في صراحة وجلاء . ترتدى فستانا أبيض ، ولا تلبس قبعـــة) .

روث : (تلحظ روبرت) مرحبا ياروب ! .

روبرت : (فـــزعا) مرحبا ، ياروث . !

روث : (تقفز على « القناية » وتجلس على السور بجواره) لقد كنت أبحث عنك .

روبرت : (في شيء من التأكيد) لقد ترك أندى هذا المكان على التـــو .

روث : أعرف ذلك . لقد قابلته في الطريق منذ برهة . وأخبرني أنك هنـــا . (مداعبة في رقة) ما كنت أبحث عن أندى ، أيها الذكي ، إذا كان هذا ما تعني . لقد كنت أبحث عنك أنت .

روبرت : لأنني سأرحل غـــدا ؟

روث : لأن والدتك تريدك أن تعود إلى البيت ، وطلبت مني أن أبحث عنك . لقد أوصلت والدتي إلى منزلكم وأنا أدفعها في مقعدها ذى العجلات .

روبرت : (من باب المجاملة) وكيف حال والدتك ؟

روث : (ومسحة من الحزن على وجهها) كما هي ، لا أحسن؟ ولا أســـوأ . أوه ، ياروب ، أتمنى أن تحاول تقبـــل الأمور التي ليس في وسعنا تغييرها .

روبرت : وهل عادت ثانية إلى النكد ؟

روث : (تومىء برأسها ، ثم تنفجر ثائرة) انها لا تكف عن « المناكفة » فمهما أفعل من أجلها فلا بد أن تجد ما تنتقده لو أن والدى لا يزال على قيد الحياة (تتوقف وكأنهـــا خجلت من ثورتها) أعتقد أنه لا يجب أن أشكو بهذه الطريقة . (تتنهد) يعلم الله أن الأمر شاق على نفس والدتي المسكينة . ومن الطبيعي أن يكون المـــرء حانقا عندما لا يقوى على المشي خطوة واحدة . أوه أتمنى أن أرحل بعيدا إلى أى مكان . . مثلك !

روبرت : من الصعب البقاء . . ومن الصعب كذلك الرحيل ، في بعض الأحيان .

روث : ياه ، يالى من غبية ! لقد أقسمت ألا أتحدث عن رحلتك — إلا بعد سفرك ، وها أنذا أتحدث عنها قبل كل شيء !

روبرت : لماذا كنت لا تريدين التحدث عنها ؟

روث : لأنني لم أشأ أن أفسد عليك آخر ليلة لك هنا . أوه ، ياروب ، إنني سأ . . . إننا سنفتقدك لدرجة فظيعة ، ان والدتك تسير وكأنها ستنفجر بالبكاء في أى لحظة . ينبغي أن تعرف مدى شعورى . أندى وأنت وأنا . . . يبدو كما لو كنا دائما مع بعضنا .

روبرت : (بمحاولة ضعيفة للابتسام) أنت وأندى ستكونان مع بعض . إن الأمر أكثر صعوبة بالنسبة لى ، وأنا لوحدى

روث : ولكن بالك سينشغل برؤية مناظر جديدة وأناسا جدد . أما نحن فسنبقى هنا في المكان القديم المألوف الذى يذكرنا كل لحظة بيوم رحيلك . من المؤسف أن ترحل — في هذا الوقت من السنة ، في الربيع ، عندما يصير شيء جميلا . (تتنهد) ينبغي ألا أتحدث بهذه الطريقة ، وأنا أعلم أن الرحيل هو أفضل شيء لك . ستجد عديدا من الفرص للنجاح ، كما يقول والدك .

روبرت : (منفعلا) إننى لا أهتم بذلك إطلاقا ! إنى لن أقوم برحلة ، حتى ولو كانت عبر هذا الشارع ، إذا كانت من أجل أفضل فرصة ، كتلك التي يفكر فيها والدى . (يبتسم للغضب الذى بدا منه) معذرة ، ياروث ،

لانفعالى بهذا الشكل ، ولكن أندى قد أعطاني جـــرعة زائدة من هذه الاعتبارات العملية

روث : (في بطء وفي حيرة) حسن ، إذن ، إذا لم يكن . . . (في انفعال مباغت) أوه ، روب ، لمـــاذا تريد الرحيل ؟

روبرت : (يلتفت اليها وبسرعة ، في اندهاش . . ثم يقول في بطء) لمـــاذا تسألين عن ذلك ، يا روث ؟

روث : (تخفض من بصرها أمام نظرته الفاحصة) لأنه . . . (في شيء من الركاكة) يبدو أنه من العار لحد كبير .

روبرت : (في إصرار) لمـــاذا ؟

روث : أوه ، لأن . . كل شيء .

روبرت : من الصعب على أن أتراجع الآن ، حتى ولو أردت . وسرعان ما ينساني الجميع .

روث : (غاضبة) لا تقل هذا ! لن أنسى أبدا . . (تتوقف وتلتفت بعيدا حتى تخفي ارتباكها) .

روبرت : (في رقة) أتعدينني بذلك ؟

روث : (بلهجة تنم عن رغبة في التهرب) بالطبع . من المشين أن تظن أننـــا سنساك بهذه السرعة .

روبرت : (في خيبة أمل) أوه !

روث : (تحاول التحدث في خفه) ولكنك لم تخبرني بعد عن سبب رحيلك ؟

روبرت : (في كآبة) إننى أشك في أنك ستفهمين قصدى . من

الصعب أن أ شرح ذلك ، حتى لنفسى . إما أن تشعرى
به أو لا تشعرى . إنى أذكر أول إدراكي له ، عندما
كنت صبيا . . . أنسيت كيف كنت نموذجا —
للشخص العليل ، في تلك الأيام — أنسيت ؟

روث : (برعشـــة) دعنا لا نفكر في تلك الأيام !

روبرت : يجب أن نفكر فيها ، إذا أردنا أن نفهم . حسن ، في
تلك الأيام ، عندما كانت والدتي تعد الطعام ، اعتادت
أن تبعدني عن طريقها بدفع الكرسى الذى كنت أجلس
عليه إلى النافذة الغربية ، وتطلب منى أن أنظر في هدوء
لم يكن هذا شيئا صعبا ، لأننى ، على ما أظن ، كنت
دائمـــا هادئا .

روث : (في عطف وحنان) فعلا ، لقد كنت دائما كذلك —
وكنت تقاسي كثيرا ، ايضا .

روبرت : (مفكرا) ولهـــذا اعتدت ان أنظر عبر الحقول الى
التلال هناك . . . (مشيرا الى الأفق) وبطريقة مـــا ،
وبعد مضى بعض الوقت نسيت ما كنت أعانيه من ألم ،
وأخذت استغرق في الأحلام . كنت أعرف أن البحر
هناك وراء التلال — هكـــذا علمت من النـــاس —
واعتدت ان اتساءل عن شكل البحر ، وأحاول تكوين
صورة له في ذهنى (بابتسامة) . كان هناك سر العالم
بالنسبة لى — في هذا البحر البعيد — ولا يزال هذا السر
يكمن فيه . لقد نادانى وقتذاك ، كما يناديني الآن .
(بعد فترة صمت قصيرة) وأحيانا أخرى كانـــت
تتبع عيناى هذا الطريق المتعرج الى الأفق نحو التلال ،

المارشـــال : فيما اذا كنت تنوى التصديق على ميثاق الحريات الذى تفضلت بالموافقة المبدئية عليه قبل أربعـــة أيام . أريد تذكيركم يامولاى بأن البارونات قد وفقوا على هدنة معكم حتى مطلع هذا الاسبوع ، لا اكثر . واليوم هو الجمعة .

جـــون : لديهم من الجنود اكثر مما لدى . لقد أصروا على احد شروط الهدنة الذى يقضى بأن اسرحّ ما لدى من المرتزقة الفلمنكيين . واقترحت انا بالمقابل ، كدليل على حسن النية ، ان يسرحّوا ما لديهم من الأجـــراء .

المارشـــال : ولكنهم لم يفعلوا ذلك .

جـــون : كلا . ولكن من الناحية الثانية ياوليم ، فإن جيشهم قد تجمع من بين الفلاحين العاملين في اطيانهـــم . ووقت الحصاد قريب . فلسوف يضطرون الى تسريحهم والا فلن يكون لديهم طعام طيلة الشتاء . ولكن بوسع رجـــالى ان يصلـــوا من الاراضى المنخفضة بمجرد اشارة منّى . سياستّى سليمة في استخدام المحترفين حيثما امكن ذلك . وهـــم يحاربون افضل من غيرهـــم .

المارشـــال : هذه مسألة خارجة عن الموضوع ، أليس كذلك ؟ البارونات يريدون جوابا .

جـــون : آى نعم ، طبعا يريدون . نحن الى الآن لم نقتنع تماما يامارشال ببنود هـــذه الوثيقة ، فالفقـــرة الاخيرة فيها تنص على تشكيل لجنة من — دعنى

اتذكر — « يلتقط نسخة من الميثاق » نعم خمسة وعشرين من البارونات ،

« الذين يجب ان يبذلوا جهدهم في المحافظــة ، والحفاظ ، والتسبب في المحافظة على الســلام والحريات التى منحناها بموجب هذا الميثــاق » وهلم جــرا . والآن — مــن سيحافظ هؤلاء المحافظين ؟ وبعبارة أدق : من سيكون هــؤلاء المحافظــون ؟

المارشــال : اقترح كبير الاساقفة ان يقوم ثمانية وثلاثــون آخرون من البارونات بالمساعدة — والاشراف الجزئى على الخمسة والعشرين المفوضين . امــا بخصوص تكوين الخمسة والعشرين انفسهــم فأخشى أن —

جــون : انا اخشى كذلك ياسيد . سوف يختارون اكثر الطامعين تعاظما وخيانة من بين الزمرة المتمردة . يوستاس دى فيسكى ، روبرت فتزوالتر ، هل هما في القائمة ؟

المارشــال : هما في القائمة ولكــن —

جــون : ولديك ابن من صلبك يامارشال ، ما خطبــه ؟

المارشــال : مولاى ، ابنى العنيد العــاق —

جــون : وقف ضد مليكه . لقد انخرط مع رفقة السوء ، أليس كذلك يامارشال ؟

خمسة وعشرون من المشرفين للسيطرة على ملك

انجلترا . هل يريدونني ان اقطع تاجي الى خمسة وعشرين قطعة لأقسمها بينهم ؟

المارشال : لم يكن المقصود من ذلك اكثر من مجرد ضمان يامولاى .

جون : ضمان ضد أى شئ .؟

المارشال : سوء النية .

« يدخل كبير الأساقفة . ينحني بخفة تحية للملك الذى يتجاهله »

جون : سوء نية من ؟ ياوليم ، انا رجل مسن ، أشيب الرأس ، بدين . . .

المارشال : مولاى —

جون : ليس في مثل سنك بالطبع . فهذا أمر صعب . فقد كنت ، على أية حال ، بمقام معلم والدى ان لم يكن جدى . ومع ذلك فأنا مسن . ذاكرتي في تدهور . لذلك فهل لك ان تشرح لى ياصديقي المخلص بحق الاله كيف بدأ كل هذا الاضطراب ؟

المارشال : أحسب انه بدأ بسقوط قلعة سوسى .

جون : وخسارة ممتلكاتي الفرنسية . فمن أجل الحفاظ عليها اضطررت لشن الحروب . ومن اجل شن الحروب احتجت الى جيش . توفير مثل هذا الجيش هو مسؤولية باروناتي الذين يحتفظون باراضيهم لقاء ذلك . ولكن ، كما تبين لنا ، رجالهم مضطرون للعودة من أجل الحصاد ، ولذلك

استأجرت المرتزقة ، والمرتزقة يجب ان يدفع لهم . فاطلب من البـــارونات مساهمة دوريـــة تدعى ضريبة الحماية وهى مسألة كانت مقبولة لأجيال عدة كتعويض معقول عن ارسال الجنود . ولكنهم والله يرفضون الدفع .

المارشـــال : ضرائب الحماية كانت باهظة يامولاى .

كبير الاساقفة : حتى ولاشقيقك الملك ريتشارد ، برغم جميع نفقات الحملة الصليبية . .

جـــون : ولكننى لست شقيقي (صباح الخير ياكبير الاساقفة يسعدنا ان نراكم هنا) — ولاهذه السنة هى الماضية . وثمن البضائع والخدمات يزداد بصورة غير معقولة . نحتاج الى اعوجاج في الدائرة ، أليس كذلك ياباندولف . أوربما كانت هندستك الراسخة لاتحسب حسابا للتقلبات النقدية ؟ . فهذه امور تتحكم فيها مواسم الحصاد في بريتاني أو تجارة الصوف في المانيا أو أشياء تتعلق باليهود — لاأدرى هل تدرى انت ؟ فهذا وليم لم يسبق له ان فكر بهذه الامور ، صحيح ياوليم ؟ ولكن جنودى يطالبون بوجوب الدفع .

المارشال : جنودك خسروا معـــاركهم يـــامولاي كانت المعارك في فرنسا. البارونات لايجدون سببا مهما

جـــون : يدعوهم لحماية الاقليم التابعة لمليكهم. هذه خلاصة المسألة . عوز فظيع للولاء . حتى الجنود المهزومون يطالبون بمرتباتهم . انا احافظ على وعودى .

وهذا اكثر مما فعله ريتشارد . فمن الذى يسيطر على القدس ؟ لقد اقسم ان يحررها . والكافر لايزال هناك . ولكنه لن يطيل المقام . لقدصرحنا بهدفنا . وهو هدف يعتبره الغالبية قيما ، حسبما اعتقد .

كبير الاساقفة : لو كان الصليبي نفسه قيماً ، فأن قيمته تزداد بقيمة هدفه . وان كان غير قيم —

باندولف : طالماكان صليبيا فيجب أن يعتبر قيما يــاسيدى . فالصليبية قريبة من رسالة الكهانة لأن السر المقدس الذى يناوله الزاني مثــلا هو برغم ذلك منحة ربانية . هذه مسألة بدهية ، لكن —

كبير الاساقفة : لاداعى لمناقشة ذلك هنا . فهذا موضوع لاعلاقة له بما نحن في صدده هذا الصباح

جــون : بل له علاقة

كبير الاساقفة : مولاى ، انه لاعلاقة له . البارونات يتوقعون جوابا في الحال . هل انت مستعد أو غير مستعد للتصديق على الميثاق . ؟

جــون : في شكله الحالى يا كبير الاساقفة هو ميثاق جيدجدا

كبير الاساقفة : أرجو ذلك ، فأكثره من اعدادى انا . لقدتمكنت من كبح جماح مطالبهم المجافية للعدالة .

جــون : في الواقع انك فعلت ذلك وانك شديد الولاء . بعضه ممتاز . استمع الى هذا : « لن نساوم مع احد ، كما لن ننكر على احد او نتأخر عليه في

شؤون الحق والعدالة » هذه العبارة ذات حدّين
فأنا شخصيا كنت دائما احترم القوانين والعادات
في انجلترا ، ولم انكر العدالة على أحد . احيانا
كان البارونات يفعلون ، ولكنهم لن يستطيعوا
ذلك بعد اليوم ، ولن يستطيع غيرهم . عظيم
واستمع الى هذا . »

« الحر لن يلقي عليه القبض ولن يسجن ولن يحرم
مما يملك أو يتمتع به قانونا ولن ينفي أو يمس بأى
شكل من الاشكال ، كما اننا لن نستدعيه أو
نلاحقه ، الا في حدود الحكم القانوني الصادر
ممن هم في مستواه وبموجب قانون البلاد »
هل سبق لي قط أن حاولت شيئا من هذا ؟

المارشال : أحيانا يامولاى كان يبدو كذلك .

جون : الملك في مملكته يجب أن يسمح له بأن يبدو .
إذا كان ما يبدو وما هو في الواقع هما نفس الشيء
فتلك مسألة ثانية . فلو نفذ البارونات والملك
منطوق هذه الفقرة لغدا هذا البلد نعيما لساكنيه
وما رأيك بهذا ؟

« تتمتع مدينة لندن بجميع حرياتها القديمة وعاداتها
المطلقة سواء في البر أو في البحر » لقد كنت
دائما شديد الحرص على رعاية مدينة لندن —
فعندما أقاموا جسرهم الجديد عبر النهر كنت
أنا الذى زودّهم بالمهندس المعمارى . كيف

يستطيعون السير اليوم من شارع تيمس الىسَدْ َاك دون أن يفكروا بمليكهم وهم خجلون ؟ وقبل ما لا يزيد على بداية الشهر الماضي كنت قد منحتهم عهدا :

كبير الأساقفة : حاولت شراءهم بالعهد .

جون : نعم : حسنا ، لقد كانت رشوة . كنت بحاجة الى ولائهم . وهذا أسلوب الشكر عند طبقات التجار ، إذ سرعان ما فتحوا أبوابهم على مصاريعها في استقبال قوى البارونات . فعاد الأمر خيانة بلهاء ، أليس كذلك ؟ فمصالح التجار ومصالح النبلاء كانت دائما متعارضة .

كبير الأساقفة : الحكم الصالح في ظل القوانين الثابتة هو في صالح جميع الطبقات يامولاى !

جون : في صالح جميع الطبقات التي في يديها القوة ، نعم . . . لا بأس ، لا بأس الآن . أحسب أن محافظ لندن سيحتفظ بحرياته القديمة على شرط أن يأمر هذه الحامية بالخروج . هل سيفعل ذلك ؟

كبير الأساقفة : أنا سآمرهم يامولاى . سيكون لهذه الاتفاقية وجهان .

جون : هذا في نظرى أمر لا جدال فيه !

المارشال : يجب أن نثق في شرف البارونات . فهم رجال يتمتعون بالشهامة المسيحية ولا أعتقد ـ

جـون : أنا أعتقد ــ خمسة وعشرون منهم ، حسبما ظهر من ماضيهم ، لا يتمتعون بصفات المسيحية ولا الشهامة ، ومع ذلك ينتظر منهم الأشراف على تطبيق هذا الميثاق . ونحن لا تعجبنا أسماؤهم كما لا تعجبنا مقاصدهم . ونحن لسنا واثقين مطلقا بأننا سنمنحهم إذنا بالاشراف على أى شيء على الاطلاق . نثق بشرفهم ؟ أنا أحكم على شرف الرجال بالمقاييس التي أضعها : ولا أحسبني أقوى على وضع الكثير من هذه البضاعة هنـا . متى ستتعلم أن الملك المستقيم هو ملك ميت ؟ أنت تفهم هذا ياسيادة القاصد الرسولي ، فقـد شهدت سقوط العديد من الصوبلجانات في زمانك.

باندولف : كل من عليها فان .

كبير الأساقفة : ولكن النواميس الإلهية راسخة لا تتبـدل وذو الفضيلة ــ

جـون : هو برغم ذلك كائن حـر . ومن منّا يجـرؤ على التنبؤ بكيف وفي أى اتجاه ستكون خطيئتنا القادمة . لديّ خليلة شابة ، وليلة أمس خانتني مع فتى الطبّاخ في مطبخي . فلو كنت كالطاغية تايبريوس ، كما يريدك باروناتي المخلصون أن تظن ، إذن لسَملْتُ عينيها . ولكنني عوضـا عن ذلك ذهبت إلى فراش زوجتي . انهم قادمون

هنا عند الظهيرة ، أليس كذلك ؟ قد أتنــازل واستقبلهم ، وربما قد اتفق معهم . أو ربمــا لن اتفق . فالملك في الواقع سينصح نفسه . يجب أن تكون صبورا وتنتظره . . . « يهمّ بالخروج ولكنه يتوقف مخاطبا أحد الكتبة » ما اسمك ؟

الكاتب : اوغسطين يامولاى .

جــون : لقد أعطوك اسم امرىء غريب الأطوار . القديس اوغسطين من هـبوّ . مفرط في الندم . كان يتمتع بخطاياه أثنــاء ارتكابها ، وكان عليه أن يكون شاكرا فيما بعد للمتعة التي حصل عليها . لا بأس بتقديم الشكر مهما فات عليه الأوان . « يخــرج جــون » .

المارشــال : ماذا تظنه فاعــلا ؟

كبير الأساقفة : وليم ، لقد أخبرك . أنه يريد نصيحة نفسه .

المارشــال : هل تعتقد حقا أنه لم يتخذ قراره بعد ؟

كبير الاساقفة : لا اعتقد انه قد اتخذ قرارا في حياته قط .

المارشــال : ولكنه من المؤكد لا يستطيع التراجع عن وعوده في هذه المرحلة ؟ لقد ختم مسودة موقتة بمطاليب البارونات . وقد ارتبط بكلمة الشرف ياكبــير الاساقفــة .

كبير الاساقفة : نعــــم .

باندولف : « للكاتب » ماذا تعمـــل ؟

الكاتب : أعمل نسخا من الميثاق ياسيدى وأهيىء الشمع من أجل الختم .

باندولف : بتوجيهات من ؟

الكاتب : بتوجيهات منك ياسيدى .

المارشال : من المؤكد أنه ما كان ليأمر بهذه الاستعدادات لو لم يكن يقصد أن —

كبير الاساقفة : وهو قد أصدر أوامره كذلك بالاستعدادات لحملة صليبية .

المارشال : استعدادات ليست بالغة الجدية .

كبير الاساقفة : عمل اثنين او ثلاثة من الكتبة في نسخ وثائق ليس بالضرورة عملا بالغ الجدية كذلك .

باندولف : ومع ذلك فانه إن كان أراد تصديق الميثاق فسيحتاج الى هذا العمل . لذا يجب الا نتجاهله كما يجب الا نتجاهل امكانية حملة صليبية ياسيدى كبير الاساقفة . لأن البابا لا يتجاهل ذلك .

كبير الاساقفة : يؤسفنى أن أقول ان البابا لديه القليل من الادراك لما يجرى في هذا البلد ياسيدى باندولف .

باندولف : لدى البابا ما يكفى من الادراك لتعيينك في منصب كبير الاساقفة ، ياصاحب الفضيلة ، في الوقت الذى كان الملك يفكر برجل آخر ورهبان كانتربرى بشخص ثالث . ما كنت اتصورك انت من المتشككين في حكمة قداسته

كبير الاساقفة : حكمة قداسته كلفت انجلترا ست سنوات من التحريم الكنسي . فالملك ، وهو رجل متكبر ، اضطر لتقبل رفض مهين لكل ماسعى من اجله ، وأنا ، برغم منصبي الكنسي ، قد عانيت من الحزن الروحي العميق مالا يوصف . فقدان الامل خطيئة مميتة . وان كنت لم ارتكبها بعد فلأن ولائى النظرى لخليفة المسيح اعاقنى عن ذلك . أنا أقول لك الحقيقة يابادولف ، لانني رجل في خدمة الله ، وان لم يكن الله هو الحقيقة فان الله لا شيء وكهانتي لاشيء ايضا . عيب هذا الملك انه أم يفلح في فهم طبيعة الحقيقة . لقد ظن انه يمكن اكتشافها في جميع المظاهر الدنيوية ، جيدة أم رديئة ، دون تمييز بينهما . يبدو كمن نظر خلال شباك كنيسة ملوّن وقال » هنا السماء في الخارج حمراء ، وهنا خضراء ، وهنا صفراء ،وهكذا« بينما يعلم كل عاقل ان للسماء لونا واحدا فقط ، هو لون السماء ، لون الله ، فالله ليس صانع زجاج . فصانعو الزجاج ذوو مزاج . وكذلك الملك .

باندولف : أجل ولكن لو كان الملك فعلا يعتقد انه يرى هذه الالوان جميعا ، الا يتوجب على الرجال الذين عليهم ان يتعاملوا مع الملك ان يتظاهروا على الاقل انهم يرونها كذلك ؟ ولنستمر في تشبيهك : نحن نضع النوافذ الملونة في كنائسنا لنعلّم الجهلاء

ونسليـّهم : ولكن لواننا بالغنا في اظهار ازدرائنا
لأسرار فن صانع الزجاج ، فاننا سنزلق في خطر
تخييب آمال جمهورنا الكنسي .

المارشـــال : انا لست واثقا بانني افهم ما تتحدثان عنه أيهـــا السيدان . ولكنى اذا لم يقم الملك بتصديق الميثاق فإن البارونات سيعزلونه – وقد يقتلونه . فسواء كان موضع ثقة ام لا ، فهو لايزال ملك انجلترا وقد اقسمت يمـــين الولاء في خدمته . حول أى شئ يعاند ؟ المشرفين الخمسة والعشرين ؟ هـــل تعتقد انه سوف يقبلهم لو ان البارونات جـــددوا أيمان الولاء القديمة لخدمته وحافظوا على تـــلك الايمـــان ؟

كبير الاساقفة : اعتقد انه سيفعل . ولكنهم اتخذوا الكثير مـــن ايمان الولاء في الماضى وكانوا دائما يحنثون بها .

المارشـــال : كان ذلك نتيجة استفزاز خطير من طرف الملك. لقد كان الملك دوما يطالب بضريبة الحماية في وقت لم يعرف عن ملك آخر أنه طالب بمثلها . يجب ان تحمينا سابقة ياكبير الاساقفة ، فهنا لك سوابق وأعراف تحكم واجبات النبلاء في المملكة وها هى ذى مدونة هنا –

كبير الاساقفة : أجل يامارشال أجل . انا متفق معك . نعـــم . ولكن الملك قُلّب ومن الضرورى توفير شئ

اكثر من مجرد سوابق مفصلة : يجب ان نتقـــدم بمبادئ ونحمله على السير بموجبها . أنا لستمقتنعا على الاطلاق ياباندولف بأنني قد نلت معاضدتك

باندولف : ان المبدأ الوحيد الذى ينال معاضدتى ياصاحـــب الفضيلة – يجب ان يكون المبدأ الوحيد الذى ينال معاضدتك انت – هو مبدأ أولوية الكنيســـة في المسائل الروحية . وبما أن الملك قد اعلن نفســـه صليبيا ، فإنه قد قبل هذا المبدأ .

المارشـــال : إن القول بأن الملك صليبى ليس أصدق من القول بأن أعمل غسالة . وعلى كل فإن هذا لاعلاقة له مطلقا بخصومته مع البارونات .

باندولف : اتعتقد ذلك ؟ ان زعيم البارونات لم يُظهر كبير محبّة للكنيسة .

المارشـــال : هو في الواقع لم يُظهر . رغم انه يحلو له تسميـــة نفسه قائد جيش الله . ها هو قـــادم . ياترى أى ملاك يعطيه أوامر المعركة ؟ سيدى اللـــــورد فتزوالتر . . . . .

« يدخل فتزوالتر ، دى فيسكى ، ابن المارشال والبارونات مع محافظ لندن فتزوالتر يردّ تحيـــة المارشال بايماءة . »

فتزوالتر : حبر ، صحائف ، شمع ، حرس رهن الاشارة ... هل ينوى وضع خاتمه ؟ أو ربما لاينوى ، ذلك؟ احراج لكبير الاساقفة . . . مارشال ، تبدو عليك سيماء رجل ربطوا انفه الى ذيل كلب . أين هو ؟

المارشـــال : الملك ، تعنى ياسيدى ؟

فتزوالتر : جنوده في الاراضي المنخفضة ، وجنودى عـــلى ضفة النهر الاخرى . هناك . سوف اعطيه ساعة واحدة وعند انتهائها سيرغب جيش الله في تناول العشـــاء .

كبير الأساقفة : ليس من الحكمة ان تدعوا انفسكم كذلك .

دى فيسكى : جيش الله ؟ العدالة من شأن الله ، ونحن جوعـــى للعدالة .

كبير الاساقفة : جوعى . كلمـــة دقيقة . عندما تمتلئ بطونكـــم تكون العدالة منسية .

دى فيسكى : لا أرى ما يدعو لاهانة حليفك في هذا التمرد . أية مواد من الميثاق لن يوافق عليها الملك ؟

المارشـــال : خمسة وعشرون من المشرفين على ملك انجلـــترا يأمرونه .

فتزوالتر : هذه المـــادة أساسية .

المارشـــال : قلت له ذلك . وربما سيوافق عليها إن تشكلـــت لجنة ثـــانية للمساعدة في الاشراف على اللجنـــة الاولى .

فتزوالتر : يمكن اعطاؤه ذلك إن أراد . وأنا سأختار اللجنة.

كبير الاساقفة : كلا ياسيدى ، أنا الذى سأفعل .

فتزوالتر : كما تشاء . وماذا بعـــد ؟

كبير الاساقفة : مدينة لندن . حرياتها ، كما تعلم ، يجب انتؤكد

في الميثاق . هل سألت المحافظ ان كان بوسعك البقاء بين اسوار مدينتـه ؟

فترزوالتر : كلا ، ولكني سأسأله الآن . هل لنا ، ياسيدى ، ان نبقى في حدود اسوار مدينتك ؟

المحافـظ : أنتم في الواقع فيها ياسيدى . ولا استطيع اخراجكم حتى لو رغبت في ذلك . ولكنك تستطيع القول ، كما أظن ، بأن حرياتنا تشبه حرياتكم كثيرا ، وهناك حاجة الى جنودكم للمحافظة على تلك الحريات ، ولكن مسألة المحافظة — ماذا عن وعود الملك ، حتى لو وضع خاتمه ، هل تظن انه سيحفظها ؟

ابن المارشال : يحفظها ؟ لا ياسيدى ؟

المارشـال : كلمة المليك يجب ألا تكون موضع مناقشة . أنا لم أكن راغبا في التحدث اليك . فأنا لا أعترف باشتراك ابني في هذا التمرد .

ابن المارشال : إن أعطى الملك الميثاق لن نكون متمردين . أهدافنا في حدود القانون يا أبي .

المارشـال : لقد قلت الآن أنه لن يعطيه .

ابن المارشال : قلت أنه لن يحفظ وعوده .

المارشـال : لا يجوز لابن المارشال أن يشك في وعود الملك .

كبير الأساقفة : أيها السادة ، في هذه الأيام لا يوجد شيء هو ليس موضع شك . لذلك ومن أجل أن تبين للملك بأننا نحن على الأقل يتوفر في قضيتنا الاخلاص

والعدل ، حبذا لو اشتركتم في هذا البيان المقتضب الذى أخذت على عاتقي إعداده . مقتضب ولكنه في غاية الأهمية « يقرأ من ورقة » « وليعلم بأننا مرتبطون بايمان الولاء والطاعة تجاه مولانا جون ملك انجلترا على أن نحفظ باخلاص أعضاءه الجسدية وسمعته الدنيوية ضد جميع بني البشر ، وأن نحفظ ونحمي جميع حقوقه وحقوق ورثته وحقوق مملكته » .

ياسيدى اللورد روبرت فتزوالتر ، هل لك أن تضع خاتمك على هذا ؟ بوسعنا تقديمها الى الملك.

فتزوالتر : كلا ، لن أفعل . يجب أن يضع خاتمه على وثيقته هو أولا .

كبير الأساقفة : سيدى اللورد يوستاس دى فيسكي ؟

دى فيسكي : لقد قدمت أيمان ولاء للملك قبلا ، ولا داعي لتكرارها .

كبير الأساقفة : ستساعد في اقناع الملك بأن —

فتزوالتر : « شاهرا سيفه » جنوده في الأراضي المنخفضة . جنودى عبر النهر .

« جميع البارونات يشهرون سيوفهم عدا ابن المارشال »

كبير الأساقفة : أهذا جوابك القاطع ؟

فتزوالتر : أجل .

كبير الأساقفة : أخشى أن الملك لن يختم العهد .

دى فيسكي : منحناه ساعة واحدة ، ولما يمضى منها الربع . سوف ننتظر .

« يجلس البارونات على الأرض » .

كبير الأساقفة : دعني اجتهد في اقناعك مرة أخرى —

فتزوالتر : كلا .

المارشال : أغمد ذلك السيف ياسيد . فمن غير المناسب إطلاقا أن تشهروا نصالكم في حضور المارشال — إذا لم يكن هو قد فعل .

دى فيسكي : نحن جيش الله ولدينا مارشال من بيننا .

المارشال : ولديكم ميثاق كذلك — هو ذا ، مدوّن ، كلمة القانون ياسيد ، القانون . سابقة طيبّة وعادة طيبّة ، والبديل عن سفك الدماء . ومع ذلك فأنتم تتقدمون بسفك الدماء كبديل عن القانون ، وأعتقد أنكم تفضلون ذلك .

فتزوالتر : أجل ، أنا أفضل . هذا ميثاق جون وليس ميثاقنا — لقد فرضه علينا لكي يغطي على هزيمته ، ووالله أنني لآسف لمجرد أننا نظرنا فيه .

كبير الأساقفة : لا يافتزوالتر ، لا ، انه ليس ميثاق الملك جون بل انه مستقى من ميثاق الملك هنرى الأول طبقا لسابقه قديمة . وسيوفكم الآن سوف تفقده قيمته كلية ، المارشال على صواب تماما .

فتزوالتر : المارشال بلغ من الكبر عتيا ، وقد أصابني من

المارشال ما فيه الكفاية وأنا على وشك إعطـــاء أوامرى بلجيشي بالتحرك .

ابن المارشال : ساعتك لم تنته بعد .

فتروالتر : ساعتى انتهت في العام الماضى . التمديدات الاضافية تجعل منا مسخرة . «يدخل جون من خلفهم بمفاجأة . يجدون انفسهم ينهضون بصورة آلية ، تاركين سيوفهم على الارض»

جـــون : حقا ؟ تفضلوا بالجلوس . هل حضرّت الشمع يا اوغسطين ؟ حسنا ، الى العمل اذن ، الى العمل «يبدأ الكتبة بسكب الشمع على الميثاق . يجلس جون على العرش» قلعة سوسى ، التى شيدها أخى الملك ريتشارد لتكون نقطة الدفاع الرئيسة في نورمندى ، سقطت منذ احدى عشرة سنة ، وليس بسبب تقصير من قائدها . ونتيجة لذلك لم تعد نورمندى من ممتلكات التاج الانجليزى . السبب الذى سهل الاستيلاء على قلعة سوسى عزوه الى غلطة ارتكبها المهندس الذى خطط البناء . فالخندق العميق الذى كان يحيط بالحصن المركزى ترك فيه امتداد صخرى صغير عبر الماء ، استغله رجال الملك فيليب كحماية لاعمال النسف واللغم والتى لولاه لكانت واجباتهم في منتهى الاستحالة والخطر وهم يعملون من اجل تخريب اسس الجدار الصخرى العظيم الممتد فوقها . وقد انهار الجدار في آخر الأمر ، ثم «قلّصت» الحامية ،

حسب تعبيرهم ، أما لماذا ترك الامتداد الصخرى عبر الخندق فأحسب ان من غير الحكمة اتّهام المهندسين بنّية الخيانة . فقد كانت خرائط القلعة من عمل أخى نفسه في الغالب وهو ، اضافة الى انه لم تكن لديه مصلحة في ضياع نورمندى كما ضاعت ، يعتبر أكبر ثقة في فن التحصين في العالم المسيحى أجمع . كل هذا يرينا ، الى أى حد نحن معرضون للخطأ ، وكذلك الى أى حد يحتمل ان يكون صنع أيدينا معرضا للخطأ .

« الميثاق المختوم يسلمّ اليه فيلمسه بيده »

هذا من صنع يدى انا ، ترجموه الى لغة رسمية يصبح « أقدمّ في هذا قولى وعلمى » هاك يافتزوالتر بوسعك تفريق كلابك ، فنحن مصممون على عقد مجلس في مدينة اكسفورد في منتصف الشهر القادم ويسعدنا ان تحضروا .

« ينهض فجأة ويتجه للخروج . تسود فترة صمت وارتباك . »

المارشـــال : لقد تكلم الملك ياسادة .

فتزوالتر : اذن لم يعد هناك مايقال . سنجتمع به في اكسفورد حتى ذلك الحين —

كبير الاساقفة : سترسل نسخ في الحال الى جميع اطراف المملكة وستصدر الأوامر الى الاداريين في الاقليم بوجوب قراءتها على مسامع الجماهير المحتشدة ، وتعليقها في الكاتدرائيات لكى يفهم جميع الناس ماتم

عليه الاتفاق ، ومامنحوا اياه ، وأية قوانين وعادات قد تمّ التواضع عليها وتأكيدهاوالمصادقة عليها بخاتم الملك . وخلال المجلس القادم سيتم فحص كل مادة في الميثاق بالتفصيل ، ويناقش أمر تطبيقها الفورى وتوضع موضع التنفيذ .

المارشـــال : الملك يسمح لكم بالانصراف.فليحفظ الله الملك « بعض البارونات يشتركون في الهتاف مساقين . البارونات والمحافظ يخرجون في ارتباك »

جـــون : وانت كذلك ياوليم . ياكبير الاساقفة . ياسيد باندولف . نحن شاكرون جهودكم التى قمتم بها عن رضى . .وحياة الله انا راغب فيالاختلاء بنفسى : « يخرج المارشال وكبير الاساقفة .يعود باندولف الى كرسيه ، لكنه لايقعد .جون يخاطب الكتبة » سمعتم ماقاله كبير الاساقفة . عليكم بتوزيع الوثيقة بعناية من اقصى انجلترا الى اقصاها لاشك انه اعطاكم قائمة بجميع النسخ الواجب اعدادها ؟ دعوني أراها . . . نعم ، جميع هذه صحيحة . . . ونسخة اضافية ، مع رسالةتوضيحة ارسلوها الى البابا .

« يخرج جون . يقترب باندولف من الكاتب »

باندولف : هل انت مندهش ؟

الكاتب : لم يتخذ ترتيب لعمل نسخة للبابا . ولكن لن يستغرق اعدادها طويلا . هل نرسلها الى روما أو نعهد بها اليك لارسالها ؟

باندولف : أمرك الملك بارسالها . فهذا أسرع بكثير .

الكاتب : أعتقد أنه ، إن فكرنا بالأمر ياسيدى ، وجدنا من الطبيعي أن يحاط قداسته علما . لأنه —

باندولف : لأن الملك الآن من أتباعه . وجميع أعمال التمرد والتآمر والقسر التي قد تحدث ضد الملك هي في الواقع موجهة ضد شخص البـــابا . ولهذا السبب فرأيه حول هذه الوثيقة يمكن أن يعتبر مهما . ولا بد أن يبلغنا هذا الرأى هنا في انجلترا قبـــل نهاية الصيف : وكذلك قبل نهاية الصيف يكون الملك قد استطاع تجميع قوات جديدة من الأراضي المنخفضة ؟

« إذ ينشغل الكتبة بتهيئة الصحائف يتجه باندولف إلى مقدمة المسرح » .

عاصفة تثور بين الدوائر الكاملة ،

كل يوم هبّة ريح أو دمـــدمة رعـــد .

تُعلن عن محاولة مبتورة لتعلن عن — ماذا ؟

مشغولة مشغولة مشغولة جـــدا :

ومهما تكن فستكون مبتـــورة ،

ســـتكون غلطـــة مكسورة :

لكنما نحن الذين نحافظ على الدوائر

نحافظ على موسيقاها التي لا يرقى إليها النقد ،

ونحن الذين لنـــا امتياز سماعها

لا نستطيع أكثر من إظهار عجبنـــا

عندما يحسب المتجاسرون، والمطارنة على الخصوص

ان بوســـع أنغامهم الكاذبة

أن تخرج بها إلى لحن جـــديد .

أكيد أنهم لا يحسبون أن الله يتكلم من خـــلال

ميثاقهم ؟

حزيران هذا هو الخامس عشر بعد ألف ومائتين

منـــذ أن تكلم الله فعـــلا .

من يتجـــزأ أن يبحث

عن أصابع الرخام في طور ســنين

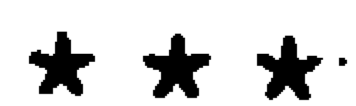
ملتوية حول ريشـــة ذلك الشاب الدؤوب ؟

دم ، عظـــام ومـــاء

ســتثير الضحك في المقبل من الأيام . ،

أو نوافذ زجاج هشـــة يحطمها أناس محطمون .

« يلف خـــريطته ويخـــرج »



الفصل الثاني

المشهد الأول

« نسخة مختومة من الميثاق معلّقة قبالة كرسي باندولف . صورة لداخل بناية غوطية على شيء من التعقيد ، فيها كتبة جالسون إلى مكاتبهم يكتبون . يدخل باندولف وكاتب — والأخير يحمل ضمّة من الصحائف » .

باندولف : جد مشغول ، جد مشغول ، أجل .

الكاتب : أترى من الضروري إرسال نسخ من هذه إلى البابا ؟

باندولف : أشك في ذلك . لقد أُخبِر قداسته عن الخنزيرة الأم —
أليس بوسعه التكهن بصغار الخنازير ؟

الكاتب : « يريه الصحائف » قرارات وأوامر ملكية في الغالب ، تتعلق بمظالم شخصية متفرقة عالجها الميثاق بصورة عامة . فهناك مثلا عدد من النبلاء طالت مطالبتهم عبثا بملكية قلاع صادرها الملك لعدم الوفاء بدين ، أو عدم الولاء ، أو يمكنك القول لغير ما سبب على الاطلاق — مجرد التعبير عن كراهية ملكية . سيقال لهم الآن أن عمل

الملك لم يكن مطابقا للقوانين القديمة والاعراف :
وبوسعهم استرجاع قلاعهم . وهكذا تعود قلعة
مونتسوريل الى لورد دى كوينسي ، وقلعة
ريتشموند الى لورد فتزآلف الذى لا يستحق
بنظرى أكثر من حفرة في الأرض طولها ستة
أقدام — أما لورد فتزوالتر فسيمنح الاشراف
على قلعة هيرفورد . يوستاس دى فيسكي — الذى
لن أعطيه أكثر من حفرة في الأرض طولها
ستة أقدام تملأ بالجير المحرق — سيستعيد حقوقه
التقليدية في الصيد في مقاطعة درم . أتمنى أن
يصطاد أرنبا أكل من عشب مسموم فيموت
هو منه . من الطبيعي الا جدال في كون الملك
قد تصرف في الماضي ، كما يقال ، بصورة
غير قانونية . ولم لا ؟ عندما يقوم أناس لاضمير
لهم باستعمال صورة القانون لحجب العدالة
واضطهاد الشعب ورفض ما عليهم من خدمات
تجاه السدة الملكية ؟ لم لا ؟

باندولف : أن يقوم الملك بإصلاح أحكامه الجائرة لهو عمل
يستحق الثناء . ولكن ليست جميع الأحكام التي
سبق أن أعطاها هي مما يعد جائرا اليوم ، ؟

الكاتب : كلا ، ولم تعد كذلك ؟

باندولف : وهو لم يبلغ الشيخوخة بعد . أو على الأقل أنه
لن يبلغها لو سيطر على شهواته . وأمامه الكثير
من الأحكام التي يجب أن يتخذ . هل تحسب أنه

سيتخدها بملء حرية القلب والعقل ، كأبن أبيه المكرّس بالزيت المقدس ، وحوله خمسة وعشرون من خونة البارونات غير المكرسين ، والمختارين استنادا إلى مجرد كلمة منهم يبدو فيها التحيز جليا ، واقفين له بالمرصاد لكل ما يعمل ؟

الكاتب : أظن أن بوسعهم أن يضمنوا أن تصرفات الملك لا تتعارض كثيرا مع الوعود المقدمة في رنيميد — فإن وجهّ الملك تصرفاتهم بالعناية التي يستطيعها ، فربما لن يكون بمقدورهم الوقوف بوجهه أكثر مما يفعل الوزراء والمستشارون في العادة . وذلك أمر لم يسبق له في الماضي أن شكل عقبة كبيرة ، إن جاز هذا القول ؟

باندولف : في الماضي ربما لا . ولكنك ستجد الأمر مختلفا الآن : فهؤلاء رجال نشطون ، متعسفون ، متقلبون وبالطبع فقد قيلت نفس الأشياء عن الملك . ولكن الجليل قد قارن مرة ملكوت السماء بقاضي غير عادل : وقد روى كذلك قصة عن أجور غير مناسبة قط أعطاها مشرف لقاء عمل في بستان كرم ، ويلاحظ أن الجليل رواها بلهجة راضية واضحة . لقد ابتلى أيوب دونما سبب ، وعندما انهار برج سلوام فإن الذين قتلوا بانهياره لم يكونوا أكثر خطايا من جميع سكنة مملكة اسرائيل . فالله تحديدا ، لا يمكن أن يكون غير عادل : لذلك فإن ما يبدو من الأمور غير

عادل إذا ما ربط بمجموع الحكمة الإلهية التي لا يسعنا حتى الآن إدراكها ، فلن نجد فيها من التعسف كما قد يظن . هذه الأمثلة التي قد تبرر تصرفات الملك ، لا يمكن أن تبرر تصرّفات البارونات . فلجنة الخمسة والعشرين قد شكلت دون رادع : فهي تدين نفسها : وستجدها حجر عثرة .

الكاتب : ياسيدى أنت لا تدرك مدى قدرات الملك . فهو لم يجتمع بالخمسة والعشرين بعد . فعندما يبتدىء المجلس في اكسفورد —

« يدخل جون »

جون : أعتقد أن الرعب سيصيبنا جرّاء كشف فاضح . . . باندولف ، لا تجرأ على القول الى سيدك المبجّل بأنني امرؤ غير صادق . « يشير الى الصحائف » انظر الى هذه جميعا — أزرار فضة وذهب ، ممساك من جوهر ، منتزعة من ملابسي ، من ملابسي الداخلية أنا ، مقذوفة الى الطغام ، إنفاق عن سعة ، كما يفعل مليك في قصة خرافية — ولأى سبب ياسيدى ؟ لأنني أعطيت وعدا . ضميرى مرتاح عندما أدخل هذا المجلس. وقد بدأت انصاع الى الميثاق . ولكن هل سيفعلون مثلي ؟

ها ، سوف نكتشف .

مما يبدو على وجوههم .

وما يظهر من جلســاتهم ،
ســنعلم ما يضمــرون .
لا قــدرّ الله .
أن أبرهــن بأنني
رجل من الســهل محبتــه :
ولكن إن فضلوا الكراهية .
فستكون هيئتي في المجلس .
تمثــالا للكراهيــة .
هل كل شيء جاهز يا أوغسطين ، هل البارونات مجتمعون في المجلس ؟ هل ندخل اليهم ؟

الكاتب : أجل ياصاحب الجلالة ، البارونات في انتظــار تشريفكم .

جــون : نبرة صوتك ليست في تمام الوثوق . . . ماالسبب لابأس . الى العمل ، الى العمل . . .

« يقعد باندولف ــ يُكشف المجلس ــ عرش في الوسط ، مصطبة الى يمين العرش واخرى الى شماله للمؤتمرين ، وهم البارونات الخمســة والعشرون من الفصل الأول ، معهم المارشال وكبير الاساقفة ، اللذان ينهضان عند قدوم الملك أما الآخرون فيبقون جالسين »

المارشــال : حضرات اللوردات ، جلالة الملك ياحضرات اللوردات :

جــون : شكرا ياوليم ، ولكني قد لوحظت على مااعتقد . ياسادة ، لقد اقبلنا . الا تريدون النهوض كدلالة

على احترامكم ؟ حسنا ، بوسعكم البقاء جالسين
اذن فجلستهم مسترخية ، اليس كذلك ؟

« يتقدم فيقف ازاء العرش »

الجلسة المسترخية تفيد الهضم ، كما يقال . لاشك في انكم قد تناولتم عشاء ضخما . أنا أعاني من النقرس ، وطبيبى لم يسمح لى اليوم بتناول شىء عدا وجبة هزيلة واحدة . لذلك فأنا جائع عديم الصبر ، سريع الانفعال ، ويسرني البقاء واقفا ، بالرغم من الالم في قدمى . في قدمى اليمنى ألم فظيع أعلن ان المجلس في حالة انعقاد ، واذ انظر الى هذا المجلس في حالة الانعقاد ، بل إذ أخطو في هذه القاعة التي تضم هذا المجلس « يخطوا في القاعة جيئة وذهابا » سرعان ماأصل الى نتيجة مؤداها أن ثمة شيئا واحداً للنقاش . ان أية مناقشة لتفصيلات شروط الميثاق هى مسألة لاداعى لها قط حتى تخرجوا جنودكم من مدينة لندن . البنود التى تخصكم من الاتفاقية ، انتم ايها الفاسقون المراوغون ، هل ستحترمونها ام لا ؟

دى فيسكى : « منتفضا » لا تصفنى بالفسق — هنـــاك حقائق معروفة ضدك —

فتزوالتر : « كذلك » نحن ماجئنا هنا لسماع الشتائم والاهانات « بارونات آخرون يتنافضون ويتصايحون — »

البارونات : « في هياج » احترم الميثاق نفذ وعودك — لماذا لاتحترم كلمتك ؟

جــون : حسنا ، لقد نهضتم على اقدامكم اذن بوسعي اراحة قدمي على حساب عجيزتي لأن النقرس لم يصل الى هناك ، وهذا من دواعي سروري . « يجلس على العرش . البارونات لايستطيعون تقرير القيام أو القعود »

يوستاس ، طالما انت واقف هناك فبوسعك البقاء واقفا : وانت كذلك يافتزوالتر : هذا افضل . . والآن هل تتفضلون جميعا بالجلوس ؟ وهكذا ، وبعد استعادة المجاملات المعتادة ، هاتوا لنستمع الى هذه الحقائق المعروفة ، إن فضيحة مثيرة صغيرة ، تساعد دائما في تزييت عجلات الحكومة . على الاقل عندما اكون انا خلف عجلة القيادة . . . تفضل ، اذن ، ايها الفارس المغوار ياغندور الديكة ــ حقائق ، لو سمحت ياولد ، حقائق :

دى فيسكى : انا رجل لايمكن المس من رفعة نسبه ، اجدادى ــ

جــون : نحن هنا لايهمنا أمر اجدادك ، يوستاس ، نريد حقائق ــ ضدى انا ــ هل تذكر ؟

دى فيسكى : لقد غررت ، خلافا لجميع قواعد السلوك المهذب والنظام المقبول في المجتمع ، لقد غررت ــ

جــون : بهذه ، بتلك ، بالاخرى . . في فترات شتى ، وبدرجات متفاوتة من اللذة أجل . وقد فعلت مثلى انت . ماذا في ذلك ؟

دى فيسكى : انا أشير الى سيدات من أصل رفيع . انا اشير الى سيدات مصونات متزوجات أنا اشير الى ــ

جـون : انت تشير الى زوجتك بالذات ، يايوستاس — وقد استغرقك الوصول الى هذه النقطة طويلا . المسألة مهمة اذن . كانت لك وانا اخذتها . ألديك دليل ؟

دى فيسكى : سادتي اللوردات هذا لايطاق :

جـون : ربما لو كان لديك دليل ، أكثر من دعواها هى والنساء يقلن أى شيء ، وهكذا شأن بعض الرجال وتعرف اين يوجد الدليل — انه في حسابات الخزانة الملكية ، لأنك تعرف جيداً بأننى لو قد اخذت زوجتك فعلا ، فما ذلك الا لأنك انت قد أردتنى أن اتسامح عن بعض الضرائب المفروضة عليك . ضرائب لها مايبررها . فالملك بحاجة الى المال ، وهو مستعد لعمل أى شيء من أجل الحصول عليه — وهذا سبب وجودنا هنا اليوم . المال مطلوب عوضا عن تجميع الجنود ، والزوجة مطلوبة عوضا عن تجميع المال . هل تحسب أن دنّ خمر قديم قبيح مثلى قد اغواها باستعمال فتنته الجسدية ؟ ذوبّ الله شهوتي يادى فيسكى ان كانت جاءتنى من اجل لاشيء : أم أنها جاءتنى على الاطلاق ؟ لن نناقش مسألة العهر اكثر مما فعلنا . لقد ذكرت مدينة لندن وأريد جوابا .

كبير الاساقفة : مولاى —

جـون : كنت في الواقع اخاطب مارشال جيش الله يامولاى الذى لم يفتح فمه للان — على الاقل لم يفتحه

لخير . ومع ذلك فعند الله جيش آخر ، اعزب لحسن الحظ . تفضل بالكلام .

كبير الاساقفة : لقد رفض البارونات مغادرة لندن يامولاى .

جـــون : لماذا ؟

كبير الاساقفة : لديهم سبب ، وهو سبب غير وجيه في نظرى ، ولكنهم كعسكريين يجدون له تبريرا على هذا النحو فحتى يظهر الدليل على ان التعهدات الملكية المنصوص عليها في الميثاق هى موضع احترام ، فهم لايجدون مايرغمهم على اخراج حامية هى أقول مرة اخرى من وجهة نظر العسكريين ، ذات فائدة كبيرة .

جـــون : وهذا صحيح . فهم قاعدون في لندن ، وقاعدون في مجلسى ، ويتركون الأمر لى لأنهك ساقى المصابتين . انا اعرف لماذا هم قاعدون في لندن فعندما يحتاجون مساعدة من ملك فرنسا ماعليه إلا أن يصعد في التيمس اليهم . وهذا يعطيهم من القوة ما يساعدهم على تحدى الملك في وجهه ملكهم المتسامح الكريم ، الذى يعمل جهده للوصول الى سلام معهم . فلم يسمع احد قط قط برعايا مخلصين يبقون جالسين لدى دخول مليكهم : والشىء الوحيد الذى يقيمهم هو سماع الكلام الفاحش من فم ذلك المليك . نحن مذهولون ياكبير الاساقفةفلو استطعت قتل هؤلاء الناس

هنا لفعلت . ولكنى الآن لااستطيع . هل لديك اقتراح بديل ؟

كبير الاساقفة : الاعتدال .

جـــون : كان الله في العون ــ لمن ؟

كبير الاساقفة : للجميع يامولاى . من اجل تقديم العون الى الجيش في لندن ، فأن أية حملة فرنسية عليها المرور بالبرج . فلو كان البرج في حوزة ــ

جـــون : الملك ؟ لكان الامر رائعا . ولكنه ليس في حوزتي فلماذا تذكره ؟

كبير الاساقفة : ليس في حوزة الملك يامولاى ، بل في حوزتي أنا .

جـــون : لم يكن لدى علم أن لديك قوات .

كبير الاساقفة : ان حامية البرج هى حامية دائمة ، والمفروض انها في خدمتك . ولكن القائد هناك قد انحاز الى البارونات . فإن كان قد انقلب مرة فبوسعه ان يفعل ثانية . سيدى اللورد فتزوالتر ، هل تسمح لهذا الضابط ان يكون تحت امرتى ؟

دى فيسكى : هل تثق به ؟

كبير الاساقفة : هل تثق انت ؟

دى فيسكى : المعروف عموما ان البرج لايمكن اقتحامه .لذلك فأنه لو أراد لجعل الذين في الداخل يسخرون منا جميعا ــ

روبرت : (يضع يده على ذراع أخيه) يا إلهي ! هذا فظيع ! إنني أشعر بالذنب . . إذ أفكر بأنني سأكون سـبب عذابك ، بعد أن كنا أخوين متفاهمين طيلة حياتنـا . لو أنني تنبأت بمـا حدث ، أقسم لك ، لمـا ذكرت كلمة واحدة لروث . أقسم بذلك ، يا أندى .

أندرو : أعرف أنك ما كنت تتكلم ، وهذا يكون أسـوأ ، إذ أن روث كانت ستتعذب (يربت على كتف أخيه) ان هـذا أفضل وضع . عليّ أن أرحـل ، وأحتمل الصدمة ، هذا كل ما في الأمر . وسيدرك والـدى مشاعرى . . بعد وقت (وعندما هـز روبرت رأسه) وإذا لم يدرك . . فليس بوسعي عمل أى شيء .

روبرت : لكن ، فكر في والدتك ! يا إلهي ، يا أندى ! لايمكنك الرحيل ! لا يمكن !

أندرو : (بعنف) لابد أن أرحل . . لابد أن أرحل ! لابد . سأجن لو بقيت هنا ، إذ أن كل ثانية ستذكرني بأنني كنت أبله . لابد أن أرحل وأحاول النسيان ، على قدر استطاعتي . لو بقيت لكرهت المزرعة ، لكرهتها لأنها ستذكرني بكل شيء . ولن أجد متعة في الغمل بعد الآن ، إذ أنه سيكون عملا بلا هدف . ألا ترى أن هذا سيكون جحيما ؟ أنت تحبها أيضا ، ياروب . ضع نفسك مكاني ، وتذكر أنني لم أتخل عن حبها ولن أستطيع ذلك لو أنني بقيت هنا ، هل هذا من الانصاف لك ولها ؟ ضع نفسك مكاني . (يهـز أخاه بشـدة من كتفه) ماذا تفعل إذن ؟ قل الصدق ! أنت تحبها .

ماذا تفعل ؟

روبرت : (في غصبه من شـــدة التأثر) ارحل . . ارحل ، يا أندى ! (يغطي وجهه بيديه وهو يشهق بالبكاء) يا إلهي !

أندرو : (وقد بدأ أن جسمه أخذ في الاسترخاء فجأة . . ويقول في صوت ثابت منخفض) إذن أنت تدرك ضرورة رحيلى ، ولنكف عن الكلام في هذا الموضوع بعد الآن

روبرت : (في ثورة محمومة) لمـــاذا يحدث هذا لنـــا ؟ انه لشيء لعين !

(ينظر حواليه كما أن روح الانتقام لديه تبحث عن القـــدر المسئول) .

أندرو : (مهدئا . . واضعا يده ثانية على كتف أخيه) لا فائدة من الاهتياج بعد الآن ، ياروب . انتهى الأمر (يتكلف ابتسامة) أظن أن روث لها الحق في أن تختار من تحب . لقد كان اختيارها موفقا . . باركها الله !

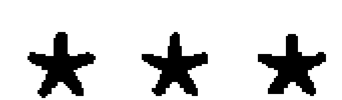
روبرت : أندى ! أوه ، ليتنى أستطيع أن أخبرك ببعض مما أشعر به نحوك .

أندرو : (يقاطعه بسرعة) اسكت ! فلنذهب للنوم . عليّ أن أستيقظ قبل شروق الشمس ، وأنت كذلك إذا كنت ستوصلنا بالعربة .

روبرت : طبعا . طبعا .

أندرو : (يخفض من ضـــوء المصباح) وعلى أن أحزم أمتعتى . (يتثاءب في إعيـــاء تام) انني مرهق كما لو أنني كنت

أحرث أربعة وعشرين ســاعة متواصلة . (في فتور)
أشعر بأنني هامد . . كالميت . (يغطي روبرت وجهه
ثانية بيديه . يهــز أندرو رأسه كما لو أنه يريد إزاحة
أفكاره ، ويستمر في محاولة يائسة لأن يبدو مــرحا
ونشطا) سأطفىء النور . هيا . (يربت على كتف
أخيه . لا يتحرك روبرت وينحني أندرو ويطفىء
المصباح ، ويسمع صوته آتيــا من الظلام) لا تجلس
حزينا وفي حداد هكذا ، ياروب . سيزول كل هذا
في الغسيل كما يقولون . هيا ونم قليلا . وسينتهي كل
شيء بخير (يسمع صوت تعثر أقــدام روبرت ،
ويمكن رؤية شبحي الأخوين وهما يتحسسان طريقهما
في الظلام متجهين نحو المدخل في مؤخرة المسرح ،
عندما يســدل الستار) .



الفصل الثاني

المنظــر الأول

(نفس منظر الفصل الأول (المنظر الثاني) . حجرة جلوس في دار المزرعة حوالى الساعة الثانية عشرة والنصف بعد ظهر يوم قائظ شديد الحرارة من أيام منتصف الصيف ، بعد أحداث المنظر السابق بثلاث سنوات . كل النوافذ مفتوحة ، ولكن لا يوجد أى نسيم يحرك الستائر البيضاء المتسخة . وفي مؤخرة المسرح « بارفان » به رقع ، من خــلاله يمكن رؤية الامتداد البسيط للمرجة الخضراء التي تفصل الممر القــذر الذى يفضى إلى الباب عن البوابة التي في السور ذى الأسياخ الحديدية المدببة الذى يكون حدا للطريق .

لقد تغيرت الحجرة ، ليس في مظهرها الخارجي أكثر من مظهرها العام . هناك تفاصيل صغيرة تشهد على الأهمال ، وعــدم الكفاءة ، وانعدام روح المثابرة وتبدو الكراسي رثة من جراء عــدم الطلاء ، كما أن مفرش المــائدة مبقع ومتهدل وبالستاير ثقوب . وتحت المــائدة دمية طفل بذراع واحد ، وفي ركن الغرفة فاس ، وهناك معطف رجالى ملقى على الأريكة في مؤرخة المسرح . المكتب زاخر بمختلف الأشياء المتناثرة ، وعلى « البوفيه » بعض الكتب المكدســة في اهمال . ويبدو أن حالة الارهاق التي يشعر بها الانسان في ظهر يوم لافح الحرارة قــد تسربت الى داخل البيت ، ممــا جعل الجماد يظهر عليه ارهاق كئيب .

هناك مكان معد في طرف المــائدة لعشاء شخص ما . ومن خلال الباب المفتوح على المطبخ تأتي أصوات طقطقة الصحون وهي تغسل .

ويقطع هذه الأصوات على فترات صوت امرأة غاضبة وأنين طفل متبرم .

عند رفع الستار تظهر مسز مايو ومسز أتكنز وقد جلسا في مواجهة الأخرى مسز مايو نحو مؤخرة المسرح ، ومسز أتكنز إلى يمين المائدة . لقد فقد وجه مسز مايو كل ملامحه المميزة وتحللت معالمه حتى أصبح قناعا واهيا عليه تعبير يائس حزين يوحي بأنها على وشك البكاء على الدوام . تتحدث في صوت متردد مزعزع كما لو أنها فقدت قوة إرادتها .

وتجلس مسز اتكنز في كرسيها ذى العجل . وهي امرأة نحيلة ، شاحبة الوجه ، لا يبدو عليها ذكاء ، في حوالى الثامنة والأربعين من عمرها ، لها عينان جامدتان لامعتان وهي ضحية شلل جزئي لسنين عديدة . وقد كتب عليها أن تدفع من يوم الى يوم على كرسي ذى عجل ، مما جعلها تكتسب صفات المرضى المزمنين بما فيهم من أنانية وسرعة غضب . ترتدى كل من المرأتين ملابس سوداء . مسز اتكنز منهمكة في شغل الابرة بطريقة عصبية وهي تتحدث . وعلى المائدة أمام مسز مايو « شلة » من خيوط الصوف غرس بها أبر) .
مسز اتكنز : (بنظرة عدم استحسان الى المكان المعد على المائدة)

لقد تأخر روبرت عن الغذاء ، كالمعتاد . انى لا أفهم سبب احتمال روث لهذا التصرف ، لقد قلت لها ذلك وكثيرا ما قلت لها « لقد آن الأوان لتضعي حدا لسخافاته هل يظن انك تريدين فندقا . . بدون مساعدة من أحد» لكنها لم تعر كلامى أى انتباه . انها تقريبا مثله في السوء ، إنها تظن أنها تعرف أكثر من امرأة عجوز مريضة مثلى .

مسز مايو : (في فتور) ان روبي يتأخر دائمـــا في عمله ، وليس في وسعه أن يغير من طبيعته ، ياسارة .

مسز اتكنز : (بزمجرة) ليس في وسعه ! كيف تستمرين ،ياكيتّى ، في تلمس الأعذار له ! في استطاعة أى شخص أن يفعل ما يشاء . . طالمـــا كان يتمتع بالصحة ولم يصبح عاجزا مثلى . . . (بإضافة تدل على التقوى) . . . بإرادة الله .

مسز مايو : ليس هذا في استطاعة روبي .

مسز اتكنز : ليس في استطاعته ! إننى أكاد أجن ، ياكيتّى عندما أرى الناس الذين منحهم الله نعمة استعمال سيقانهم يتسكعون ويضيعون وقتهم في التخبط . . . وأنا عاجزة عن المساعدة ، وتحت رحمتهم ان شئت القول . ولا يعنى هذا أننى لم أحدثهم في هذا ، فقد تكلمت مع روبرت آلاف المرات وبينت له طريق الصواب . أنت تعرفين ذلك ، ياكيت مايو . لكن هل تعتقدين أنه يعير اهتماما لمـــا أقول ؟ وروث أيضا . . ابنتى نفسها ؟ كلا ، انهما يظنان أننى امرأة عجوز مخبولة غريبة الأطوار ونصف ميتة ، وكلما أسرعت إلى القبر كان هذا أنسب لهما .

مسز مايو : لا تتحدثي بهذه الطريقة ، ياسارة . ليسا شريرين الى هذا الحد . وأمامك سنوات وسنوات من العمر .

مسز اتكنز : أنت ياكيت ، مثل الآخرين . أنت لاتعرفين الى أى حـــد أنا قريبة من النهاية . حسن ، على الأقل ، سأرحل إلى الراحة الأبدية مرتاحة الضمير . لقد فعلت

كل مافي وسع إنسان لأبعد الخراب عن هذا البيت .
على رأسهما تدور الدوائر !

مسز مايو : (في يأس وعدم اكتراث) كان من المحتمل أن تكون الأمور أسـوأ ممـا عليه الآن . ان روبرت لم تكن لديه أى خبرة بالزراعة ، ولا تنتظرى أن يتعلم ذلك في يوم واحد .

مسز اتكنز : (في غيظ) لقد قضى ثلاث سنوات يتعلم ، وحالتـه تزداد سـوءا ، بدلا من أن تتحسن . وليس الأمـر مقصورا على مزرعتك ، بل ان مزرعتى تنجرف نحو الدمار ، وليس في وسعى أن أمنع ذلك .

مسز مايو : (في شيء من التأكيد) لا يمكنك أن تنكرى بأن روب يعمل بجـد ، يا سارة .

مسز اتكنز : ما فائدة العمل بجد إذا لم ينجز شيئا ، انى أتساءل ؟

مسز مايو : لقد صادف روبي سـوء الحظ .

مسز اتكنز : قولى ما تشائين ، ياكيت فالعبرة بالنتيجة ، ولا يمكن أن تنكرى أن الأمور تسير من سيىء إلى أسوأ منذ وفاة زوجك من عامين .

مسز مايو : (تمسح الدموع من عينها بمنديلها) انها إرادة الله أن ينتزعه الموت منا .

مسز اتكنز : (في شيء من الشماته) انه عقاب أنزله الله على جيمس مايو جـزاء كفره بالله وانكاره لوجوده طوال حياته المليئة بالآثام. (تأخذ مسز مايو تبكى بصوت منخفض)

والآن ، ياكيت ، لا يجب أن أثير أحزانك . فلنصلى لله لكى يرحم هذا الرجل المسكين ويغفر له .

مسز مايو : (تمسح الدموع . . وتقول في بساطة) كان جيمس رجلا طيبـــا .

مسز اتكنز : (متجاهلة هذه الملحوظة) ما كنت أقوله هو أنه منذ أن تولى روبرت الاشراف على المزرعة تدهورت الأحوال باستمرار . أنت لاتعرفين ما وصلت اليـــه الأمور من ســـوء . ان روبرت لا يخبرك بمـــا حدث ، وأنت لا يمكنك ملاحظة ذلك حتى ولو كان أمـــام عينيك مباشرة . ولكنى أشكر الله لأن روث تأتي إلى من وقت إلى آخر تطلب نصيحتي عندما تكون على وشك الجنون من شـــدة القلق نتيجة تصرفاته .اتعرفين ما قالته لى الليلة المـــاضية ؟ لكني نسيت أنها طلبت منى ألا أخبرك . . على أى حال أعتقد أنه من حقك أن تعرفي ، ومن واجبي ألا أدع هذه الأمور تحـــدث من وراء ظهرك .

مسز مايو : (في اعيـــاء) يمكنك أن تخبريني ، إذا شئت .

مسز اتكنز : (تنحني نحوها ــ وبصوت منخفض) لقد كادت روث تجن من جـــراء ذلك . لقد أخبرها روبرت بأنه سيضطر إلى رهن المزرعة . . . لقد قال إنه لا يعرف كيف تسير الأمور حتى موسم الحصاد بدون ذلك ، ولا سبيل غير ذلك للحصول على المـــال . (تعتدل في جلستها . . وتقول في غضب) والآن ، ما رأيك في ابنك روبرت ؟

مسز مايو : (في استسلام) إذا كان من الضرورى . .

مسز اتكنز : هل يعني هذا أنك تنوين التخلى عن مزرعتك ، يا كيت مايو . . بعد تحذيرى لك ؟

مسز مايو : سأفعل ما يشير به روبرت .

مسز اتكنز : (رافعة يديها) ياه ، يا للحماقة ! . . . على أية حال إنها مزرعتك وليست مزرعتى ، ولن أتكلم أكثر من هـــذا .

مسز مايو : من المحتمل أن يستطيع روبي تسيير الأمور بالمزرعة حتى عودة أندى ليتولى الإشراف عليها . ولن تطول غيبته الآن !

مسز اتكنز : (باهتمام شـــديد) أن روث تقول إن أندى يتوقـــع حضوره في أى لحظة . متى يتوقع روبرت حضـــور أخيه ؟

مسز مايو : انه يقول لا يمكن تقدير ذلك بالضبط لأن « ســـوندا » سفينة شراعية . ان آخر خطاب وصله جاء من انجلترا ، يوم بداية رحلة العودة . كان هذا منذ شهر ، ويعتقد روبي أنه كان يجب أن يكون هنا الآن .

مسز اتكنز : نحمد الله أنه سيحضر في الوقت المناسب . لا بد أنه تعب من السفر . ومشتاق للعودة والاستقرار في العمل من جـــديد .

مسز مايو : لقد كان أندى يعمل ، فهو الآن الضابط الأول في سفينة خاله ، كما أفاد روبي في خطاباته . أنت تعرفين ذلك .

مسز اتكنز : ان هذا التسكع على السفن شيء مقبول لفترة قصيرة ، ولا بد أنه سئم ذلك تماما .

مسز مايو : (مستغرقة في التفكير) يا ترى هل تغير كثيرا ! لقد كان جميلا قويا . . . (بتنهيدة) ثلاث سنوات ! انها تبدو كثلاث مائة سنة (تغرورق عيناها بالدموع . . . ثم تقول في تأثر) أوه ، لو أن جيمس عاش حتى عاد . . وصفح عنه !

مسز اتكنز : كان من المستحيل أن يصفح عنه . . ليس جيمس مايو من يفعل ذلك ! ألم يبق قلبه قاسيا عليه حتى آخر حياته رغم محاولاتك ومحاولات روبرت لتخفيف حدة شعوره نحوه ؟

مسز مايو : (بومضة ضعيفة من الغضب) كيف تجرؤين على قول هذا ؟ (كسيرة القلب) أوه ، أعلم أنه صفح عن أندى في قرارة نفسه ، وان كان عناده حال دون اعترافه بذلك . ان عناده هو الذى قضى على حياته . لقد انفطر قلبه بسبب كبريائه الذى لا يلين (تمسح دموعها بمنديلها وتنتحب) .

مسز اتكنز : (في لهجة تنم عن التقوى) انها إرادة الله . (صوت أنين وبكاء طفلة آتيا من المطبخ . تتجهم مسز اتكنز وتقول في غيظ) اللعنة على هذه الطفلة ، كأنها تتعمد البكاء طوال الوقت بقصد إثارة أعصابنا .

مسز مايو : (تمسح دموعها) ان الحرارة تزعجها . يالها من طفلة مسكينة ، ان صحتها ليست على مايرام هذه الأيام .

مسز اتكنز : لقد ورثت هذا عن أبيها ــ فهي مريضة طوال الوقت . أنت لاتستطعين الانكار بأن روبرت كان كذلك عندما كان طفلا (تتنهد بشدة) لقد كان زواجهما غلطة جنونية . لقد كنت أعارض هذا الزواج طول الوقت ، ولكن روث كانت مأخوذة بأفكار روبرت الشاعرية الجامحة فلم تستمع الى صوت العقل . ان أندى كان هو الشخص المناسب لها .

مسز مايو : كثيرا ما راودني هذا الخاطر . لكن يبدو أن روث وروبي سعيدان بما فيه الكفاية .

مسز اتكنز : على أية حال ، انها إرادة الله ، وإرادته لابد وأن تنفذ . (تجلس المرأتان في صمت لحظة . تدخل روث من المطبخ وهي تحمل بين ذراعيها ابنتها مارى التي تبلغ من العمر عامين . هي طفلة جميلة لكنها عليلة تعاني من الأنيميا ، كما يبدو ، ووجهها ملطخ بالدموع . أما روث فقد بدا عليها التقدم في السن بشكل ملحوظ لقد فقد وجهها شبابه ونضرته ، وفي ملامح وجهها أثر للصلابة والحقد . انها تجلس في الكرسي الهزاز أمام المائدة وتتنهد في اعياء . ترتدى ثوبا من القطن وحول وسطها « مريلة » متسخة) .

روث : انه يوم فظيع الحرارة ! ان هذا المطبخ يشبه الفرن ! اوف ! .

(تدفع شعرها المبتل بالرطوبة الى الخلف من على جبينها) .

مسز مايو : لماذا لم تناديني لأساعدك على غسل « الصحون » ؟

روث : (باقتضاب) لم أفعل لأن الحرارة فيه تقضى عليك .

مـــارى : (ترى « العروسة » تحت المنضدة فتجاهد لتنزل من على حجـــر أمها) .

روث : (تجذبها إلى الخلف) لقد آن وقت نعاسك . لا يمكنك اللعب الآن .

مـــارى : (تبدأ في الصراخ والأنين) عروستّي .

مسز اتكنز : (في غيظ) ألا يمكنك اسكات هذه الطفلة ؟ إن صراخها كاف لأن يصم الآذان . انزليها ودعيها تلعب بالعروسة إذا كان هذا يجعلها تسكت .

روث : (ترفع مارى ثم تنزلها على الأرض) والآن ! أرجـــو أن تكوني راضية وتهدئي (تجلس مارى على الأرض أمام المنضدة تلعب بالعروسة في هـــدوء . ثم تلقي روث نظرة سريعة على المنضدة) من العجيب أن روب لايحاول الحضور للطعام في الموعد المحدد ، بين الحين والحين .

مسز مايو : (في فتور) لابد أن خطأ ما قد حدث مرة ثانية .

روث : (في إعياء) أعتقد ذلك ، يبدو أن الأخطاء تحدث على الدوام هذه الأيام .

مسز اتكنز : (بحركة مفاجئة) لن تحدث إذا كان لديك شيء من الحزم . ان فكرة سماحك له بالحضور للطعام في أى وقت . . . وأنت تقومين بالعمل ! لم أسمع مثل هذا أبدا . أنت متساهلة أكثر من اللازم ، هذه هي المشكلة

روث : كفُى ياوالدتي عن « المناكفة » معي ، لقد سئمت

سماع هذا . سأفعل ما أريد ، وأشكرك إذا امتنعت
عن التدخل . (تمسح جبهتها المبتلة . . وتقول في أعياء)
أوف ! ان الجو حار جدا لدرجة لا تسمح بالمناقشة .
دعينا نتحدث عن شيء سار (بفضول) ألم أسمعكما
تتحدثان عن أندى منذ برهة ؟

مسز مايو : اننا نتساءل متى يعود الى الديار .

روث : (منشرحة) ان روب يقول إن أندى قد يحضر فجأة
في أى يوم . . . هو والقبطان . وسيكون من الطبيعي
بالتأكيد أن نراه في المزرعة من جديد .

مسز اتكنز : دعينا نأمل أن نرى المزرعة في حالة طبيعية أيضا عندما
يشترك أندى في إدارتها . يالها من حالة عليها الآن .

روث : (في غيظ) ألا تكفين عن الضرب على هذا الوتر
يا أمي ؟ كلنا يعرف أن الأمور ليست على ما يرام .
ما فائدة شكواك طوال الوقت .

مسز اتكنز : اسمعى ، ياكيت مايو ! أليس هذا ما قلته لك بالضبط؟
أنى لا أستطيع أن أقول كلمة نصح حتى لابنتى ، لأنها
عنيدة صلبة الرأى .

روث : (تضع يديها فوق أذنيها من شدة المضايقة)ــ رحمة
يا أماه .

مسز مايو : (لا مانع) ــ سيضع أندى كل الأمور في نصابها
عندما يعود .

روث : (بأمل) أوه ، نعم إننى أعرف أنه سيفعل هذا . إنه
على الدوام يعرف طريق الصواب . (في إعياء وغيظ)

انه لأمر ، مخجل أن يعود ليجد نفسه مضطرا لمعالجة الأمور بعد أن انقلبت رأسـا على عقب .

مسز مايو : سيتمكن أندى من معالجة الأمور .

روث : (تتنهد) أعتقد أنها ليست غلطة روب عندما تسير الأمور على غير ما يريد .

مسز اتكنز : (بازدراء) أوف ! (تحرك المروحة في عصبية) يا أرض جاهان ، يا أرض الضوء المحرق . . . اننا هنـا في فرن مشتعلة ! دعونا نخرج ونجلس تحت الأشجار لنجد نسمة من الهواء . تعالى ، ياكيت (تطيعها مسز مايو فتنهض وتدفع الكرسى ذا العجلات نحو البارافان) يحسن أن تحضرى معنا ياروث . ذلك خير لك . لقنيه درسا ودعيه يعد عشاءه بنفسه . لاتكوني بلهـاء .

روث : (تذهب لتزيح البارافان حتى يمـرا . . ثم تقول في فتور) لن يهتم . انه لا يأكل كثيرا . على أية حال ، لن أستطيع الانتقال من هنا حتى تنـام مارى وأضعها في سريرها .

مسز اتكنز : هيا ياكيت . انني أغلى من شـدة الحرارة هنـا . (تدفع مسز مايو الكرسى ، وتخرجان من جهة اليسار . تعود روث وتجلس على كرسيها) .

روث : (بطريقة آلية) هيا يا مارى . دعيني أخلع حذاءك وشرابك . كوني فتاة طيبه . عليك أن تنعسى الآن (تستمر الطفلة في اللعب والانهماك مع عروستها كما لو أنها لم تسمع والدتها . تبدو على وجه روث لهفـة ،

فتنظر خلسة تجاه الباب . . ثم تنهض وتتجه نحو المكتب تدل حركاتها على شعور بالأثم والخوف من الافتضاح . تأخذ خطابا من أحد عيون المكتبة وتعود به مسرعة الى كرسيها . . تفتح الظروف وتقرأ الخطاب باهتمام شديد ، وقد احمرت وجنتاها من الانفعال . يقبل روبرت من الممر ويفتح الباب في هدوء ويدخل الغرفة. لقد بدا عليه تقدم السن أيضا ، كتفاه منحنيتان كما لو أنه يرزح تحت عبء كبير. لقد فقدت عيناه بريقهما وحيويتهما ولفحت الشمس وجهه الذى مرت أيام دون حلاقته . كما شقت خيوط العرق طبقة التراب التى تكسو خديه . أما شفتاه المتدليتان عند الجانبين فيضيفان عليه تعبيرا ينم على الاستسلام واليأس . وقد أبرزت السنوات الثلاث ضعف فمه وذقنه . إنه يرتدى معطفا خفيفا وحذاء ذا رقبة طويلة ، وقميصا من الفانلة مفتوحا عند الرقبة) .

روبرت : (يلقي بقبعته على الأريكة — وهو يطلق تنهيدة تدل على الاعياء) أوف ! ان الشمس حارة اليوم (تفزع روث. وفي بادىء الأمر تقوم بحركة غريزية كما لو أنها تريد إخفاء الخطاب في صدرها إلا أنها تعدل عن ذلك وتجلس والخطاب في يديها وهي تنظر اليه في تحد . ينحني ويقبلها) .

روث : (تتحسس خدها . . . في غيظ) لماذا لم تحلق ؟ ان منظرك فظيع .

روبرت : (بدون اكتراث) نسيت . . ان هذا الطقس متعب للغاية .

مــــارى : (تلقي بعروستها جانبـــا وتهرع اليه وهي تصيح من الفرح) بابا ! بابا !

روبرت : (يرفعها فوق رأســـه . . في حب) وكيف حـــال صغيرتي في هذا اليوم الحار ؟

مــــارى : (تصيح فرحة) بابا ! بابا !

روث : (في غضب) لا تفعل هذا معها ! أنت تعلم أن هـــذا وقت نعاسها ، وسيجعلها هذا تستيقظ تمـــاما ،وعندئذ أنا التي ستجلس بجوارها حتى تنـــام .

روبرت : (يجلس في الكرسى إلى يسار المنضدة ويضع مارى على حجره) ــ لا تقلقي ، سأضعها أنا في سريرها عندما تنـــام .

روث : (باقتضاب) عليك أن تعود إلى عملك ، على ما أظن .

روبرت : (يتنهد) نعم . لقد نسيت (يلمح الخطاب المفتوح على حجـــر روث) أتقرأين خطاب أندى ثانية ؟ أظن أنك الآن حفظته عن ظهر قلب .

روث : (يتغير لون وجهها كما لو أن اتهـــاما قـــد وجه اليها . ثم تقول في تحد) لى حق في قراءة الخطاب ! أليس كذلك ؟ انه يقول إن الخطاب موجه لنـــا جميعا .

روبرت : (في شيء من الغيظ) حق ؟ لاتكوني عبيطة . ليست المسألة مسألة حق . إنني كنت أقول فقط انه لا بد أنك عرفت كل محتويات الخطاب بعد قراءته مرات عديدة.

روث : ايه ؟ انني لا أعرف . (تضع الخطاب على المنضدة وتنهض في أعياء) أظن أنك تريد أن تتناول الغداء الآن

روبرت : (بفتور) لايهم . إنني لا أشعر بالجوع .

روث : لقد عملت على بقائه ساخنا من أجلك !

روبرت : (بانفعال) أوه ، حينئذ لا مانع ، احضرى الطعام وسأحاول أن آكل .

روث : عليّ أولا أن آخذ مارى الى فراشها (تتجه لرفع مارى من حجره) تعالى ، ياعزيزتي . لقد تأخرت عن الوقت المعتاد ، ولا تكادين تفتحين عينيك الآن .

مارى : (تصرخ) لا ، لا ! (تستنجد بوالدها) بابا ! لا !

روث : (تلقي اللوم على روبرت) هكذا ، ترى الآن نتيجة تصرفاتك ! لقد قلت لك لا . .

روبرت : (باقتضاب) دعيها إذن . انها على خير ما يرام حيث هي . ستنام في حجرى بعد لحظة إذا توقفت عن مضايقتها .

روث : (بانفعال) لن أسمح لها بأن تفعل ذلك . لابد أن تتعلم الاهتمام بما أقول ! (تهز أصبعها نحو مارى) أيتها الطفلة الشقية ! ألا تأتين مع والدتك عندما تطلب منك ذلك لمصلحتك ؟

مارى : (متعلقة بوالدها) لا ، يا بابا !

روث : (محتدة) ان صفعة قوية هي ما تحتاجينه ، يا فتاتي الصغيرة . . وستأخذين واحدة مني إذا لم تنتبهي أحسن من هذا ، هل سمعت ما أقول ؟ (تأخذ مارى في الصياح من الخوف) .

روبرت : (بغضب مفاجيء) اتركيها وشأنها ! كم من المرات

طلبت منك ألا تهدديها بالضرب ؟ إننى لن أسمح بهذا . (يهدىء من روع مارى) والآن ! والآن أيتها الفتاة الصغيرة ! يجب ألا تبكي إن بابا لن يحبك إذا بكيت . بابا سيحملك ولا بد أن تعدى بالذهاب للنوم كما تفعل أى فتاة صغيرة . هل تفعلين ذلك إذا طلب منك بـــابـــا ؟

مـــارى : (تتعلق به) نعم ، يا بابا !

روث : (تنظر اليهما ، بوجه شاحب متجهم) يا لبراعتك في تعليم الناس ! (تعض على شفتيها . ويتبادل الزوج والزوجة نظرات تنم على شعور أشبه بالكراهية ، ثم تستدير روث بعيدا وتهـــز كتفيها متظاهرة بعـــدم الاكتراث) حسن ، تولى أنت أمرها ، إذا كان هذا ، في نظرك ، أمرا سهلا . (تدخل المطبخ) .

روبرت : (يمـــر بيده على شعر مارى . . في حنان) سنرى ماما بأنك فتاة طيبه ، أليس كذلك ؟

مـــارى : (تدندن بصوت ناعس) بابا ، بابا .

روبرت : والآن لنرى . . . هل تخلع لك أمك حذاءك وشرابك ، قبل نعاســـك ؟

مـــارى : (تومىء برأسها بالإيجاب وعيناها نصف مفتوحتين) نعم ، يا بابا . !

روبرت : (يخلع حذاءها وشرابها) سنرى ماما أننا نعرف القيام بهذه الأعمال . . أليس كذلك ؟ هاك فردة حـــذاء قديمة ، وتلك الفردة الأخرى . . . وهاك فردة شراب

قـــديم . . وتلك الفردة الأخرى . . ها نحن الآن ، في منتهى الجمال والاعتدال والراحة (ينحني ويقبلها) والآن هل تعدين بأن تنامي على الفور إذا ما أخذك بابا إلى فراشك ؟ (تومىء ماري وهي نعسانة) انك فتـــاة صغيرة طيبة (يأخذها بين ذراعيه في حرص ويحملها إلى غرفة النوم . يسمع صوته الخافت وهو يهـــدهد الطفلة لتنـــام . تخرج روث من المطبخ وتأخذ الصحن من على المنضدة . تسمع الصوت الآتي من الغرفـــة وتسير على أطراف أصابعها نحو الباب لتلقي نظرة . ثم تسير نحو المطبخ ولكنها تقف برهة وهي تفكر وقد بدت على وجهها نظرة غيرة لم تستطع إخفاءها .وعندما تسمع صوتا آتيـــا من الداخل تختفي في المطبخ . بعد برهة يدخل روبرت ثانية يتقدم ويلتقط الحذاءوالشراب ويلقي بهما في غـــير عناية تحت المنضدة . ثم عندما يلاحظ وجود أحد ، يتجه إلى البوفيه ويتناول كتابا . حالمـــا يعود إلى كرسيه ويجلس ، يستغرق على الفور في القراءة . تعود روث من المطبخ . وقد أحضرت الصحن مليئا بالطعام وفنجان شاى . تضع هذه الأشياء أمامه وتجلس في مكانها السابق . يستمر روبرت في القراءة ، وهو غافل تمـــاما عن الطعام الموضوع على المنضدة) .

روث : (بعد مراقبة لحظة في غيظ) بربك ، ضع هـــذا الكتاب جانبـــا ! ألا ترى أن الطعام سيبرد ؟

روبرت : (يقفل الكتاب) معذرة ، ياروث ، لم ألاحظ هـــذا

(يلتقط السكين والشوكة ويأخذ في الأكل في تأن ودون شـــهية) .

روث : أظن أنك تراعي شعورى ، ياروب ، فلا تتأخـــر عن مواعيد الطعام . أنت مخطىء إذ تظن أنى أجد متعـــة في الانتظار في أتون المطبخ لكي أحتفظ بالطعام ساخنا لك .

روبرت : إننى آسف ، ياروث . آسف حقا . كل يوم يطـــرأ شيء يؤخرني إن نيّتي الحضور في الموعد .

روث : (تتنهد) النـــوايا لاتهم .

روبرت : (ببسمة استرضاء) إذن عاقبينى ، ياروث . دعي الطعام يبرد ولا تبـــالى بى .

روث : رغم هذا فلا بد أن أنتظر حتّى أغسل الصحون بعـــد الانتهاء من طعامك .

روبرت : ولكن في استطاعتى أن أقوم بالغسيل .

روث : ويالها من فوضى رائعة عندئذ !

روبرت : (في محاولة للتظرف) من حسن حظ الطعام أن يبرد في مثل هذا الجو (عندما لا تجيب أو تبتسم يفتح الكتاب ويستأنف القراءة ، وهو يدفع نفسه لأن يأكل لقمـــة بين آن وآخر . عندئذ تنظر اليه روث في غضب) .

روث : وعلاوة على ذلك لديك عمل لابد من اتمـــامه .

روبرت : (في شرود ، دون أن يرفع عينيه عن الكتاب) فعلا ، بالطبع .

روث : (في حقد) ان هذا العمل لا يمكن إتمامه بقراءة الكتب طول الوقت .

روبرت : (يقفل الكتاب بشدة محدثا صوتا) لماذا تصرين على مضايقتي لأنني أجد متعة في القراءة ؟ أهذا لأن . . . (يملك زمام نفسه فجأة) .

روث : (يحمر وجهها) لأنني غبية لا أفهم ما في الكتب ، أعتقد أن هذا ما تعنيه .

روبرت : (خجلا) كلا . . كلا . (في ضيق) لماذا تدفعيني إلى قول أشياء لم تكن في نيتي ذكرها ؟ أليس لدى نصيبي من المتاعب في إدارة هذه المزرعة اللعينة حتى تزيدى أنت من هذه المتاعب ؟ أنت تعرفين الجهد الشاق الذى بذلته كي تسير الأمور على الرغم من سوء الحظ . . .

روبرت : (في ازدراء) سوء الحظ !

روبرت : وعدم كفايتي الواضحة لهذا العمل ، هذا ما كنت سأضيفه ، ولكن لا يمكنك الإنكار بأن هناك سوء حظ أيضا . لماذا لا تأخذين في حسابك كل الاعتبارات ؟ لماذا لا نتعاون سويا ؟ لقد كنا نتعاون . اعرف أن الأمر شاق بالنسبة لك أيضا . لماذا لا يساعد أحدنا الآخر بدلا من إثارة العراقيل ؟

روث : (في كآبة) إنني أبذل كل ما في وسعى .

روبرت : (ينهض ويضع يده على كتفها) أعلم ذلك . لكن دعينا نحاول أن نقوم بالعمل أفضل من هذا . في

استطاعتنا أن نتحسن . قولى كلمة تشجيع من وقت لآخر عندما لا تسير الأمور حسب ما نريد ، حتى ولو كان ذلك لخطأ منى . أنت تعرفين الظروف العصيبة التي أتصدى لهذا منذ وفاة والدى . إنني لست فلاحا ، ولم أدع هذا على الاطلاق . لكن ليس في وسعي أن أفعل غير هذا في مثل هذه الظروف ، ولابد أن أدفع الأمور في طريقها بأى شكل . بمعاونتك ، أستطيع أن أقوم بذلك . وبوقوفك ضدى . . (يهـز كتفيه . فترة صمت . ثم ينحني ويقبل شعرها . محاولا إدخال جو من البهجة) وهكذا تعدينني بذلك ، وسأعدك بأن أكون هنا في الموعد تمـاما . . . وأن أقوم بأى شيء تريدينه . . اتفقنا ؟

روث : (في فتور) أظن ذلك . (يقطع حديثهما صوت طرق عال على باب المطبخ) هناك شخص عند باب المطبخ (تهرع إلى الخارج وتعود بعد لحظة) انه بن .

روبرت : (عابسا) ما الذى حدث الآن ياترى ؟ (في صـوت مرتفع) تعال هنا ، يابن (يدخل بن متثاقلا من باب المطبخ . هو سمج ضخم الجسم ، على وجهه سـيماء الغباوة والبلادة ، وعيناه زائغتان ماكرتان . يرتدى ثياب العمال ، وحذاء طويل الرقبة ، وقبعة من قش ذات حافة عريضة وقد أزاحها إلى الخلف (ايه ، يابن ، ما الخبر ؟

بـن : (في بطء) لقد توقفت آلة الحصاد .

روبرت : كيف حدث هذا . لقد أصلحها الرجل في الأسبوع الماضي فقط .

بن : لقد تعطلت رغم هذا .

روبرت : ألا يمكنك إصلاحها ؟

بن : كلا . لا أعرف ما حدث لهذه الآلة اللعينة ! انها لاتدور بأى شكل .

روبرت : (ينهض ويمد يده لتناول قبعته) انتظر لحظة ، وسأذهب لفحصها لا يمكن أن يكون الخلل كبيرا .

بن : (في وقاحة) لا يهمني ، إذا كان كبيرا أم لا . إنني سأترك العمل .

روبرت : (في قلق) هل تعني أنك ستترك العمل عندنا ؟

بن : فعلا . ان اليوم نهاية الشهر وأريد الأجر المستحق لى .

روبرت : ولكن لماذا تترك العمل الآن ، يابن ، وأنت تعلم أننا في زحمة العمل ؟ سأجد مشقة كبيرة في البحث عن شخص آخر في هذا الوقت الضيق .

بن : هذا أمر يخصك . أما أنا فإنني سأترك العمل .

روبرت : ولكن ما السبب ؟ ألديك أى شكوى من معاملتنا لك ؟

بن : كلا . ليس هذا هو السبب (يهز أصبعه) اسمع . لقد سئمت أن أكون موضع السخرية ، هذا هو السبب ، كما أني وجدت عملا عند مزرعة تيم ، وسأترك العمل هنا .

روبرت : موضع سخرية ؟ إننى لا أفهم ما تعني . من هو الذى يسخر منك ؟

بـــن : الجميع . عندما أسوق العربة باللبن في الصباح يسخرون مني ويقابلونني بنكاتهم . . هذا الغلام عند هاريس ، والشاب الجديد عن سكوكيم ، وبيل ايفانز عند ميد ... وآخـــرون .

روبرت : هذا سبب غريب لترك العمل معنا . ألن يسخروا منك كذلك عندما تعمل لتيم ؟

بـــن : لن يجرءوا على ذلك . انمزرعة تيم أفضل مزرعة في هذه المنطقة انهم يسخرون منى لأنني أعمل عندك ، هذا هو السبب . انهم يحيونني في الصباح صائحين بي كيف أحوال مزرعة مايو ؟ ما الذى يفعله روبي الآن.. هل يرعى المـــاشية في حقل الذرة ؟ هل يسقى الدريس بمـــاء المطر كما فعل في العام المـــاضي ؟ هل اخترع ماكينة كهربية لحلب الأبقار التي جفت ضروعها فتعطي بدلا من اللبن خمر عصير التفاح ؟ (بانفعـــال زائد) هذا ما يقولونه ولن أحتمل أكثر من هذا . الكل يعرف أنني عامل ممتاز ، ولا أحب أن يغير الناس فكرتهم عنى . ولهذا فإنني سأترك العمل عندك وأريد استحقاقي .

روبرت : (في برود) أوه ، إذا كان الأمر كذلك ، فلتذهب إلى الجحيم ستأخذ نقودك غدا ، عندما أعود من المدينة ، وليس قبل ذلك !

بـــن : (يتجه نحو مدخل المطبخ (موافق) عندما يخـــرج ،

يتكلم من فوق كتفه) تأكد من أنني سآخذ نقودى ، والا فلتنتظر المتاعب .

(يختفي ويسمع صوت غلق باب المطبخ) .

روبرت : (عندما تأتي روث من المكان الذى كانت تقف فيه بجوار الباب ، وتجلس في اكتئاب في مكانها السابق) ياله من غبي أبله ! والآن ماذا نفعل بالدريس ؟ هـذا مثال للمتاعب التي تواجهني . لا يمكن أن يلومنى أحد على هذا .

روث : ولا يجرؤ على هذا التصرف مع أى شخص آخـر . (في حقد وهي تلقي نظرة سريعة على خطاب أندى على المنضدة) انه من حسن الحظ أن أندى سيعود .

روبرت : (دون استياء) نعم ، أن أندى سيسوى الأمور في لمحة البصر . (يبتسم في حنان) ياترى هل تغير هذا الفتى الكبير . لا يبدو هذا من خطاباته ، أليس كـذلك ؟ (يهـز رأسه) لكني أشك ، مع هذا ، في أنه يرغب الاستقرار في المزرعة بحياتها المملة ، بعد كل ما رآه .

روث : (في استياء) أندى ليس مثلك . انه يحب المزرعة .

روبرت : (منغمسا في أفكاره . . . ثم يقول بحماس) يا إلهي لابد أنه رأى ومـر بأشياء عجيبة ! فكرى في الأماكن التي زارها ! كل هذه الأماكن البعيدة العجيبة التي اعتدت أن أحلم بها ! يا إلهي ، إننى أحسده على ذلك ! يالها من رحلـة ! (ينهض ويتجه بطريقة غـريزية نحو النافذة ثم يحملق في الأفق) .

روث : (في مرارة) أعتقد أنك نادم الآن لأنك لم ترحل ؟

روبرت : (مستغرقا في أفكاره لدرجة أنه لم يسمعها . . ثم يقول في حقد) أوه ، هذه التلال اللعينة هناك ، التي كثيرا ما بعثت في نفسي الآمال ! كم أنا أمقت النظر اليها ! انها أشبه بحوائط فنـــاء سجن ضيق تحول بيني وبين الحرية وعجائب الحياة ! (يرجع الى الغرفة وهو يقوم بحركة تنم على المقت) . أحيانا أفكر أنه لولا كياروث و . . . . . . (في صوت أكثر رقة) . . . ولولا مارى الصغيرة ، لتخليت عن كل شيء وسرت في الطريق تحدوني رغبة واحدة . . وهي أن أضع الأفق كلـــه بيني وبين هذه التلال حتى استنشق نسيم الحرية مـــرة أخرى ! (يغوص في كرسيه وبابتسامة تنم عن احتقار الذات) ها أنذا أستغرق في الأحلام من جـــديد . . . أحلامي القديمة الحرقاء ! .

روث : (في صوت مكبوت منخفض . . . وفي عينيها غضب مكبوت) أنت ليس الوحيد الذى يتمنى هذا .

روبرت : (غارقا في أفكاره . . ثم يقول في مرارة) وأندى ، الذى واتته الفرصة . . . ما الذى جناه منها ؟ ان خطاباته تبدو كأنها . . . . مذكرات فلاح ! (ثم باستخفاف) هذه هي الطريقة التي لخص بها انطباعاته عن الشرق : « نحن الآن في سنغافورة . انها مكان قـــذر أشبه بالجحر ، وأشـــد حرارة من جهنم . لقد مرض اثنـــان من البحارة بالحمى ، وهناك عجـــز في العمال . سأكون سعيدا للغاية عندما نبحر ثانية ، وان كان التجوال عبر هذه البحار المحرقة مهمـــة فظيعة للغـــاية » .

روث : (يرتعش صوتها المكبوت) لا داعي للسخرية من أندى

روبرت : عندما أفكر . . . ولكن ما الفائدة ؟ أنت تعرفين أنني لا أسخر من أندى شخصيا ، بل من نظرته للحياة ....

روث : (عيناها تقدحان شررا . . . ثم تنفجر في غضب جامح) أنت تسخر منه أيضا ! إنني لا أحتمل ذلك ! يجب أن تخجل من نفسك ! يالك من شخص عظيم حتى تتحدث عن الآخرين . . . بعد ما دمرت كل شيء بتكاسلك ! . . . وطريقتك الخرقاء في العمل !

روبرت : (غاضبا) كفى عن مثل هذا الكلام ، هل تسمعين ؟

روث : أنت تنتقد أخاك . . . وهو أفضل منك عشرات المرات سواء أكان في الماضي أو في المستقبل ! أنت تغار منه ، هذا هو السبب ! أنت تغار منه إذ جعل من نفسه رجلا بحق ، بينما أنت فلا شيء إلا . . . إلا . . . . (تتمتم في غير ترابط وقد استبد بها الغضب) .

روبرت : روث ! روث ! ستندمين على هذا الكلام .

روث : لن أندم ! لن أندم أبدا ! إنني أعبر فقط عما يدور في فكرى منذ سنوات .

روبرت : (فزعا) روث ! لا يمكن أن تعني ما تقولين !

روث : في رأيك ، ماذا تفعله الحياة مع شخص مثلك . . وما يفعله العذاب طول الوقت لأنك لم تكن رجلا بما فيه الكفاية تعمل وتنجز كالآخرين . ولكن لا ! انك لا تعترف بذلك . أنت تعتقد أنك أفضل من غيرك لأنك دخلت الجامعة حيث لم تتعلم شيئا على الإطلاق ،

وكنت تقـــرأ دائما كتبا سخيفة بدلا من العمل . أظنك تعتقد أنني فخورة بزواجي منك . . وأنا الفتاة الفقيرة الجاهلة (في عنف) لكني لست فخورة . إنني أمقت زواجي منك ، وأكره رؤيتك ! أوه ، لو أنني كنت أعلم ! لو لم أكن بلهـــاء واستمعت إلى حديثـــك الشاعرى السخيف الرخيص الذى تعلمته من الكتب . لو أنني أدركت حقيقتك . . كما أراها الآن . . لقتلت نفسى قبل زواجي منك ! لقد شعرت بالنـــدم بعد شـــهر من زواجنا . . عرفت حقيقتك . . . بعد فوات الأوان .

روبرت : (يرتفع صوته) والآن . . إننى أدرك حقيقتك . . . حقيقة المخلوقة التي أعيش معها (بضحكة فظة) يا إلهي ! ليس هذا لأنني لم أظن أنك حقيرة وصغيرة الشأن . . ولكني بقيت أقنع نفسى بأننى على خطأ . . . وكأنني أبله . . . أبله لعين .

روث : لقد كنت تقول انك تود الخروج إلى الطريق لولاى . حسن ، في استطاعتك الخروج ، وكلما أسرعت كان أفضل ! إننى لا أبالى سأكون سعيدة أن أتخلص منك ! وستتحسن أحوال المزرعة كذلك ! لقد حلت اللعنـــة عليها منذ توليت أمرها . إذن ارحل . ارحل وتسكع كما وددت دائما . هذا كل ما تصلح له . سأدبر أمورى بدونك ، فلا تبال (بنشوة عنيفة) سيعود أندى ، لاتنس ذلك ! سوف يهتم بالأمور ، كما ينبغي . سيريك ما يستطيع أى رجل أن يعمله ! إننى لست بحاجة اليك .

أن أندى سيعود ! (الاثنان واقفان يمسكها روبرت من كتفيها ويحدق في عينيها) ماذا يدور في ذهنك الشرير — أنت . . أنت (ارتفع صوته الى صياح أجش) .

روث : (في صياح وتحد) نعم ، إنني أعني ما أقول ! إنني أقولها بصراحة حتى إذا هددت بقتلي ! أنني أحب أندى فعلا ، أحبه ! أحبه ! وكنت أحبه دائما ! (في ابتهاج شديد) وهو يحبني ! انه يحبني ! إنني أعرف هذا . ولقد كان يحبني دائما . وأنت تعرف ذلك أيضا ! إذن ! ارحل ! ارحل إذا أردت !

روبرت : (يدفعها بعيدا عنه. فترنح الى الخلف متعثرة بالمنضدة. ثم يقول في غلظة) أنت . . . أنت يا داعرة ! (يظل يحدق النظر فيها وهي تميل الى الخلف مستندة إلى المنضدة وهي تلهث . يسمع بكاء الطفلة التي استيقظت فزعة ، آت من غرفة النوم . يستمر هذا الصوت . يظل الرجل والمرأة يحدق كل منهما في الآخر في فزع ، وقد وضح أمامهما فجأة مدى ما وصل اليه هذا الشجار الرهيب . فترة صمت . بعدها يأتي صوت حصان يجر عربة في الطريق أمام المنزل . يتنبه الاثنان فجأة ويصغيان بأنفاس لاهثة ، كما أنه صوت آت من عالم الأحلام . يتوقف الصوت . يسمعان صوت أندى مناديا ومحييا « هو . . . مرحبا . . . يا من هناك !) .

روث : (بصيحة فرح مخنوقة) أندى ! أندى ! (تندفع وتمسك بمقبض الباب ، وعلى وشك فتحه عنوة) .

روبرت : (بصوت فيه رنة أمر لا يمكن عصيانه) قفي ! (يتجه

نحو الباب ، ويزيح برفق روث التي كانت ترتعش . يرتفع صوت بكاء الطفلة) . سأقابل أندى . ويحسن أن تدخلى لمــارى ، ياروث . (تنظر اليه في تحــد لحظة ولكن هناك شيئا في عينه جعلها تستدير وتدخل في بطء الى حجرة النوم) .

صوت اندى : (في صوت عال) هو . . . انت ياروب .

روبـــرت : (يصيح مجيبا وهو يتكلف البهجة) هالو ، اندى ! (يفتح الباب ويخرج عندما يسدل الستار) .

« المنظــر الثـــاني »

(قمة تل في المزرعة. الوقت حوالى الحادية عشرة صباح اليوم التالى . اليوم حار وبلا غيوم . وعلى بعد يمكن رؤية البحر.

تنحدر قمة التل الى اسفل متجهة الى اليسار قليلا . وفي الوسط صخرة كبيرة تميل الى مؤخرة المسرح . والى اليمين شجرة بلوط كبيرة . ويمكن ملاحظة اثر بسيط لمر يؤدى الى قمة التل من جهة اليسار وذلك بمتابعة عشب جففه لهب الشمس .

يرى روبرت جالسا على الصخر ، وقد أسند ذقنه على يديه ، وهو يحملق الى الأفق تجاه البحر . وجهه شاحب هزيل ، عليه سيماء يأس تام . تجلس مارى على العشب بالقرب منه في الظل ، تلعب » بعروستها وهى تغنى في سعادة لنفسها . في هذه اللحظة تلقى نظرة فاحصة على والدها ، ثم تسند عروستها على الشجرة ، وتقبل نحوه وتصعد الى جواره

مـــارى : (تشديده . . في قلق) بابا مريض ؟

روبرت : (ينظر اليها وقد تكلف الابتسام) كلا ، ياعزيزى . ولم هذا السؤال ؟

مـــارى : أتلعب مع مارى !

روبرت : (في رقة) كلا ، ياعزيزتى ، ليس اليوم . ان بابا لايميل الى اللعب اليوم .

مـــارى : (محتجة) نعم ، يابابا !

روبرت : كلا ، ياعزيزتى . بابا يشعر بشىء من . . المرض . لديه صداع .

مـــارى : دع مارى ترى (يحنى رأسه ، ثم تمر بيده على شعره) رأسك بها وجع .

روبرت : (يقبلها . . ثم يبتسم) والآن ! انها أحسن ، الآن ، ياعزيزتى ، شكرا . (تلتصق به . هناك فترة صمت ينظر كل منهما فيها الى البحر . وأخيرا يلتفت روبرت اليها في حنان) أتريدين من والدك أن يرحل ؟ . . بعيدا ، بعيدا ؟

مـــارى : (باكية) لا ! لا ! لا ! لا ! ، يابابا .

روبرت : الا تحبين عملك اندى . . . الرجل الذى حضر أمس وليس الرجل العجوز ذا الشارب الابيض ؟

مـــارى : مارى تحب بابا

روبرت . : (في إصرار عنيف) لن يرحل بابا بعيدا ، ياطفلتى . لقد كان فقط يمزح . لن يستطيع ترك مارى الصغيرة (يضم الطفلة بين ذراعيه) .

مـــارى : (تصبح متألمه) أوه ! لقد آلمتنى !

روبرت : آسف ياابنتى العزيزة (ينزلها على العشب) كونىفتاة طيبـــة والعبى بعروستك ، وكونى حريصة في البقاء في الظل . (تتركه على كره منها ، وتأخذ عروستها ثانية . بعد برهة تشير الى أسفل التل جهة اليسار) .

مـــارى : هناك رجل ، يابابا .

روبرت : (ينظر في ذلك الاتجاه) انه عمك اندى . (بعدبرهة يقبل اندرو من جهة اليسار ، وهو يصفر في سرور . لم يتغير شكله الا قليلا اللهم الا ان وجهه قد اكتسب لونا برونزيا داكنامنجراء السنواتالتى قضاها فيالمناطق الاستوائية . لكن هناك تغييرا أكيدا في سلوكه . فالطبيعه السمحة وعدم التكلف القديم قد ضاع تقريبا في صوته وحركاته التى تشبه حركات رجال الأعمال بما فيها من خفة ومرح . كما ان حديثه يتسم بلهجة حازمة كما لو أنه اعتاد اصدار الأوامر التى كانت تطاع بطبيعة الحال . يرتدى حلة زرقاء بسيطة وقبعة كتلك التى يلبسها ضابط في سفينه تجارية) .

ندرو : هاقد وجدتك ، آه ؟

روبرت : مرحبا ، يااندى .

اندرو : (يقترب من مارى) ومن هذه الشابة الصغيرة التى تجلس معها وحدك ، آه ، هذه الشابة الصغيرة الجميلة (يدغدغ مارى التى تضحك وتتلوى ، ثم يرفعها فوق رأسه الى مدى ذراعه) هيا ، يازهرة اللؤلؤ ! (يعيدها

ثانية الى الارض) وها أنت ذا ! (يتجه الى الصخرة ويجلس بجوار روبرت الذى يفسح له مكانا بالتحرك الى جانب الصخرة) لقد اخبرتنى روث بأنه من المحتمل أن اجدك على ايه حال . (يدغدغ اخاه في حنان) الا زلت تقوم بالاعيبك القديمة ، أيها الشحات العجوز واستطيع ان اتذكر كيف اعتدت ان تصعد الى هنا ايام زمان وتستغرق في الاحلام .

روبرت : (بابتسامة) إننى أصعد الى هنا الآن ، لأنه أبرد مكان في المزرعة . أما الأحلام فقد تخليت عنها .

أندرو : (بابتسامة فاترة) لا أصدق هذا . لايمكن أن تكون قد تغيرت الى هذا الحد . (بعد فترة صمت . . في حماس صبياني) ، أقول ، بالتأكيد ان الصعود الى هنا والحديث معك على انفراد ليعيد أيام زمان . إننى أشعر بسعادة كبيرة للعودة للديار .

روبرت : اننـــا سعداء جدا لعودتك .

أندرو : (بعد فترة صمت . . وبنبرة ذات معنى) لقد كنت أتجول في أنحاء المزرعة مع روث . ويبدو أن الأمور لا . . . .

روبرت : (يحمر وجهه . . . ثم يقاطع أخاه فجأة) دعك من هذه المزرعة اللعينة ! دعنا نتحدث عن شيء شيق . ان هذه هي الفرصة الأولى لأتحدث معك على انفراد . حدثنى عن رحلتك .

أندرو : ألم أخبرك عن كل شيء في خطاباتي ؟

روبرت : (مبتسما) ان خطاباتك كانت على أقل تقدير . . موجـــزة .

أندرو : أوه ، أعلم أنني لا أجيد الكتابة . فلا تخشى من جرح شعورى ، إنني أفضل أن أمر باعصار مرة أخـــرى عن أن أكتب خطابا .

روبرت : (في شوق واهتمام) إذن مررت باعصار ؟

أندرو : نعم . . في بحر الصين . لقد كان علينا أن ننجرف أمامه مع طى الشراع مدة يومين . لقد ظننت أننـــا سنهوى الى قاع البحر بالتأكيد . إننى لم أتصور على الإطلاق أمواجا بمثل هذا الارتفاع ولا رياحا بمثل هذا العنف . ولولا مهارة خالى ديك لأصبحنا جميعا طعما لأسماك القرش . . ولقد خرجنا من هذا الاعصار وقد فقدنا السارية الرئيسية ، فاضطررنا الى العودة في بطء الى هونج كونج لكى نقوم بإصلاح السفينة . لابد أني كتبت لك بكل هذا .

روبرت : لم تذكر هذا على الاطلاق .

أندرو : ايه ، لقد كانت هناك مهام فظيعة لإعادة الأمور الى نصابها حتى أنني نسيت أن أذكر هذا الإعصار .

روبرت : (ينظر إلى أندرو — في دهشة) تنسى الإعصار ؟ (في شيء من الازدراء) انك مخلوق غريب ، يا أندى وهل ما قلته الآن كل ما تذكره عنه ؟

أندرو : أوه ، في استطاعتي أن أغرقك بالتفاصيل إذا أردت أن أقص عليك . انها جهنم بحق . كان يجب أن تشاهدها.

أذكر أنني فكرت فيك في أحلك الأوقات ، وقلت لنفسى « لو أن روبي رأى البحر في هذه الحالة لشفي من أفكاره حول جماله » أؤكد لك أنك كنت شفيت .
(يومىء برأســه مؤكدا) .

روبرت : (في جفاء)يبدو أن البحر لم يترك انطباعا طيبا في نفسك.

أندرو : فعلا ! ولن أضع قدمي على ظهر باخرة مرة أخرى ، إذا استطعت اللهم إلا للانتقال إلى مكان لا يمكن الوصول اليه بالقطار .

روبرت : ولكنك قمت بدراسة لتصبح ضابطا بحريا !

أندرو : لقد اضطررت الى ذلك وإلا جننت . لقد كانت الأيام تمــر وكأنها سنين . (يضحك) أما عن الشرق الذى كنت تهذى عنه . . ايه ، ينبغي أن تراه ، وتشم رائحته ! إذا ماسرت في الطرق الضيقة القذرة و قــد لسعتها الشمس الاستوائية لشعرت بالغثيان طــوال حياتك من عجائب الشرق وأسراره التي اعتدت أن تحلم بها .

روبرت : (يبتعد عن أخيه وينظر اليه في بغض شديد) إذن ، كل ما وجدته في الشرق بؤرة ذات رائحة نتنة ؟

أندرو : بؤرة نتنة ؟ عشرات الآلاف منها !

روبرت : ولكنك أحببت بعض الأماكن ، كما بدا من خطاباتك. مثل ســدني وبيونس ايريس .

أندرو : نعم ؟ سيدني مدينة طيبة (في حماس) ولكن بيونس ايريس . . هي المكان الذى يروق لك . ان الأرجنتين

بلد فيها فرص كبيرة للنجاح . أنت محق في قولك أنى أحبها ، وأؤكد لك ياروب ، انها المكان الذى سأذهب اليه بمجرد أن أطمئن عليكم وحالما أجد سفينة . في استطاعتي أن أجد مكانا كضابط ثان ، وبمجرد وصولى الى هناك سأغادر السفينة ، لهذا أحتاج لكل سنت من الأجر الذى سيدفعه لى خالى ديك لكى أبدأ أى عمل في بيونس ايريس .

روبرت : (يحملق في أخيه ويقول في بطء) إذن لن تبقى في المزرعة ؟

أندرو : بالطبع لا . . هل كنت تظن غير ذلك ؟ لن يكون في بقائي أى معنى ، فواحد منا يكفي لإدارة هذه المزرعة الصغيرة .

روبرت : أعتقد أن هذه المزرعة تبدو الآن صغيرة في نظرك .

أندرو : (لا يلاحظ التهكم في لهجة روبرت) ليست لديك فكرة ، ياروب عن عظمة الأرجنتين . لدى خطاب من موظف في شركة تأمين بحرية تعرفت عليه في هونج كونج . . . لدى خطاب الى أخيه الذى يعمل في تجارة الحبوب في بيونس ايريس . لقد (أُعجب بي) أولع بي كثيرا ، والأهم من ذلك أنه عرض عليّ وظيفة ، إذا ما عدت إلى هناك . كنت أقبل هذا العرض على الفور ، إلا أننى لم أشـأ أن أتخلى عن خالى ديك ، كما أنني وعدتكم بالعودة . أؤكد لك أنني سـأعود إلى هناك ، وعندئذ راقب النجاح الذى سيصادفنى

(يضرب روبرت على ظهره في خفة) ألا ترى ، ياروب ، ان هذه فرصة كبيرة ؟

روبرت : انها فرصة عظيمة . . . لك ، يا أندى . . .

أندرو : نحن نسمى هذه مزرعة . . يجدر بك أن تسمع عن المزارع هناك . . . مزارع مساحتها عشرات الأميال المربعة وليست فدانا كمزرعتنا . انها بلد جديدة تبـــدأ فيها المشروعات الكبيرة . . وأريد أن أقوم بمشروع كبير قبل أن أموت . فيما يختص بالزراعة . فأنني لست جاهلا ، كما أنني أعرف شيئا عن الحبوب . ولقـــد قرأت كثيرا عنها مؤخرا . (يلاحظ أن روبرت شارد الذهن فيضحك) استيقظ ، أنت أيها العجوز المتيم بقراءة الشعر ! إننى أعلم أن حديثي عن الأعمال يثير فيك الرغبة في خنقى ، أليس كذلك ؟

روبرت : (بابتسامة متحيرة) كلا ، يا أندى . . . فقط كنت أفكر في شيء آخر . (عابسا) لقد مرت بي أوقات كثيرة وددت فيها أن يكون لى قدرتك على إدارة الأعمال .

أندرو : (في رزانة) هناك شيء أريد أن أحدثك عنه ، ياروب . . . المزرعة هل لديك مانع ؟

روبرت : كلا .

أندرو : لقد تجولت فيها هذا الصباح مع روث . . وقد أخبرتنى عن كل شيء (متلمسا العذر) لقد رأيت المزرعة في حالة تدهور ، لكن يجب ألا تلوم نفسك على هذا . عندما يقف الحظ ضـــد أى شخص . . . .

روث : لاتقل هذا ، يا أندى ، انها غلطتى . أنت تعرف ذلك كما أعرفه إن أقصى ما استطعت عمله هو أن أوازن بين الدخل والمنصرف .

أندرو : (بعد فترة صمت) لدى ما يزيد على ألف دولار اقتصدتها ، ويمكنك أخذها .

روبرت : (في حزم) كلا . أنت في حاجة الى هذا المبلغ لتبدأ العمل في بيونس ايريس .

أندرو : كلا لا أريده . في استطاعتى . .

روبرت : (في اصرار) لا ، يا أندى ! ولآخر مرة لا ! لا أريد أن أسمع شيئا عن هذا !

أندرو : (محتجا) أنت أيها العنيد التافه . !

روبرت : أوه ، كل شيء سيسير على ما يرام بعد الحصاد ، فلا تشغل بالك .

أندرو : (في ريبة) ربما . (بعد فترة صمت) من سوء الحظ أن والدى لم يطل به العمر حتى يسير بالأمور الى بر الأمان . (في تأثر) لقد حزنت كثيرا — لوفاته . لم يرق أبدا — لم يرق قلبه نحوى — أليس كذلك . .

روبرت : إنه لم يدرك قط ، هذا تعبير ألطف لوصف مشاعره . إنه يدرك الآن .

أندرو : (بعد فترة صمت) لقد نسيت كل شيء بخصوص ... السبب الذى دفعنى للرحيل ، أليس كذلك ؟ (يومىء روبرت بالإيجاب وان لم يلتفت اليه) لقد كنت عاطفيا أبله في تلك الأيام أكثر منك . لكن إرادة الله شاءت

أن أرحل ، وأن تفتح عيني لمـــا كنت فيه من بلاهة . لقد نسيت كل شيء عن هذا — قبل أن يمضي عليّ ستة أشهر في البحر .

روبرت : (يستدير ويحدق النظر في عيني أندرو) أنت تتحدث عن — روث ؟

أندرو : (في ارتبـــاك) نعم . لم أشـــأ أن تكون لديك أفكاراً خاطئة ، وإلا لسكت (يلقي نظرة مباشرة إلى عيني روبرت) إنني أقول لك الصدق عندما أذكر أنني نسيت منذ وقت طويل . قد لاتحسن الظن بي إذ قلت أني نسيت بهذه السهولة ، ولكن الأمر لم يتعد كونه فكرة صبيانية تسلطت على نفسي . إنني واثق الآن بأنني لم أحب قط . . وكنت أجـــد متعة في توهم ذلك ، . . . وفي ايهـــام نفسي بأنني بطل (بتنهيدة كبيرة تنم على الراحة) والآن ، أشعر بالسعادة إذ أزحت هذا العبء عن صدري . لقد كنت أشـــعر بالحرج منذ عودتي عندما كنت أفكر فيما يجـــول بخاطركما من أفكار (يبدو في صوته بعض الاستعطاف) لقد قلت لك كل شيء في صراحة تامة ، أليس كذلك يا روب ؟

روبرت : (في صوت منخفض) نعم ، يا أندى .

أندرو : وسأخبر روث أيضا ، إذا لم تخن أعصابي . لابد أنها تشعر بشيء من الغرابة عندما تجدني بالقرب منها — وبعدما كان بيننا من . . . دون أن تعرف حقيقـــة مشاعري نحوها .

روبرت : (ببطء) ربمـــا من الأفضل – بل من أجل خاطرها – ألا تخبرها .

أندرو : من أجل خاطرها ؟ أوه ، أتعني أنها لا تحب أن يذكرها أحـــد ببلاهتي ؟ مع هذا ، أظن أنه من الأسوأ إذا ...

روبرت : منفجرا وفي صوت ينم عن الألم) افعل ما تشاء ، يا أندى ، لكن بربك دعنـــا لا نتحدث عن هـــذا الموضوع (فترة صمت . يحملق أندرو في روبرت في دهشة وألم . يستمر روبرت بعد لحظة في صـــوت يحاول دون جدوى أن يجعله هادئا) معذرة يا أندى . ان هذا الصداع الفظيع قـــد حطم أعصابي .

أندرو : (متمتما) لا بأس ، ياروب . . طالمـــا لا تشعر بمرارة نحـــوى .

روبرت : أين اختفى خالى ديك هذا الصباح ؟

أندرو : لقد ذهب الى الميناء ليصرف بعض الأمور على السفينة « سوندا » لقد قال أنه لايعرف بالضبط متى يعـــود . وعند قدومه سأضطر الى الذهاب لأدبر بعض أمـــور السفينة ولهذا لبست هذه الثياب .

مـــارى : (تشير الى التل جهة اليسار) انظر ! ماما ! ماما (تجاهد لكى تقف على قدميها . تظهر روث من جهة اليسار . ترتدى فستانا أبيض ، ويبدو أنها اعتنت بمظهرها . فتبدو جميلة ، متوردة وممتلئة بالحيوية) .

مـــارى : (تجرى نحو أمها) ماما !

روث : (تقبلها) هالوا ، ياعزيزتي ! (تسير نحو الصخـــرة

وتخاطب روبرت في برود) ان جيك يريد مقابلتك بخصوص شيء ما . لقد أتم العمل وهو ينتظر في الطريق.

روبرت : (ينهض . . في أعياء) سأذهب اليه على التو (عندما ينظر الى روث ويلاحظ تغير مظهرها ، يغبر وجهه من الألم) .

روث : وخذ ماری معك ، من فضلك . (الى ماری) اذهبي مع بابا ، وكوني فتاة طيبة . لقد أعدت جدتك طعامك .

روبرت : (في اقتضاب) تعالى ، يا ماری !

ماری : (تأخذ يده وترقص فرحا وهي بجانبه) بابا ! بابا ! (ينزلنا التل جهة اليسار . تنظر روث اليهما لحظة ، وهي عابسة . . . . تلتفت الى أندى وهي تبتسم) سأجلس . . تعال ، يا أندى . سيذكرنا هذا بأيام زمان . (تقفز في خفة الى قمة الصخر وتجلس) ان الجو هنا جميل وبارد على عكس البيت .

أندرو : (نصف جالس على جانب الصخرة) فعلا . . ان الجو عظيم .

روث : لقد أخذت أجازة تكريما لقدومك (تضحك في انفعال) أشعر بحرية لدرجة أنني أتمنى أن تكون لى أجنحة حتى أحلق فوق البحر . أنت رجل ، ولهذا لاتدرك مدى فظاعة وسخافة . . الطبخ وغسل الصحون طوال الوقت . .

أندرو : (متأففا) في استطاعتي أن أتخيل ذلك .

روث : وعلاوة على ذلك ، لقد أصرت والدتك على أن تقدم لك أول غذاء بعد عودتك . انها سعيدة لعودتك . قد تظن أنني سأدس لك السم في الطعام لو رأيت الطريقة التي أزاحتني بها من المطبخ .

أندرو : هذه طبيعة والدتي التي لا تتغير ، باركها الله !

روث : لقد أوحشتها كثيرا . وأوحشتنا كذلك . ولا يمكنك أن تنكر أن المزرعة أيضا في حاجة اليك بعد ما رأيته هذا الصباح عندما تجولنا فيها .

أندرو : (عابسا) ان الأحوال سيئة ، هذه هي الحقيقة ! وما أقسى هذا على قلب روب المسكين !

روث : (في ازدراء) انها غلطته . انه لا يهتم بأى شيء .

أندرو : (معاتبا) لا يمكنك أن تلقي اللوم عليه . إنه لم يخلق لهذا العمل ، وإن كنت أعلم أنه عمل ما في وسعه من أجلك ومن أجل الوالدين ومن أجل ابنته الصغيرة .

روث : (بلا اكتراث) نعم ، أظن ذلك . (في مرح) لكن شكرا لله ، لقد ولت تلك الأيام الآن . ان « الحظ السيء » الذى يشكو منه روبرت على الدوام لن يطول عندما تتولى أنت يا أندى الاشراف على الأمور . ان كل ما يلزم المزرعة رجل بعيد النظر يعد العدة لما قد يحدث في المستقبل .

أندرو : ان روب ليس لديه هذه المقدرة حقا . وهو يعترف بهذا صراحة . . لهذا سأحاول ان استأجر رجلا طيبا . .

مزارعا مجربا . . ليدير المزرعة بأجـــر وبنسبة مئوية . سيزيح هذا العبء من على كاهل روب وينقذه من القلق المضني . انه موهق للغاية ، ياروث ، ويجب عليه أن يعتنى بصحته .

روث : (شاردة الذهن) نعم ، أعتقد ذلك . (ان الجـــزء الأول من كلامه ملأ ذهنها بتوقع الشر) لمـــاذا تريد أن تستأجر رجلا للإشراف على الأمور بالمزرعة ؟ يبدو الآن أنه لا لزوم لهذا مادمت قد عدت .

أندرو : بالطبع سأشرف على الأمور أثنـــاء وجودى . لكن بعد رحيلى . . .

روث : (كأنها لاتصدق أذنيها) رحيلك !

أندرو : نعم . عندما أرحل إلى الأرجنتين ثانية .

روث : (فزعة) تعود إلى البحر !

أندرو : كلا ، ليس للبحر ، لقد انتهت علاقتى بالبحر كمهنة . إننى ذاهب الى بيونس ايريس لأعمل في تجارة الحبوب

روث : ولكنها مدينة . . . بعيدة جدا . . أليس كذلك ؟

أندرو : (ببساطة) حوالى ستة آلاف ميل . انها رحلة طويلة . (بحماسة) ان لدى فرصة كبيرة هناك ، ياروث . سلى روب عن هذا . لقد أخبرته الآن بكل شيء .

روث : (وقد احمر وجهها غضبا) الم يحاول منعك من الذهاب

اندرو : (مندهشا) كلا ، بالطبع لا . ولماذا ؟

روث : (ببطء وفي حقد) هذا هو المنتظر منه .

اندرو : (باستياء) ان روب من الطيبة بمكان حتى انه لا يحاول ان يمنعني عن شيء حينما يعلم انني قد عقدت العزم عليه . ولقد تبين عندما اخبرته انها فرصة طيبة لي .

روث : (في ذهول) وأنت عازم على الرحيل ؟

اندرو : بالطبع . أوه ، لااعني الرحيل مباشرة . لابد أنانتظر سفينة متوجهة الى هنالك فترة من الزمن . على اية حال انني اريد البقاء معكم وأزور الاهل مدة من الزمن قبل الرحيل .

روث : (وقد انعقد لسانها) أظن (بالم مفاجيء) أوه ، انديى لايمكنك الرحيل . لايمكن . لقد كنا نظن . . ونامل في انك ستعود لتبقى وتستقر في المزرعة وتشرف على الامور . يجب الا تذهب ! فكر في والدتك وكيف ستتقبل فكرة رحيلك . . وكيف سيحل الخراب بالمزرعة اذا ماتركتها لروب . . يمكنك ان تدرك هذا

اندرو : (عابسا) لم تكن ادارة روث للمزرعة سيئة الى هذا الحد ، وعندما آتي بشخص يدير الامور ستكون المزرعة في أمان .

روث : (في اصرار) ولكن فكر في والدتك . .

اندرو : لقد اعتادت على غيابي . ولن تعترض عندما تدرك أن هذا لمصلحتي ولمصلحة الجميع . سلي روب . في بحر سنتين هناك ، سأكون ثروة ، بالتأكيد ، وعندئذ سأعود واستقر وأجعل من هذه المزرعة أفضل مكان في الولاية كلها . وفي الوقت نفسه ، سأساعدكما وأنا هناك (في حماس) اؤكد لك ياروب بانني سأنجح

من اول لحظة بفضل الاجتهاد والعزم . انني واثق من هذا (بانفعال . . وفي نبرة تنم على المباهاة) اؤكد لك بأنه آن الاون لأن أقوم بأعمال كبيرة أفضل من استقراری هنا . هذا مافعلته الرحلة بی . على أی حال لقد ارتنی العالم في نطاق اوسع مما دار بخلدی فيالايام الخوالی . ولن اقتنع بعد هذا بأن التصق بالمزرعة هنا كما يلتصق الذباب بالعسل . ان كل شيء يبدو تافها ، بشكل ما وينبغي عليك ان تدركی مشاعری .

روث : (في فتور) نعم . . ينبغي ذلك (بعد فترة صمت . . يسيطر على ذهنها شك مفاجیء) مااللذی قاله روب . عنی ؟

روبرت : قال ؟ عنك ؟ لاشيء .

روث : (تحدق النظر فيه) هل ماتقوله هو الصدق ، ياأندی مايو هل قال انی . . . (تتوقف في ارتباك)

ندرو : (مندهشا) كلا ، لم يذكرك ، على قدر ما اتذكر . ولم السؤال ؟ مااللذی جعلك تظنين انه ذكرك . ؟

روث : (تعصر يديها) أوه ، أود أن أتأكد اذا كنت تكذب أم لا ؟

ندرو : (غاضبا) مااللذی تتحدثين عنه ؟ إنني لم أعتقد الكذب عليك ، أليس كذلك ؟ بالله لماذا أكذب ؟

روث : (لاتزال غير مقتنعة) هل أنت متأكد . . هل تقسم بأنه ليس السبب . . (تخفض نظرتها وعلى وشكالابتعاد عنه) انه نفس السبب الذی دفعك المرة الماضية على

الرحيل ؟ لأنه إذا كان نفس السبب . . فانني كنت اقول . . يجب ألا اترحل . . من أجل هذا .
(ينخفض صوتها حتى يصير همسا رقيقا مرتعشا عندما تنتهى من كلامها)

اندرو : (مرتبكا . . ويتكلف الضحك) أوه ، اهذا ماترمين اليه ؟ ايه ، . لاتقلقى بالك بهذا الشأن بعد الآن . . . (في اتزان) انني لاألومك ياروث اذ تشعرين بالاحراج لوجودى بالقرب منكما مرة اخرى ، بعدما تصرفت كالأبله ورحلت المرة الماضية .

روث : (وقد انهار أملها . . وهى تشهق في ألم) أوه ، اندى !

اندرو : (يسىء الفهم) أعرف انه ينبغى ألا اتحدث عن مثل هذا السخف اليك . ومع هذا فانني اتصور بأنه من الخير ان افصح عن عميق مشاعرى حتى نعود نحن الثلاثة الى سابق عهدنا ولاتقلق لاعتقادنا أن أحدنا قد يكون لديه أفكار خاطئة .

روث : اندى ! ارجوك ! لاتقل هذا !

اندرى : دعينى انتهى من الحديث مادمت قد بدأت . ان هذا سيساعد على تصفية الموقف . لاأريدك أن تظنى ان الأحمق يظل أحمق على الدوام ، ولاتنزعجى طوال اقامتى هنا من جراء حماقتى السابقة . أريدك انتعتقدى انني طرحت كل هذه الحماقة وراء ظهرى منذ وقت طويل . . والآن . . يبدو وكأنك كنت دائما بمثابة اخت لى . هذه حقيقة الامر ، ياروث .

روث : (لم تعد تقوى على الاحتمال فتضحك بطريقةهستيرية بربك ، ياأندى . . . ارجوك ان تكف عن الكلام ! (تخفى وجهها ثانية بين يديها ، وقد احنت كتفيها المرتعشتين) .

اندرو : (في أسف) يبدو أنني غير موفق كلما فتحت فمى اليوم . ان روب صدنى بنفس الكلمات تقريبا عندما حاولت أن أكلمه عن الموضوع .

روث : (في عنف) وهل أخبرته . . بمـــا قلته لى ؟

أندرو : (منذهلا) بالطبع ! ولم لا ؟

روث : (مرتعدة) أوه ، يا إلهي !

أندرو : (فزعا) لمـــاذا ؟ ولم لا أخبره ؟

روث : (بطريقة هستيرية) أوه ، إننى لا أبالى بمـــا تفعل ! لا أبالى ! اتركنى لوحدى ! (ينهض أندرو وينزل من التل جهة اليسار ، في حرج ، وألم ، وحيرة شديدة من تصرفها) .

أندرو : (بعد فترة صمت . . مشيرا إلى أسفل التل) هالو ! ها قد عادوا . . والقبطان معهم . ياترى ، كيف عاد بهذه السرعة ؟ هذا يعنى أنه يجب أن أهرع الى المينـــاء ثم على ظهر السفينة . ان روب معه ابنته . (يعود إلى الصخرة . تتجنب روث النظر اليه) ياه ، إننى لم أر قط والدا متعلقا بابنته مثل روب ! انه يراقب كل حركة تقوم بها . إننى لا ألومه . ولكل منكما الحق في أن يشعر بالفخر فهي بالتأكيد تأسر القلوب (يرمق

روث ليرى إذا كانت هذه المحاولة المكشوفة لإعادتها لطبيعتها قد أحدثت أى أثر) يمكن ملاحظة الشبه التام بينها وبين روب ، أليس كذلك ؟ لكن لا يمكن لأحد أن ينكر أنها ابنتك كذلك . فهناك شيء في عينيها . .

روث : (بطريقة تثير الشفقة) أوه ، يا أندى عندى صداع ! لا أريد الكلام ! أرجوك ، اتركني لوحدى .

أندرو : (يقف محملقا فيها برهة . . ثم يسير بعيدا وهو يقول في صوت كسير) يبدو أن الكل هنا متوتر الأعصاب اليوم . إنني بدأت أشعر بأن وجودى هنا غير مرغوب فيه (يقف بالقرب من الممر وهو يضرب الحشائش بطرف حذائه . بعد لحظة يدخل الكابتن ديك سكوت ، يتبعه روبرت حاملا مارى . لا يكاد يبدو لنا أن الكابتن قد تغير عما كان عليه منذ ثلاث سنوات مضت فلا يزال هو الشخص المرح الممتلىء حيوية إنه يلهث ويزفر من صعوده التل ويجفف وجهه بشدة . يرمق روبرت أخاه أندرو ، ويلاحظ على وجهه سيماء الارتياك ثم ينتقل ببصره إلى روث التي تحركت عند مقدمهم حتى أصبح ظهرها متجها اليهم ، وذقنها يستند على يديها بينما هي تنظر نحو البحر) .

مارى : ماما ! ماما ! (ينزلها روبرت وتلتفت مارى الى والدتها : تستدير روث وتحتويها بين ذراعيها في حنان مفاجىء شديد ، وبسرعة تدير وجهها عن الآخرين . في خلال المشهد التالى تحمل مارى بين ذراعيها) .

سكوت : (وهو ينهج) أوف ! لدى أخبار عظيمة لك ، يا اندى

دعني أولا استرجع أنفاسي . أوف ! يا إلهي ! إن صعود هذا التل اللعين لأســوأ من الانطلاق إلى السماء دفعة واحدة . لابد أن أستلقي لحظة (يجلس على الحشائش وهو يجفف وجهه من العرق) .

أندرو : لم أتوقع عودتك بهذه السرعة ، ياخالى .

سكوت : ولا أنا كذلك ، ولكن وصل الى سمعي خبر طيب وأنا في طريقي الى نادى البحارة فتركت السفينة وأفردت شراعي بحثـــا عنك .

أندرو : (في لهفة) وما الخبر ، ياخالى ؟

سكوت : عند مرورى بنادى البحارة خطر لى أن أدخل وأخبرهم بأنني في حاجة الى ضابط بحرى يحل محلك في الرحلة القادمة . فسألني عنك باهتمام خالص الموظف المسئول عن الشحن قائلا « هل تظن أنه يقبل العمل ضابطا ثانيا على الباخرة ، يا كابتن ؟ » كنت على وشك أن أقول لا ، لولا أنني تذكرت رغبتك في أن تعود الى « نهــر البلات» ولهذا سألته «ما اسم الباخرة وما هي وجهتها ؟» فرد قائلا « انها سفينة جديدة تمـــاما تسمى « البـــازو El Paso » ووجهتها « ببونس ايريس » .

أندرو : (تبرق عيناه من الانفعال (ياه ، انها ضربة حظ ! ومتى ستبحر ؟

سكوت : غدا صباحا . لم أكن أدرى أنك ترغب في الإبحـــار بهذه السرعة وعندما أخبرته بذلك قال « أخبره بأنني سأحتفظ بالمكان شـــاغرا حتى ساعة متأخرة من عصر هذا اليوم » وها أنت أمامك الاختيار .

أندرو : أود أن أقبل هذا العرض ، فقد تمـــر شهور حتى أجد مكانا شـــاغرا في سفينة أخرى متجهة الى بيونس ايريس . (تنتقل عيناه من روبرت الى روث أكثر من مرة . . ثم يقول في تردد) ومع ذلك . . . ياللعنة . . . ان صباح الغد قريب جدا . أتمنى ألا تبحر السفينة قبل أسبوع أو أكثر ، حتى تعطيني فرصة . . انه لشاق على نفسي أن أرحل بمجرد عودتي . ومع هذا فهي فرصة نادرة . . . (يستنجد بروبرت) ما رأيك ، ياروب ؟ ماذا تفعل لو كنت مكاني .

روبرت : (يتكلف الابتسام) أنت تعرف ما يحدث لمن يتردد (عابسا) . انها ضربة حظ واتتك . . وأظن أن الأمر بيدك لتنتهزها . لكن لا تطلب مني أن أقرر هذا لك .

روث : (تلتفت الى أندرو باستياء شـــديد) نعم ! ارحل ، يا أندى !

(تستدير بعيدا . ثم يتبع هذا فترة صمت حرجة) .

أندرو : (مستغرقا في التفكير) نعم ، أظن أنه يجب أن أرحل . هذا أفضل لنا جميعا ، ألا ترى ذلك ، ياروب ؟ (يومئ روبرت برأســـه ولكنه يظل صامتا) .

سكوت : (ينهض واقفا) إذن اتفقنا .

أندرو : (الآن وقد اتخذ قرارا نهائيا تبدو في صوته نبرة الأمل والقوة والحيوية) نعم ، سآخذ هذا العمل . وكلمـــا أسرعت في الذهاب كانت عودتي أسرع ، بالتأكيد ، ولن آتي صفر اليدين في المـــرة القادمة . أراهنكم على ذلك !

سكوت : ليس لديك متسع من الوقت ، يا أندى . اعمل أقصى جهدك لأن تغادر هذا المكان بأسرع ما يمكن . أما أنا فيجب أن أعود إلى السفينة ومن الأفضل أن تأتي معي .

أندرو : سأتوجه الى المنزل وأبدأ على الفور في إعادة حـــزم حقائبي .

روبرت : (في هـــدوء) ستتناولان الغذاء معنا ، أليس كذلك ؟

أندرو : (قلقا) لا أدرى . هل سيكون لدينا وقت ؟ ياترى كم الساعة الآن ؟

روبرت : (معاتبا) ان والدتي قد أعدت لك غداء خاصا ، يا أندى

أندرو : (يحمر . . خجلا) أوه ! كنت سأنسى هذا ، بالطبع سأنتظر للغذاء حتى ولو فاتتني كل سفن العالم (يلتفت الى الكابتن . . ويقول في خفة) تعال ، يا خالى . سر معي إلى البيت وأخبرني عن هذه الوظيفة أثناء سيرنا في الطريق ، لابد أن أحزم ، أمتعتي قبل الغداء (يهم أندرو والكابتن في النزول جهة اليسار . ويصيح أندرو من فوق كتفه) ستحضر حالا ياروب ، أليس كذلك ؟

روبرت : نعم ، سآتي مباشرة . (يغادر أندرو والكابتن . تنزل روث مارى على الأرض . وتختفي وجهها بيديهـــا . وتهتز كتفاها كما لو أنها تشهق . يحملق روبرت فيها بنظرة قاتمة كئيبة . تتقدم مارى نحو والدها وعيناها المندهشتان مركزتان على والدتها) .

مـــارى : (في صوتها خوف غير واضح المعالم ، وتمسك بيـــد والدها) بابا ، ان والدتي تبكي ، يا بابا !

روبرت : (ينحني ويربت على شعرها . . ويتكلم بصوت يحاول جاهدا أن يكون خاليا من الفظاظة (لا ، انها لا تبكى ، يا ابنتى الصغيرة . إن ضوء الشمس يؤذى عينيها ، هذا كل مافي الأمر . ألا تحسين بالجوع ، ياماري ؟

مـــاري : (بشكل قاطع) نعم ، يا بابا .

روبرت : (بلهجة ذات معنى) لابد أن وقت غذائك قد حان الآن

روث : (في صوت مكتوم) إننى قادمة ، ياماري (تمسح الدموع من عينها بسرعة ، وبدون النظر الى روبرت ، تقبل وتمسك بيد ماري . . ثم تقول في صوت لاحياة فيه) . تعالى ، وسأحضر لك الطعام . (تسير جهـــة اليسار ، وعيناها مثبتتان على الأرض ، بينما ماري تثب على الأرض وتشد على يدها . ينتظر روبرت لحظة حتى يتقدما ، ثم يتبعهما في بطء ، عندما يســدل الستار) .

الفصل الثالث

المنظـــر الأول

(نفس منظر الفصل الثاني المنظر الأول . غرفة جلوس بيت المزرعة حوالى السادسة من صباح يوم في نهاية شهر أكتوبر بعد مـــرور خمس سنوات . لم يطلع الفجر بعد ، ولكن كلما سارت الأحداث قـــد ما يتحول الظلام خارج النوافذ شيئا فشيئا إلى لون رمادى .

اما الغرفة ، كما تبدو في ضـــوء مصباح بترولى موضوع على المائدة ذى قمع أغشاه الدخان ، فانها مثل للاضمحلال والتفكك . الستائر على النوافذ ممـــزقة ومتسخة ، كما أن احداها غير موجودة . أما الكتب المغلق فرمادى اللون من التراب المتراكم عليه ، كما لو أنه لم يستعمل منذ سنين . وتشـــوه ورق الحائط بقع ناتجة عن الرطوبة . وعلىالسجاد الباهت اللون آثار وبره من السير الى المطبخ والأبواب الخارجية . أما سطح المـــائدة التي لا غطاء لها ففيه بقع من أثر الأطباق الساخنةوالطعام المسكوب . وقد أصلحت بطريقة غير متقنة الدعامة الخشبية لأحـــد الكراسي الهزاز وذلك بوضع قطعة خشب بسيطة عليها . وتغطي الموقد الذى لم يطل باللون الأسود طبقة بنية من الصدأ ، كما تبدو كومة من الخشب ملقاة بطريقة مهملة بجانب الحائط بالقرب من الموقد .

ان جو الغرفة كله ، إذا ما قورن بالسنوات المـــاضية ، جو من من الفقر الذى اعتادت الأسرة عليه بطريقة ميؤوس منها ، لدرجة أنها استسلمت اليه فلم تعد تشعر بخجل منه أو حتى تدرك وجوده .

عند رفع الستار تبدو روث جالسة بجوار الموقد ، وقد مدت يديها طلبا للدفء ، كما لو كان الهواء في الغرفة باردا ورطبا . كما لفت شالا ثقيلا حول كتفيها ، أخفى بعض الشيء ملابس الحداد التي ترتديها . لقد بدت أكبر سنا بشكل فظيع ، فوجهها الشاحب ذو التجاعيدالعميقة عليه نظرة جامدة لا تعبير فيها ، كما لو أن الأحداث لم تعد تؤثر فيها ، وكأنما نضب معين عواطفها . وعندما تتكلم يبدو صوتها خفيضا رتيبا بلا نغم كما أن عدم اهتمامها بملابسها وشعرها الغير مرتب الذىوخطه الشيب ، وحذاؤها الملطخ بالطين المتآكل النعل لدليل تام على تبلد أحاسيسها .

أما أمها فنائمة في كرسيها ذى العجل بجوار الموقد تجاه مؤخرة المسرح وقد لفت نفسها ببطانية .

هناك صوت آت من باب غرفة النوم المفتوح عند مؤخرة المسرح ، كما لو أن شخصا ما ينهض من فراشه . تستدير روث الى هذا الاتجاه في ضيق . وبعد لحظة يبدو روبرت عند المدخل وهو يستند على الباب في ضعف . شعره طويل غيرمنسق ، ووجهه وجسمه ضامران . وهناك بقع قرمزية على عظام الخدين ، كما أن عينيه مستعرتان من الحمى . يرتدى سروالا من قطيفة « الكورد روى » الرخيص ، وقميصا من الفانلة ، كما يضع في قدميه العاريتين صندلا قديما) .

روث : (في فتور) اش ! أمى نائمة !

روبرت : (يتكلم بجهد) لن أوقظها . (يسير في ضعف نحو الكرسي الهزاز بجانب المائدة ويغوص فيه في أعياء) .

روث : (تحملق في الموقد) يحسن أن تقترب من النار حيث الدفء .

روبرت : كلا . ان جسمي يشتعل الآن .

روث : هذه . حمى . أنت تعلم أن الطبيب قد طلب منك ألا تنهض من الفراش وتمشى في البيت .

روبرت : (في غيظ) ياله من عجوز هـَرِم . انه لا يعرف شيئا ، والعلاج الوحيد الذى يصفه هو على الدوام « اذهب الى فراشك ولا تتحرك » .

روث : (بلا اكتراث) وكيف تشعر الآن ؟

روبرت : (مبتهجا) أحسن ! أحسن بكثير مما كنت أشعر به منذ زمن بعيد . حقا ؟ إننى على خير ما يرام . . . ماعدا شعورى بضعف شديد . أظن أن هذه نقطة التحول . فمن الآن فصاعدا سأتقدم بسرعة نحو الشفاء لدرجة ستدهشك . . وليس هذا بفضل هذا الأبله العجوز ، ذلك الطبيب الريفي الدجال !

روث : لقد كان على الدوام يهتم بأمرنا .

روبرت : أتعنين أنه كان دائما يساعدنا على الموت ! لقد « اهتم بأمر والدى ووالدتي و . . . (في تأثر) . . وبأمر ماری .

روث : (في فتور) لقد بذل كل ما في وسعه ، في حدود معرفته ، على ما أظن . (وبعد فترة صمت) ايه ، سيحضر أندى معه إخصائيا عندما يعود . لابد وأن يتمشى هذا مع رغبتك .

روبرت : (في مرارة) ألهذا تسهرين طوال الليل ؟

روث : نعم .

روبرت : من أجـــل أندى ؟

روث : (بدون أثر لانفعال) لابد أن يقوم أحدنا بهذا ، فمن الواجب أن ينتظره أحد بعد غيبة خمس سنوات .

روبرت : (في سخرية مريرة) خمس سنوات ! إنها فترة طويلة !

روث : فعـــلا .

روبرت : (بلهجة ذات معنى) للانتظار !

روث : (بدون اكتراث) لقد مضى ذلك الآن .

روبرت : نعم ، لقـــد مضى (بعد فترة صمت) هـــل معك البرقيتان ؟ (تومئ روث برأســـها) أتســـمحين لى برؤيتهما ؟ لقد كانت رأسى تدرو من الحمى عنـــد وصولهما ، لهذا لم أفهم منهما شيئا على الاطـــلاق (في تسرع) ولكني أحسن حالا الآن . دعيني أقرأهما ثانيـــة .

(تخرج روث البرقيتين من صدرها وتناولهما له) .

روث : هاهما . . . البرقية الأولى من فوق .

روبرت : (يفتح البرقية) من نيويورك ، وتقول « لقد نزلت توا من البـــاخرة . لدى أمور هامة أريد تسويتها هنـــا . سأحضر بمجرد إتمـــام الصفقة » . (يبتسم في مرارة) ان العمل هو شعار أندى على الدوام (يقـــرأ) « أتمنى أن تكونوا جميعا بخير . أندى » (يكرر العبارة في تهكم) « أتمنى أن تكونوا جميعا بخير ! » .

روث : (في فتور) لم يكن يعرف بمرضك إلا بعد أن أرسلت ردا لهذه البرقية وأخبرته بذلك .

روبرت : (نادما) بالطبع لم يكن يعرف . يالى من أحمق إذ أنني في المـــدة الأخيرة انفعل بدون سبب . فقط ماذا قلت له في ردك ؟

روث : (بلا اهتمام) كان على أن أرسلها على أن يدفع هـــو الأجرة عند الاستلام .

روبرت : (مغتاظا) ماذا قلت بخصوص مرضى ؟

روث : لقد قلت انك تشكو من مرض في الرئة .

روبرت : (في انفعال) أنت بلهاء ! كم من المرات شرحت لك ان ماأشكو منه هو التهاب البلورة . يبدو أنك لاتدركين أنالغشاء البللورى خارجالرئة وليسبداخلها

روث : (في قسوة) لقد ذكرت فقط ماقاله الدكتور سميث .

روث : (غاضبا) انه جاهل ملعون !

روث : (في تراخ) هذا لايهم . كان علىّ أن أقول شيئامالاندى أليس كذلك ؟

روبرت : (بعد فترة صمت ، وهو يفتح البرقية الثانية) لقد أرسل هذه البرقية مساء أمس . لنرى ماذا يقول فيها (يقرأ) « قادم بقطار منتصف الليل . وصلتني برقيتكم الآن . سآتي باخصائي ليرى روب . سأتوجه بالسيارة من الميناء الى المزرعة . (يحسب الزمن) كم الساعة الآن ؟

روث : حوالى السادسة ، لابد ان تكون ذلك .

روبرت : ينبغي ان يكون هنا بعد برهة قصيرة . انني سعيد لانه سيأتي بطبيب له دراية ومعرفـــة . ان الاخصائي

سيخبرك على الفور انى لاأشكو من اى مرض في الرئة .

روث : (في بلاده) لقد كنت تسعل بدرجة فظيعة في المدة الأخيرة .

روبرت : (مغتاظا) كلام فارغ ! بربك ، الم تقاسى انت نفسك من برد فظيع ؟ (تحدق روث في الموقد في صمت . يتململ روبرت في مقعده في عصبية . تمر فترة صمت آخر الامر تقع عينا روبرت على مسز اتكنز النائمة) ان والدتك سعيدة الحظ اذ تستطيع ان تنام نوما عميقا كهذا !

روث : لقد كانت تشعر بالتعب لأنها سهرت معى أكثر الليل .

روبرت : (ساخرا) هل كانت تنتظر اندى ، ايضا ؟ (بعد فترة صمت ، يتنهد روبرت) لم استطع النوم لانقذ نفسى لقد اخذت اعد عشرات الملايين من الغنم لاجلب النوم ، لكن دون جدوى . وأخيرا توقفت عن المحاولة ورقدت هناك في الظلام وأنا افكر . (يتوقف عن الكلام ، ثم يستمر في لهجة عطف رقيقة) لقد كنت أفكر فيك ياروث . . . وكيف كانت هذه السنوات الماضية قاسية عليك (في استعطاف) انني آسف ، ياروث .

روث : (في صوت لاحياة فيه) لاادرى . لقد مضت الآن . لقد كانت قاسية علينا جميعا .

روبرت : فعلا ، قاسية علينا جميعا ماعدا اندى (في ومضه من الغيرة المريضة) لقد أحرز اندى نجاحا كبيرا . . .

نال النجاح الذى تمناه . (في سخرية) والآن يعود ليدع لنافرصة القاء نظرة اعجاب على عظمته(عابسا ثم يقول في غيظ) ماذا اقول ؟ لابد ان عقلى مريض ، أيضا ! (بعد فترة صمت) نعم ، لقد كانت هذه السنوات فظيعة بالنسبة لنا نحن الاثنين (ينخفض صوته الى همس مرتعش) وخاصة الثمانية أشهر الأخيرة بعد وفاة . . ماری . (يكتم آهة فيهتز جسمه في انفعال شديد ، ثم ينفجر في انفعال أليم) إنها كانت آخر أمل لنا في السعادة ! كدت أكفر بالله . وأشك في وجوده ! (تهزه نوبه عنيفه من السعال فيسرع في وضع منديله على فمه) .

روث : (دون النظر اليه) ان ماری أحسن حالا . . حيث أنها ماتت .

روبرت : (في كآبه) هذا مصيرنا جميعا . (بضجر مفاجیء أخبری أملك بأن تكف عن القول بأن وفاة ماری ناتجة عن بنية ضعيفة ورثتها عنى .) على وشك البكاء من شدة الضعف) يجب ان تكف عن هذا ! يجب .

روث : (في حدة) اش . اش ! والا ايقظتها ، وعندئذ « تناكفنى » انا لا أنت .

روبرت : (يسعل ويضطجع الى الوراء في كرسيه في وهن . . . ثم بعد فترة صمت) هذا كله لأن والدتك تنتقدني لانني لم أطلب مساعدة من أندى .

روث : (باستياء) كان يجب أن تفعل . فلديه الكثير .

روبرت : كيف تفكرين أنت بالذات في أخذ مال منه ؟

روث : (بفتور) لاأرى ضررا في ذلك، فهو أخوك.

روبرت : (يهز كتفيه) ما فائدة التحدث معك؟ على أيه حال لم استطع ذلك (بكبرياء) ولقد تمكنت، بعون الله من من تسيير الأمور. لايمكنك الانكار بأنني بدون مساعدة نجحت في... (يتوقف عن الكلام ويضحك في مرارة) ياالهي، بماذا اتباهى؟ ديون لهذا وذاك، ضرائب، فوائد لم تسدد! انني أحمق! (يضطجع الى الوراء في كرسيه ويقفل عينه لحظة ثم يتحدث في صوت منخفض) سأكون صريحا معك، ياروث. لقد فشلت فشلا ذريعا، وجررتك معي. انني بكل انصاف لاألومك... على كراهيتك لي.

روث : (دون انفعال) أنا لاأكرهك.. كما انها كانت غلطتي ايضا، على ماأظن.

روبرت : لا. لم يكن هناك امامك الا ان تحبي.. اندى.

روث : (في فتور) أنا لاأحب أحدا.

روبرت : (غير مبال بملاحظتها) لاداعي للانكار، فهذا لايهم. (بعد فترة صمت. وبابتسامة رقيقة) هل تعلمين، ياروث، ما كنت أحلم به هناك في الظلام؟ (بضحكة قصيرة) كنت أخطط لمستقبلنا بعد شفائي (ينظر اليها بعيون مستعطفة وكأنه يخشى أن تهـزأ به. لا يظهر أي تغيير على وجهها. ثم تحدق النظر في الموقد. ثم يتكلم وفي صوته نغمة تعبر عن اللهفة) ولم لا يكون لنا مستقبل؟ اننـا لازلنا صغار السن. لو أننا استطعنا أن ننفض عن كاهلنا لعنة هذه المزرعة! ان المزرعة

هي التي دمرت حياتنا ، عليها اللعنة ! والآن سـيعود أندى . . وسأدوس على كبريائي السخيف ، ياروث ! وسأقترض مالا منه يكفي لأن أبدأ عملا في المدينة . سنذهب حيث يعيش الناس بدلا من البقاء هنا حيث الركود ، سنذهب حيث يعش الناس . وسنبدأ من جديد (في ثقة) لن أكون ، ياروث ، فاشلا هناك ، كما كنت هنا . ولن يكون هناك داع لأن تخجلي مني هناك . سأثبت لك بأنه في الامكان الاستفادة من القراءات التي قمت بها . (في غموض) وسأكتب ، أو أقوم بأى شيء مشابه . لقد كانت الكتابة أمنيتي على الدوام (متوسلا) تريدين ذلك ياروث ، أليس كذلك؟

روث : (في فتور) هناك والدتي .

روبرت : يمكنها أن تأتي معنا .

روث : لن توافق .

روبرت : (غاضبا) إذن ، هذا جوابك ! يرتعش من الانفعال الشديد . ويبدو صوته غريبا لدرجة أفزعت روث) أنت تكذبين ، ياروث ! ان والدتك مجرد عذرا ! أنت تريدين البقاء هنا . أنت تظنين بأنه بسبب عـودة أندى . . . (يختنق صوته ويصاب بنوبة شـديدة من السعال) .

روث : (تنهض . . وبصوت تنم عن الفزع) ما الذى جرى ؟ (تقترب منه) سأذهب معك الى المدينة . . عندما تستعيد صحتك . صدقني ياروب ، سأذهب معك ،

أعدك بذلك ! (يضطجع روب ، ويقفل عينيه . تقف وتنظر اليه في قلق) أتشعر بتحسن الآن ؟

روبرت : نعم . (تعود روث الى كرسيها . وبعد فترة صمت يفتح عينه ويجلس في كرسيه . وجهه متورد وسعيد) إذن ستذهبين معي ياروث ؟

روث : نعـــم .

روبرت : (بانفعال) سنبدأ بداية جديدة ، ياروث . . . أنت وأنا فقط . ان الحياة مدينة لنـــا ببعض السعادة بعد كل الذى عانينــــاه ، لابد من ذلك ! والا كانت آلامنـــا بلا معنى . . وهذا شيئ لا يخطر على بال .

روث : (منزعجة من انفعاله) نعم ، نعم ، ياروب ، بالطبع ، لكن يجب ألا . . . .

روبرت : أوه ، لاتخافي ، إنني أشعر بصحة تامة ، فعلا . . الآن وبعد أن بدأ الأمل يعود من جديد . أوه ، ليتك تدركين روعة الاحساس بالأمل ! ألا يثير هذا الاحساس فيك أيضا . . تلك الرؤيا بحياة جديدة تتفتح آفاقها بعد كل هذه السنوات الفظيعة ؟

روث : نعم ، نعم ، لكن عليك . . . .

روبرت : كلام فارغ ! لن احترس . إنني سأستعيد كل قـــوتي (ينهض بخفة على قدميه) انظرى ! إنني أشعر بخفـــة الريشة (يسير نحو كرسيها وينحني ليقبلها وهو يبتسم) قبلة واحدة . . . أول قبلة ، من سنين مضت ، أليس كذلك ؟ . . . لنحتفل بفجر حياة جديدة معا . .

روث : (تستسلم لقبلته . . وهي منزعجة) اجلس ، ياروب ، بربك !

روبرت : (في عناد رقيق . . وهو يربت على شعرها) لن أجلس من السخف أن تنزعجي . (يضع يدا على ظهر كرسيها) اسمعي . لقد كانت آلامنا كلها امتحانا كان علينا أن نجتازه لنثبت أننا نستحق حياة أفضل . (بابتهاج) وقد اجتزنا هذا الامتحان ! انه لم يحطمنا ! والآن قد تحقق الحلم ! ألا ترين ذلك ؟

روث : (تنظر اليه في فزع كما لو أنها اعتقدت أنه قد جن) نعم ، ياروب ، نعم ، ولكن ألا تعد الى فراشك الآن وتستريح ؟

روبرت : كلا . إنني ذاهب لأرى شروق الشمس . انه بشير حسن الطالع . (يذهب بسرعة الى النافذة في مؤخرة المسرح جهة اليسار . ويزيح الستائر جانبا ، ثم يقف متطلعا . تهب روث واقفة وتقبل الى المائدة ، جهة اليسار ، حيث تقف تراقب روبرت في حالة ترقب شديد . وعندما يطل من النافذة يبدو جسمه يغوص تدريجيا وقد ازداد هزالا وضعفا ، وفي صوته نبرة حزن) لم تطلع بعد ! لم يحن الوقت ! كل ما أستطيع رؤيته هو الحافة السوداء لتلك التلال اللعينة وسط لون رمادى زاحف . (يستدير) ويدع الستائر تعود الى وضعها السابق ، ويمد يده ليستند الى الحائط . ان القوة الزائفة التي شعر بها لحظة قد تبخرت تاركة وجهها مسحوبا وعيونا غائرة . ثم يقوم بمحاولة للابتسام

تبعث على الشفقة (ليس هذا بشيرا لطالع حسن ، أليس كذلك ؟ لكن الشمس سوف تشرق . . حالا .
(يترنح في ضعف) .

روث : (تهرع الى جانبه وتسنده) أرجوك أن تذهب إلى فراشك . هيا ، ياروب . أنت لاتحب أن تكون منهوك القوى عندما يأتي الأخصائي ، أليس كذلك ؟

روبرت : (بسرعة) نعم . هذا صحيح . يجب ألا يظن أنني أشد مرضا مما أنا عليه بالفعل . وأنني أشعر الآن بأنني أستطيع النوم . . . .
(مبتهجا) نوما عميقا مريحا .

روث : (تساعده حتى يصل إلى باب غرفة النوم) وهذا ما تحتاجه أكثر من أى شيء (يدخلان . بعد لحظة تعود ثانية وهي تنادى) سأغلق الباب حتى تشعر بالهدوء (تغلق الباب وتذهب بسرعة الى أمها وتهزها من كتفها) . أمي ! أمي ! استيقظي !

مسز اتكنز : (تستيقظ فزعة) المجد لله ! ما الذى جرى لك ؟

روث : انه روب . لقد كان يتحدث الى هنا . وقد أعدته الى فراشه .

(والآن وقد تأكدت أن والدتها مستيقظة يزول خوفها وتعود من جديد الى حالة اللامبالاة . تجلس في كرسيها وتحملق في الموقد . . . في فتور) لقد تصرف بطريقة غريبة ، كما كانت عيناه جامحتين للغاية .

مسز اتكنز : (في حدة) ألهذا فقط توقظيني من نوم عميق ، وتفزعيني لدرجة الجنون ؟

روث : لقد كنت خائفة . لقد تحدث وكأنه مخبول ولم أستطع أن أهدىء من روعه . ولم أرد أن أكون وحدى معه وهو في هذه الحالة . الله يعلم ما يمكن أن يفعله .

مسز اتكنز : (بازدراء) اوف ! كيف تتصورين أن أساعدك وأنا لا أستطيع أن أحرك قدما ! لماذا لم تستنجدى بجيك ؟

روث : (بفتور) إن جيك غير موجود . لقد ترك العمل أمس. إذ لم يستلم أجره من ثلاثة شهور .

مسز اتكنز : (غاضبة) أنا لا ألومه . هل هناك إنسان يحترم نفسه يقبل أن يعمل في مكان كهذا ؟ (بضجر مفاجىء) أوه ، ليتك لم تتزوجي هذا الرجل . !

روث : (في إعياء) ينبغي ألا تتحدثي عنه الآن وهو مريض في فراشه .

مسز اتكنز : (في نوبة من الغضب الحاد) أنت تعرفين تماما ، ياروث مايو ، بأنه لولا مساعدتي لك في الخفاء من مدخراتي ، لكنت الآن في الملجأ . . . وكل ذلك من جراء كبريائه السخيفة التي منعته من إحاطة أندى بحقيقة الأحوال هنا . أمر لطيف أن أضطر إلى مساعدته من الأموال التي ادخرتها لأواخر أيامي . . . وأنا كسيحة لا يرعاني أحد ! ! .

روث : سيرد أندى ما دفعته ، يا أمي . وسأخبره بألا يذكر لروب عن هذا شيئا .

مسز اتكنز : (مزمجرة) أود أن أعرف رأى روب في المورد الذى تعيشان منه ؟

روث : (في فتور) انه لا يفكر في هذا ، على ما أظن . (بعد فترة صمت قصيرة) لقد قال إنه قـــرر طلب المساعدة من أندى عندما يعود (عندما تدق الساعة السادســـة) الساعة السادسة . لابد أن يصل أندى حالا .

مسز اتكنز : أتظنين أن مجيء هذا الإخصائي سيفيد روب ؟

روث : (في يأس) لا أدرى . (تظل المرأتان في صمت وهما تحملقان في اكتئاب في الموقد) .

مسز اتكنز : (ترتعش وتقول في غيظ) بربك ضعي بعض الأخشاب في النـــار . إنني أكاد أتجمد من البرد !

روث : (تشير إلى الباب في مؤخرة المسرح) لاترفعي صوتك. دعيه ينـــام على قـــدر مايستطيع . (تنهض في إعيـــاء وتضع بعض قطع الخشب في الموقد) هذا آخر الخشب الذى لدينا . لا أعرف من سيقوم بقطع الخشب الآن وقد تركنا جيك . (تتنهد وتسير الى النافذة ، جهـــة اليسار وتزيح الستائر وتنظر) لقد أوشك الفجر على الطلوع . (تعود الى الموقد) يبدو أنه سيكون يومـــا جميلا (تمـــد يديها الى النار للدفء) لابد أن الصقيع كان شديدا الليلة المـــاضية . اننا ندفع ثمن فترة الطقس الدافيء الذى مـــر بنا أخيرا (صوت سيارة متقطع يدوى من بعيد) .

مسز اتكنز : (بحدة) اش ! اسمعى ! أليس هذا صوت سيارة ؟

روث : (بلا اهتمام) نعم . انه أندى ، على ما أظن .

مسز اتكنز : (بانفعال عصبى) لا تجلسي كهذا كالأوزة البلهـــاء . انظرى الى حالة هذه الغرفة ! ماذا يقول عنا هـــذا

الطبيب الغريب ؟ انظرى الى زجاج المصباح وكلـــه دخان ! بالله عليك ، ياروث .

روث : (بعدم اكتراث) لدى مصباح نظيف تمـــاما في المطبخ

مسز اتكنز : (بحـــزم) ادخليني هناك هذه اللحظة ، لا أريده أن يراني في هذه الحالة . سأرقد في الغرفة في الجانب الآخر من البيت . لست في حاجة إلى الآن ، وأنا في أشـــد حاجة للنـــوم . (تدفع روث والدتها بعيدا ، جهـــة اليمين . يزداد صوت السيارة ارتفاعا ويتوقف آخـــر الأمر عندما تقف السيارة في الطريق أمام بيت المزرعة . تعود روث من المطبخ بمصباح مضيء في يدها . تضعه على المـــائدة بجوار المصباح الآخر . تسمع أصوات وقع أقـــدام في الطريق . . . يتبعها طرق حاد على الباب . تذهب روث وتفتح الباب . يدخل أندرو ، يتبعه الدكتور فوست الذى يحمل حقيبة سوداء صغيرة . لقد تغير أندرو لدرجة كبيرة ، تبدو على وجهه شدة التوتر ، ونظرة صارمة حاسمة نجمت عن التوتر الدائم الذى يتعرض له من جراء مواقف تتطلب قرارات فورية دقيقة . عيناه أكثر حدة ويقظة من ذى قبل ، بل ان فيها ما يوحي بدهاء شـــديد . في الوقت الحاضر ، على أية حال ، يبدو على وجهه تعبير ينم عن قلق حاد . أما الدكتور فوست فهو قصير ، أسمر ، متوســـط العمر ، ذو لحية على نمط « فانديك » ويلبس نظارة) .

روث : هالو ، أندى ! كنت أنتظر . . . .

أندرو : (يقبلها على عجل) لقد أتيت بأسرع ما يمكن (يلتفت

بقبعته ومعطفه الثقيل على المنضدة ، وهو يتقدم روث والطبيب كل للآخر . يرتدى حلة غالية الثمن كتلك التي يرتديها رجال الأعمال وبدا أكثر بدانة من ذى قبل) زوجة أخي ، مسز مايو . . . . الدكتور فوست . . (ينحني كل منهما للآخر في صمت . يلقي أندرو نظرة سريعة حول الغرفة) أين روب . ؟

روث : (باشارة) في الداخل .

أندرو : سآخذ معطفك وقبعتك ، يادكتور (بينما يساعد الدكتور على خلع أشيائه)هل حالته سيئة ياروث ؟

روث : (بكآبة) لقد ازداد ضعفا في الفترة الأخيرة .

أندرو : ياللعنة ! من هنا ، يادكتور . احضرى المصباح ، ياروث (يدخل غرفة النوم ، يتبعه الطبيب وروث التي تحمل المصباح النظيف . تعود روث في الحال وتقفل الباب وراءها ، وتتجه في بطء نحو الباب الخارجي الذى تفتحه وتقف في مدخله تنظر الى الخارج. يأتي صوت أندرو والطبيب من غرفة النوم . بعد لحظة يعود أندرو ويقفل الباب في رفق . يتقدم الى الأمام . يغوص في الكرسي الهزاز على يمين المنضدة ، وهو يسند رأســه على يده . وجهه مسحوب وعليه امارات حزن كبير لم يكن يتوقعه . يتنهد بعمق ، ثم يحملق أمامــه في حزن . تستدير روث وتراقبه ثم تقفل الباب وتعود الى كرسيها بجوار الموقد . وتدير هذا الكرسي حتى تكون في مواجهة أندرو) .

أندرو : (يرفع عينه بسرعة . . ويقول في صوت أجش) كم مضى على هذا الحال ؟

روث : أتعنى . . منذ متى شعر بالمرض ؟

أندرو : (باقتضاب) بالطبع ! وماذا غير هذا ؟

روث : لقد شعر بالمرض لأول مرة في الصيف الماضي ، ولكن منذ وفاة مارى . . أى منذ ثمانية أشهر . . . لازمه المرض .

أندرو : (في خشونة) ولماذا لم تخبريني . . . أو ترسلى برقية ؟ أتريدينه أن يموت ؟ إننى واثق أنكم تريدون ذلك . ! (في صوت متقطع) ياله من شاب مسكين ! أن يمرض في هذا الجحر المنعزل دون أن يرعاه أحد اللهم إلا دجال ريفي ! ياله من عار كبير !

روث : (بكآبة) لقد أردت أن أخبرك مرة من المرات ، ولكنه كاد يجن عندما أخبرته بنيتى . قال ان كبرياءه يمنعه من طلب أى شيء .

أندرو : كبرياؤه ؟ يمنعه من أن يطلب منى ؟ (يهب واقفا ويذرع الغرفة جيئة وذهابا في عصبية) إننى لا أفهم تصرفك . ألم تلاحظى تدهور صحته ؟ ألم تستطيعى إدراك . . . عجبا ؟ لقد كدت أسقط على الأرض عندما رأيته . لقد كان يبدو . . . (يرتعش) فظيعا ! (بازدراء عنيف) أظن انك اعتدت على كونه ضعيف الصحة حتى انك اعتبرت مرضه أمرا طبيعيا ! يا إلهي ! لو أننى فقط علمت بذلك !

روث : (بلا عاطفة) ان الخطاب يستغرق وقتا طويلا ليصل إلى مكان إقامتك . . ولم يكن في مقدورنا أن نرسل برقية . اننا مدينون لكل إنسان هنا ، ولم أستطع أن أطلب من أمي أكثر من هذا . لقد أعطتنا من مدخراتها حتى لم يتبق لها إلا القليل . لاتخبر روب بهذا ، إنني أذكر هذا له أبدا . سيجن إذا علم ذلك . لكني اضطررت لذلك ، لأن . . . الله يعلم كيف كنا سنعيش إذا لم أفعل هذا .

أندرو : أتعنين . . . (تلمح عيناه لأول مرة مظهر الفقر المدقع الذى بدا على الغرفة) لقد أرسلت لى البرقية على أن أدفع الأجر عند الاستلام . أهذا لأن . . . . (تومىء روث في صمت . ويخبط أندرو على المنضدة بقبضة يده بشده) يا إلهي ! وكل ذلك الوقت . . لقد كان لدى كل شيء ! (يجلس على كرسيه ، ويدفعه بالقرب من روث بانفعال) لكن . . لا أستطيع أن أفهم . . لماذا ؟ لماذا ؟ ما الذى حدث ؟ وكيف حدث هذا ؟ خبريني .

روث : (في كآبة) ليس هناك أشياء كثيرة أخبرك بها . لقد ازدادت — الأمور سوءا . وهذا كل ما في الأمر . . .

وبدا أن روب لم يعد يهتم . لم يظهر اهتماما على الإطلاق بعد وفاة أمه . بعد ذلك استأجر أناسا يشرفون على المزرعة ، ولكنهم جميعا ، على وجه التقريب ، خدعوه . . وان لم يستطع أحد أن يخبره بذلك . وتركوا العمل واحدا بعد آخر . ثم بعد وفاة مارى فقد الاهتمام

بكل شيء . . فقط كان يجلس داخل الدار ويعـــاود القراءة من جديد . لهذا اضطررت لطلب مســـاعدة والدتي .

أندرو : (مندهشا وفزعا) ولمـــاذا ، ياللعنة ! ان هذا شيء مفزع ! . لابد أن روب كان مجنونا حتى لا يحيطني علما بكل ما حدث . . كبرياؤه يمنعه من أن يطلب العون مني ! بربك ما الذى جرى له ! (يخطر ببـــاله شك مفاجئ مريع) روث ! قولى الحقيقة ، هل عادت اليه أفكاره القديمة ؟

روث : (في نغمة جامدة) يأتي وقت لايهتم الإنسان فيه بأى شيء .

أندرو : (يحدق النظر فيها لحظة . . ثم في شفقة كبيرة) انني آسف ياروث . . إذ بدا أنني ألقي اللـــوم عليك . . إنني لم أدرك . . أن منظر روب وهو ملقي في فراشـــه هناك . . . وقد تحطم تمـــاما . . جعلني أحتد مع كل إنسان . معذرة ياروث !

روث : لاداعي . للاعتذار . . .

أندرو : (ينهض ويذرع الغرفة جيئة وذهابا) شكرا لله لأنني عدت قبل فوات الأوان . سوف يرى هذا الطبيب ما يمكن عمله بالضبط . هذا أول شيء يجب التفكير فيه . وعندما يستعيد روب صحته سنعيد إدارة المزرعة على أساس سليم مرة أخرى .
سأدبر هذا . . . قبل رحيلي .

روث : أترحـــل ثانية ؟

أندرو : لابد من الرحيل .

روث : لقد كتبت الى روب بأنك ستعود هذه المرة لتبقى .

أندرو : كنت أتوقع هذا . . . حتى وصلت الى نيويورك . عندئذ عرفت بعض الحقائق التي جعلت العودة أمرا ضروريا . (بضحكة قصيرة) لكي أكون صريحا ، ياروث ، إنني لست ثريا بالدرجة التي ربما أوحت بها خطاباتي لكم . . ليس الآن . لقد كنت ثريا عندما كتبت خطاباتي لكم . لقد جرى المال بين يدى عندما كنت ملتزما بالقوانين التجارية . ولكني لم أقنع بهذا ، ولهذا أردت أن يأتي المال أكثر يسرا ، ولهذا مثلى مثل بقية المغفلين ، حاولت المضاربة . أوه ، لقد كسبت حقا ! وفي مرات عديدة كدت أصبح مليونيرا . – على الورق – ثم انحدر الى الأرض بعد خبطة شديدة . . . وأخيرا كان التوتر العصبي أكثر مما أحتمل . فشعرت باشمئزاز من نفسى وعزمت على أن أترك هذا وأعود اليكم وأنسى كل شيء وأحيا حياة حقة من جديد (بضحكة خشنة) والآن يأتي الجانب الغريب في الموضوع . في اليوم السابق لرحيل الباخرة لاحت لى فرصة ظننت أنها ستجعلني مليونيرا مرة أخرى (يطقطق أصبعه) ولهذا ألقيت بنفسي في غمار المضاربة ... ورحلت قبل أن تحل بي الخسارة .. لقد كنت واثقا تماما بأنني لم أرتكب خطأ ما . لكن عندما رست السفينة في نيويورك . . أبرقت لكم بأن لدى عمل لابد من إتمامه ، أليس كذلك ؟ ايه .

ان هذا العمل هو الذى أجهز على (ببسمة بشعة يذرع الغرفة جيئة وذهابا ، وهو يضع يديه في جيوبه) .

روث : (في كآبة) وتبين لك . . انك فقدت كل شيء ؟

أندرو : (يعاود الجلوس) فعلا . (يأخذ سيجار من جيبه ، يقطع طرفها بأسنانه ثم يشعلها) أوه ، إنني لا أعني أنني أفلست تماما . لقد أنقذت من حطام ثروتي عشرة آلاف أو ربما عشرين ألف . ولكن هذه نتيجة مؤسفة لجهاد خمس سنين . هذا هو السبب الذى دفعني للعودة (في ثقة) يمكنني أن أعوض هذه الخسارة في عام تقريبا هناك . . . ولن أحتاج إلا لقدر يسير من المال كي أبدأ العمل . . . (يبدو على وجهه الاعياء ، ويتنهد في عمق) ليتني لا أعود . لقد سئمت كل هذا !

روث : أن الأمر سيىء للغاية ! يبدو أن الأمور تخبطت معك لدرجة فظيعة .

أندرو : (يتخلص من انقباضه . . ويقول في خفة) كان من الممكن أن تكون الأمور أسوأ من هذا . لقد تبقى مبلغ يكفي لتسوية أمور المزرعة قبل عودتي . ولن أعود حتى يستعيد روب صحته . وفي نفس الوقت سأدير الأمور هنا بسرعة (في شيء من الرضى) إنني أحتاج لراحة والراحة التي أنشدها هي العمل الشاق في الهواء الطلق . . . كما اعتدت في الأيام الماضية . (يتوقف فجأة ويخفض من صوته في حذر) لا تذكرى كلمة واحدة لروب حول خسارتي المالية ! تذكرى

هذا ، ياروث ! وأنت تدركين السبب . إذا كان هو بهذه الحساسية فلن يقبل منى سنتا واحدا إذا عـــرف ظروفي المـــالية الصعبة . أفهمت ؟

روث : نعم ، يا أندى (بعد فترة صمت ، أثناءها ينفث أندرو سيجارة في شرود ، وذهنه مشغول بخطط المستقبل . يفتح باب غرفة النوم ويدخل دكتور فوست حاملا حقيبته . يقفل الباب في هـــدوء وراءه ، ويتقدم وقد ظهر على وجهه أن شيئا خطيرا قد حدث . يهب أندرو واقفـــا) .

أندرو : والآن ، يادكتور ! (يدفع بكرسى بينه وبين روث) ألا تتفضل بالجلوس ؟

الطبيب : (ينظر إلى ساعته) لابد أن ألحق قطار التاسعة العـــائد إلى المدينة . لابد من ذلك . ولم تبق لى سوى لحظة وجيزة . ان حالة أخيك ، مستر مايو هي . . . . .

(يقف ويلمح روث ، ثم يقول بلهجة ذات معـــنى لأندرو — ربمـــا يكون من الأفضل إذا أنت وأنا . . .

روث : (في استياء شديد) ادرك ما تعني يادكتور . (في كآبة) لاتخشى من أنني لن أقوى على احتمال ماتقوله . لقد اعتدت الآن على تحمل المتاعب ، ويمكنني أن أخمن ما وجدته . (تتردد لحظة . . ثم تستمر في صوت رتيب) ان روب سيموت .

أندرو : (غاضبا) روث !

الطبيب : (يرفع يده كما لو انه يأمرهما بالصمت) انني آسف

لان تشخيصى لحالة اخيك يؤدى الى نفس النتيجة التى وصلت اليها مسز مايو .

اندرو : (يتأوه) لكن ، يادكتور ، بالتأكيد . . .

الطبيب : (في هدوء) لن يعيش أخوك طويلا . . . ربما بضعه ايام أو بضعة ساعات . انها أعجوبه اذ عاش حتى هذه اللحظة . لقد أوضح فحصى ان كلا الرأتين مصابتان بدرجة فظيعة .

اندرو : (في تأثر) ياالهى ! (تبقي عيناروث محدقتين الى حجرها في شرود) .

الطبيب : آسف لاضطرارى أن اخبرك بهذا . لو كان هناك اى شىء يمكن عمله .

اندرو : أليس هناك أى شىء ؟

الطبيب : (يهز رأسه) لقد فات الاوان . ربما منذ ستة أشهر كان من الممكن .

اندرو : (في ألم شديد) ولكن اذا أخذناه الى المناطق الجبلية او الى اريزونا . . . أو . . .

الطبيب : كان من المحتمل ان يطيل هذا من عمره منذ ستة أشهر (يتأوه اندرو) ولكن الآن . . . (يهز كتفيه بطريقة لها دلالة) .

اندرو : (وقد أفزعه خاطر مفاجىء) ياالهى ، انت لم تخبره بهذا ، يادكتور ، أليس كذلك ؟

الطبيب : لم أخبره . لقد كذبت عليه . لقد قلت ان تغيير الجو

(ينظر الى ساعته ثانية في عصبية) لابد أن اتركك‌ما الآن (ينهض)

اندرو : (ينهض . . ثم يقول في اصرار) لكن لابد أن هناك فرصة ما . . .

الطبيب : (كما لو أنه يؤكد حقيقة مالطفل) هناك على الدوام آخر فرصة . . . المعجزة (يرتدى قبعته ومعطفه . . وينحنى لروث) وداعا ، يامسز مايو .

روث : (دون ان ترفع عينيها . . . وتقول في فتور) وداعا .

اندرو : (بطريقة آليه) سأسير معك الى السيارة ، يادكتور (يخرجان من الباب . تجلس روث دون حراك . يسمع صوت محرك السيارة وتدريجيا يختفى الصوت بعيدا . ثم يعود اندرو ويجلس في كرسيه وقد أمسك رأسه بين يديه) روث ! (ترفع عينيها اليه) . أليس من المستحسن ان ندخل ونراه ؟ ياالهى ! انني اخشى ذلك ! أعرف انه سيقرأ الحقيقة في وجهى . (يفتح باب غرفة النوم في هدوء ويظهر روبرت على عتبه الباب . خداه محمرتان من الحمى ، وعيناه كبيرتان ومتألقتان بشكل غـير عادى . يستمر اندرو في الحديث وهو يتأوه) مستحيل ، ياروث . لايمكن ان يكون الحال ميئوسا منه كما قال . هناك على الدوام فرصة لمقاومة المرض . سنأخذه الى اريزونا . لابد أن يشفى . لابد أن تكون هناك فرصة !

روبرت : (في لهجة رقيقة) ولماذا تقطع بهذا ، ياأندى ؟ (تستدير روث وتحملق فيه في فزع) .

اندرو : (يدور حول نفسه) روب ! (مؤنبا) لماذا تركت فراشك ؟ (ينهض ويتجه اليه) عد الى فراشك وطع أمر الطبيب ، والا سأعطيك علقة !

روبرت : (متجاهلا هذه الملاحظات) ارجوك. ساعدني لأجلس في هذا الكرسي ، ياأندى .

اندرو : بالطبع ستعود الى فراشك ، هذا مكانك وستبقى هناك (يمسك بذراع روبرت) .

روبرت : (ساخرا) أبقى هناك ، حتى أموت ، ياأندى ، (في برود) — لاتتصرف كطفل . لقد سئمت الرقاد وانني أشعر براحة أكثر وأنا جالس . (وعندما يظهرروبرت شيئا من التردد . . يقول في عنف) اقسم بانني سأترك فراشي في كل مرة تضعني فيه . ماعليك الا أن تجثم على صدرى ، ولن يساعد هذا على تحسن صحتى بأية حال . تعال ، ياأندى . لاتتظاهر بالغباء. اريد ان أتحدث معك ، وأنا مصر على ذلك (بابتسامة قاتمة) ان رجلا على وشك الموت له بعض الحقوق ، أليس كذلك ؟

اندرو : (مرتعشا) لاتتحدث بهذه الطريقة ، بربك ! فقط سأدعك تجلس ، اذا ماوعدتني بذلك . تذكر هذا (يساعد روبرت على الجلوس في كرسى بين كرسيه وكرسى روث) خذ راحتك ! هذا حسن ! انتظر حتى أحضر لك وسادة (يذهب الى غرفة النوم . ينظر روبرت الى روث التى تجفل منه في فزع . يبتسم

روبرت بمرارة . يعود اندرو ومعه وسادة يضعها وراء كرسى روبرت) كيف الحال الآن ؟

روبرت : (ببسمة حنان) جميل ! شكرا ! (عندما يجلس اندرو اسمع ياأندى . لقد طلبت منى الا اتحدث . . ولن افعل بعد أن أوضح موقفى (ببطء) أولا ، اننى على وشك الموت . (تحنى روث رأسها وتغطى وجهها بيديها . تظل هكذا طول هذا المشهد بين الآخوين) .

أندرو : روب ! هذا غير صحيح !

روبرت : هذا صحيح ! لاتكذب عليّ . بعد أن أخذتنى روث للفراش قبل حضورك أدركت بوضوح هذه الحقيقة لأول مرة (بمرارة) لقد كنت أخطط للمستقبل . . . مستقبلى ومستقبل روث ، ولهذا كان إدراك هذه الحقيقة قاسيا في بادىء الأمر . ثم بعد أن – فحصنى الطبيب ، عرفت . . ولو أنه حاول أن يكذب عليّ . ولكي أتأكد وقفت وراء الباب لأنصت لما قاله لكما . لهذا لاتسخرا منى بسرد قصص خيالية عن أريزونا أو أى مكان آخر . ان إشرافي على الموت ليس مبررا لأن تعاملاني كمعتوه أو جبان . والآن وقد تأكدت من مصيرى يمكنني أن أقول بكل اخلاص أن هذه قسمة ونصيب . ان مجرد الشك هو الذى كان يؤلمني . (تمر فترة صمت . ينظر أندرو حواليه في ألم العاجز الذى لايدرى ماذا يقول . وينظر اليه روبرت ببسمة حنان) .

أندرو : (أخيرا ينفجر قائلا) ليس ما أقوله سخف ، بالتأكيد

لازالت هناك فرصة . . لو أنك سمعت كل ما قاله الطبيب لتأكدت من هذا .

روبرت : أوه ، أتعني حديثه عن المعجزة ؟ (بجفاء) إننى لا أومن بالمعجزات ، على أية حال . وفوق هذا أننى أعرف أكثر مما يستطيع أى طبيب في الدنيا . . . لأننى أشعر بما سيحدث . (ينهي الموضوع) لكننا اتفقنا على عدم الكلام في هذا الموضوع . حدثنى عن نفسك ، ياأندى ، هذا مايهمنى معرفته ، لأن خطاباتك كانت موجزة للغاية ، كما أنها كانت على فترات متباعدة لدرجة أنها لاتلقي ضوءا كبيرا علىأحوالك.

أندرو : لقد كانت نيتى أن أكتب في فترات متقاربة .

روبرت : (في شيء من التهكم) وأستطيع أن أستنتج منها انك أنجزت كل ما كنت تريد أن تفعله في السنوات الخمس الماضية ؟

أندرو : ليس هذا مدعاة للفخر .

روبرت : (مندهشا) هل توصلت حقا وبصدق الى هذه النتيجة ؟

أندرو : ايه ، لاتبدو النتيجة باهرة الآن .

روبرت : ولكنك ثرى ، أليس كذلك ؟

أندرو : (بنظرة سريعة نحو روث) نعم ، على ما أظن .

روبرت : إننى سعيد إذ يمكنك أن تقوم في المزرعة بما عجزت أنا عن فعله . ولكن ما الذى فعلته هناك ؟ خبرني . لقد اشتغلت بتجارة الحبوب مع ذلك الصديق ؟

أندرو : نعم . وبعد عامين صرت شريكا ، وبعت نصيبي في العام المـــاضي .

(كان يجيب على أسئلة روبرت على مضض) .

روبرت : وبعد ذلك ؟

أندرو : ثم تاجرت لحسابي الخاص .

روبرت : أيضا في تجارة الحبوب ؟

أندرو : نعـــم .

روبرت : ماذا دهاك ؟ تبدو كما لو أنني أوجه لك اتهـــاما !

أندرو : إنني أفخر بالسنوات الأربع الأولى . بعد ذلك لامجال للفخر . فقد مارست المضاربة .

روبرت : في القمح ؟

أندرو : نعـــم .

روبرت : وكسبت مالا من . . . المقامرة ؟

أندرو : نعـــم .

روبرت : (مفكرا) كنت أتساءل عن هذا التغيير الكبير الذى حدث لك . (بعد لحظة صمت) أنت . . الفلاح . . تقامر في مضاربات — بقصاصات من ورق . هنالك دلالة روحية في تلك الصورة ، يا أندى . (يبتسم في مرارة) لقد فشلت أنا ، كما فشلت روث . . ولكن كل منا يمكنه بحق أن يعزو تعثره لحد ما لإرادة الله . ولكنك أبشع فشل فينا ، يا أندى . لقد مكثت ثمـــاني سنوات تهرب من نفسك . أتدرك ما أعني ؟ لقد كنت

تبتكر وتبدع عندما كنت تحب المزرعة . كنت أنت والحياة شريكين منسجمين معا . والآن . . . (يتوقف كما لو أنه يبحث عن كلمات دون جدوى) إن ذهني مشوش . ولكن بعض ما أعنيه هو أن المقامرة بالشيء الذي اعتدت أن تبدع فيه عن حب قد أثبتت أنك بعيد عن الصواب بشكل كبير . . ولهذا سوف تنال العقاب . عليك أن تتعذب لتستعيد . . . (يزداد صوته ضعفا ، ويتنهد في إعياء) لا فائدة . لا أستطيع أن ـ أقول ما أريد . (يضطجع الى الوراء ويقفل عينه ، وهو يتنفس لاهثا) .

أندرو : (ببطء) انني أعرف قصدك ، ياروب . . . وهو صحيح ، على ما أعتقد (يبتسم روبرت شاكرا ويمد يده التي يأخذها أندرو في يده) .

روبرت : أريدك أن تعدني بأن تفعل شيئا واحدا ، يا أندى ، بعد . . .

أندرو : أعدك بأي شيء ، والله شاهد على ما أقول . !

روبرت : تذكر ، يا أندى ، أن روث نالت من العذاب ضعف ما تستحق . (صوته يتعثر من الضعف) عن طريق الآلام فقط ، يا أندى ، سوف . . تصحو . اصغي إلى ، يا أندى ، لا بد أن تتزوج روث . . . فيما بعد .

روث : (تصيح) روب ! (يضطجع روبرت ، وقد أغمض عينه وهو يلهث بشـــدة) .

أندرو : (يقوم باشارات لها حتى تسايره . . ثم يقول في رفق) أنت مرهق ، ياروب . يحسن أن تستلقي وترتاح بعض

الوقت ، ألا تظن ذلك ؟ علينا أن نتحدث فيما بعد .

روبرت : (ببسمة ساخرة) فيما بعد . لقد كنت دائما متفائلا ، يا أندى ، (يتنهد من فرط الاعياء) نعم ، سأذهب وارتاح قليلا . (وعندما آتي أندرو لمساعدته) لابد أن الشروق أوشك أن يحل ، أليس كذلك ؟

أندرو : لقد تجاوزت الساعة السادسة .

روبرت : (بينما يساعده أندرو على الدخول في غرفة النوم) اقفل الباب ، يا أندى . أريد أن أكون لوحدى (يعود أندرو ويقفل الباب في رفق . يقبل ويجلس من جديد على كرسيه ، وهو يسند رأسه بيديه . وجهه مسحوب ، من شدة الحزن الذى جفت معه الدموع) .

روث : (تنظر اليه . . في رعب) لقد فقد رشده الآن ، أليس كذلك ؟

أندرو : انه يخطرف إلى حد ما . . ان الحمى تفعل هذا (بغضب العاجز الذى لا يقوى على شىء) يا إلهي ؟ يا للعار ! وليس في وسعنا أن نفعل شيئا غير الجلوس . . والانتظار ! (يهب من كرسيه ويتجه نحو الموقد) .

روث : (في كآبة) لقد كان يتحدث بطريقة مضطربة . . كما اعتاد أن يفعل . إلا أن حديثه هذه المرة بدأ غير طبيعي ألا تظن ذلك ؟

أندرو : لا أدرى . أن الأشياء التي قالها لى حقيقة . . وحتى وان كان قد قالها وذهنه شارد في السماء ، كما اعتاد أن ينظر إلى الأشياء . ومع ذلك . . (يحدق النظر

في روث) لمـــاذا تظنين أنه أراد منا أن نعد ، بأن . . .
(في ارتباك) أنت تعرفين ما قال .

روث : (في فتور) لقد كان ذهنه شاردا ، على ما أعتقد .

أندرو : (باعتقاد جازم) كلا . . هناك شيء وراء ما قاله .

روث : أظن أنه أراد أن يطمئن على أحوالى . . بعد رحيله .

أندرو : كلا ، لم يكن الأمر كذلك . إنه يعلم تمـــاما بأنه من الطبيعي أن أهتم بأمرك دون . . قول كلام مثل هذا .

روث : ربمـــا كان يفكر . . فيما حدث منذ خمس سنوات ، عندما عدت من رحلتك .

أندرو : ما الذى حدث ؟ ماذا تعنين ؟

روث : (في فتور) لقد تشاجرنا .

أندرو : تشاجرتما ؟ وما علاقة ذلك بي .

روبرت : لقد كان الشجار بسببك . . الى حد ما .

أندرو : (مندهشا) بسببي ؟

روث : نعم ، تقريبا . لقد اكتشفت بأنني ارتكبت خطــأ باختيارى روب بعد زواجنا بقليل . . بعد فـــوات الأوان .

أندرو : خطأ ؟ (ببطء) أتعنين . . أنك اكتشفت أنك لاتحبين روب ؟

روث : فعـــلا .

أندرو : يا إلهي العـــزيز ؟

روث : ثم اعتقدت أن الأمر سيختلف بعد ولادة مارى ،

وأنني سوف أحبه ، ولكن لم يتحقق ذلك . ولم أستطع احتمال تخبطه ، وانهماكه في القراءة . . وكدت أكرهـــه .

أندرو : روث !

روث : لم يكن هذا في استطاعتى ، ولا في استطاعته أى امرأة. وكان لابد أن يحدث هذا لأنني اكتشفت أنني أحب شخصا آخـــر . (تتنهد في أعياء) ليس هناك ضرر في أن أقول لك الآن . . . بعد أن انتهى كل شيء . . وخمد إلى الأبد . لقد كنت أنت الشخص الذىأحببته . . . وان كنت لم أتبين هذا إلا بعد فوات الأوان .

أندرو : (منذهلا) روث ؟ أتدركين ماذا تقولين ؟

روث : لقد كان هذا حقيقيا — وقتئذ (بعنف مفاجىء) لم يكن في وسعي غير هذا ، ولا في وسع أى امرأة أخرى .

أندرو : وعلى ذلك — كنت تحبينني . . تلك المرة التي عدت فيها ؟

روث : (في اصرار) عرفت السبب الحقيقي لرحيلك أول مرة . . والكل عرف هذا . . . ولثلاث سنين كنت أفكـــر . . . .

أندرو : بأنني أحبك ؟

روث : نعم . ثم كان ذلك اليوم على قمة التل عندما سخرت من نفسك لأنك أحببتنى يوما ما . . . عندئذ عرفت أن الأمـــر قد انتهى تمـــاما .

أندرو : يا إلهي العزيز ، ولكن لم يخطر ببـــالى قط . . . . .

(يتوقف وهو يرتعش عندما يتذكر) وهل روب... ؟

روث : هذا ما بدأت أقوله لك . لقد تشاجرنا قبل عودتك مباشرة ، وكنت من الخبل لدرجة أنى قلت له . . . كل ما ذكرته لك الآن . .

أندرو : (فاغـــرا فاه وقد عقدت الدهشة لسانه) لقد قلت لروب . . انك تحبيننى ؟

روث : نعـــم .

أندرو : (ينفر منها في ذعـــر) أنت ... أنت .. أيتها الحمقاء المجنونة ! كيف تفعلين هذا !

روث : لم يكن في وسعي أن أمنع ذلك . . ولم أعد أحتمل أكثر من هذا . . دون كلام أنفس به عن نفسى .

أندرو : إذن لابد أن روب كان يعرف ذلك طول المـــدة التي أقمتها هنا . ! ومع هذا لم يقل أى كلمة أو يظهر أى شيء . . يا إلهي . كم تعذب ! ألم تعرفي حبه لك ؟

روث : (في فتور) نعم . عرفت أنه يميل الى .

أندرو : يميل اليك ؟ أى نوع من النساء أنت ؟ ألم تستطيعي السكوت ؟ أكان من الضرورى أن تعذبيه ؟ لاعجب ، إذن ، إنه مشرف على الموت ! وهل عشتما ســـويا خمس سنوات ، وبينكما هذا الخلاف ؟

روث : لقد عشنا في نفس البيت .

أندرو : ألا يزال يظن . . ؟

روث : لا أدرى . منذ ذلك اليوم لم نتحدث في هذا الموضوع .

وربما من طريقة معاملته لى . . . تدل على أنه ربما كان يعتقد أننى لا أزال متعلقة بك !

أندرو : ولكنك لست متعلقة بي . هذا فظيع . . انها لحماقة ! انك لاتحبيننى !

روث : (ببطء) لم أعد أدرى كيف أشعر بالحب ، حتى ولو حاولت .

أندرو : (بفظاظة) وأنا لا أحبك ، بالتأكيد ! (يغوص في كرسيه ، وقد وضع رأسه بين يديه) انه لأمر فظيع أن يقف هذا بيني وبين روب . لماذا ؟ إننى أحب روب أكثر من أى إنسان في الوجود ، ولقد كان هذا شعورى على الدوام . ليس هناك شيء على وجه البسيطة أتردد في القيام به لأجنبه المتاعب . وأنا أصبح الشخص الوحيد . . . انه لأمر فظيع ! كيف أواجهه ؟ ما الذى أقوله له ؟ (يتأوه ، بغضب أليم . ثم يقول بعد فترة صمت) لقد طلب منى أن أعد . . . ما الذى أفعله ؟

روث : يمكنك أن تعد . . . حتى تريح ذهنه . . . ولن يعني هذا شيئا .

أندرو : ماذا ؟ أكذب عليه . . . وهو يموت ؟ (في حزم) كلا ! أنت التي يجب أن تكذبي ، إذا لم يكن من الأمر بد . أمامك فرصة الآن لإزالة بعض العذاب الذى ألحقته بروب . ادخلى اليه ، وأخبريه بأنك لم تحبيني قط . . . وأن هذه الفكرة كانت خطأ تماما . أخبريه بأنك قلت ذلك فقط لأنك كنت حمقاء ولم

تكوني تدركين ماذا تقولين ! أخبريه بأى شيء يجلب الراحة له . !

روث : (في فتور) لن يصدقنى .

أندرو : (في عنف) لابد أن تجعليه يصدقك . هل سمعت ؟ لابد . . الآن أسرعى . . فلن تدرى متى يفوت الأوان (عندما تتردد — يقول متوسلا) بربك ، ياروث ! ألا تدركين أنك مدينة له بهذا ؟ إذا لم تفعلى ذلك ، ستشعرين بالذنب على الدوام .

روث : (في كآبة) سوف أذهب (تنهض في إعياء وتسير ببطء نحو غرفة النوم) ولكن لافائدة من هذا (يحدق أندرو النظر فيها في قلق . تفتح الباب وتدخل الغرفة . تظل واقفة لحظة . ثم تصيح في ذعر) روب ؟ أين أنت ؟ (ثم تهرول عائدة ، وهي ترتعد من الخوف) أندى ! أندى ! لقد رحل !

أندرو : (يسيء فهم كلماتها . . . وقد أصبح وجهه شاحبا من الخوف) إنه ليس . . .

روث : (تقاطعه . . بطريقة هيستيرية) لقد رحل ! السرير خال ، والنافذة مفتوحة على مصراعيها . لابد أنه زحف إلى الفناء !

أندرو : (يهب واقفا ويندفع إلى غرفة النوم ويعود في الحال وعلى وجهه تعبير ينم عن الدهشة والفزع) تعالى ! لايمكن أن يكون بعيدا ! عن هنا ! (يمسك قبعته ، ويأخذ ذراع روث ويدفعها نحو الباب) تعالى (يفتح

الباب (دعينا نرجو الله . . .) يقفل الباب وراءهما .
فلا تسمع كلماتهما بينما يسدل الستار) .

المنظـــر الثـــاني

(نفس مشهد الفصل الأول – المنظر الأول . جانب من طريق ريفي واسع . السماء في الشرق مضيئـــة بألوان لامعة ، وينتشر في بطء على طول حافة الأفق للتلال الداكنة خط رفيع ، مرتعش من الوهج الأحمر. ولا يزال الطريق ، مع هذا ، غارقا في ضـــوء الفجر الرمادى الذى يعكس ظلالا غير واضحة المعالم . أما الحقل الأمامي فيبدو مقفرا وغير مزروع ، كما لو أنه ترك بورا في الصيف المـــاضى . وفي المؤخرة تكسرت أجزاء من السور التي تتقاطع فيه الأغصان . أما شجرة التفاح فعارية من الأوراق وتبدو ميتة .

يترنح روبرت في ضعف جهة اليسار . ثم يتعثر في « القناية » ويظل كهذا لحظة ، ثم يزحف ، بمشـــقة حتى أعلى ضفة « القناية » حيث يتمكن من رؤيةشروق الشمس ، ثم تنهار قواه . يقبل أندرو وروث على عجل من الطريق جهة اليسار) .

أندرو : (يقف ويتطلع حواليه) ها هو ذا كنت أعلم هـــذا . كنت أعلم أننـــا سنجده هنا .

روبرت : (يحاول رفع نفسه الى موضع جلوس عندما يسرعان الى جانبه ثم يقول ببسمة شاحبة) ظننت أنني خدعتكما

أندرو : (في شيء من التهديد الرقيق) ايه ، ها أنت لم تستطع ، أيها الوغد العجوز ، سنأخذك مباشرة الى حيث يجب أن تكون . . . . الى فراشك . (يهم برفع روبرت) .

روبرت : لا تفعل هذا ، يا أندى . أقول لك ، لاتفعل هذا !

أندرو : هل تشـــعر بألم ؟

روبرت : (ببساطة) كلا . إنني أموت (يسقط على ظهره في إعياء . تغوص روث بجواره وهي تشهق ، وتضـــع رأســـه على حجرها . يقف أندرو ينظر اليه في يأس وهو عاجز عن أن يفعل شيئا . يحرك روبرت رأســـه على حجر روث في تململ) لم أستطع أن أحتمل البقاء هناك في الحجرة . بدا كما لو أن حياتي كلها كانت حبيسة هذه الغرفة لهذا فكرت في أن تكون نهايتي كما كان يجب أن أكون . . لو كانت لدى الشجاعة . . . وحيدا . . . في « قناية » بجوار الطريق الفسيح . . وأنا أراقب شروق الشمس .

أندرو : روب ! لا تتحدث . أنت تبدد قواك . . ارتح قليلا ، بعد ذلك سنحملك . . .

روبرت : ألا زلت تأمل ، يا أندى ؟ لا تأمل . إنني أعرف (تمر فترة صمت يتنفس خلالها بصعوبة ، وعيناه تشخصان نحو الأفق) أن الشمس تطلع في بطء (ببسمة ساخرة) لقد طلب مني الطبيب أن أذهب إلى أماكن بعيدة . . . حيث أجد الشفاء . لقد كان على حق . لقد كان هذا هو علاجي . فات الأوان . . بالنسبة لهذه الحياة . . لكن . . . (تهـــز جسمه نوبة من السعال) .

أندرو : (بشهقة وبكاء أجش) روب ! (يكز على قبضة يديه في غضب العاجز وهو يلوح نحو القدر) يا إلهي ! يا إلهي ! (تشهق روث في تأثر وتمسح شفتى روبرت بمنديلها) .

روبرت : (في صوت به رنة سعادة من وجد الأمل) لاتحزنا على. ألا تريان أنني سعيد آخر الأمر . . . إنني حــر . . حــر ! . . . لقد تحررت من المزرعة . . . لقــد أصبحت حــرا في التجول باستمرار . . وإلى الأبد ! (ينهض ويتكيء على مرفقه ، بوجه مشرق ، وهو يشير إلى الأفق) انظرا ، أليس المنظر جميلا وراء التلال ؟ يمكنني أن أسمع الأصوات القديمة تناديني بالذهاب . . . (في ابتهاج) وفي هذه المــرة سأذهب ! انها ليست النهاية . انها البداية الحرة . . . . بداية رحلتى ! ولقد كسبت لرحلتى حق التحرر . . والمضى وراء الأفق ! أوه ، ينبغي أن تشعرا من أجلي بالسعادة . . بالسعادة (ينهار من فرط الضعف) أندى ! (ينحنى أندرو عليه) تذكر روث . .

أندرو : أقسم لك ياروب ، أنني سأهتم بأمرها !

روبرت : لقد تعذبت روث . . تذكر ، يا أندى . . فقط عن طريق التضحية . السر الكامن هناك وراء . . (يرفع نفسه فجأة بكل ما تبقى لديه من قوة ويشير إلى الأفق حيث يرتفع قرص الشمس من حافة التلال) الشمس ! (يظل لحظة مثبتا عينيه على الشمس . صوت حشرجة

ينطاق من حنجرته ثم يتمتم (تذكر !) ويقع جثة هامدة . تصيح روث في فزع وتهب واقفة وهي ترتعد ، وقد وضعت يديها فوق عينيها . ينحني أندرو على ركبة واحدة بجوار الجثة ، وقد وضع يده على قلب روبرت ، ثم يقبل أخاه في إجلال على جبينه ، ويقف)

أندرو : (مواجها روث ، والجثة بينهما — وقائلا في صوت لاحياة فيه (لقد مات (ثم ينفجر في غضب مفاجيء) لعنك الله ، لم تخبريه بشيء !

روث : (في استعطاف) لقد كان سعيدا للغاية دون الحاجة لأن أكذب عايه .

أندرو : (مشيرا الى الجثة . . وهو يرتعد من شدة الغضب) هذه فعلتك ، أيتها المرأة الملعونة ، أيتها الجبانة ، أيتها القاتلة !

روث : (تشهق بالبكاء) لاتقل هذا ، يا أندى ، لم يكن في وسعي غير هذا . . وهو يعلم كم تعذبت أيضا . ولقد طلب منك . . أن تتذكر .

أندرو : (يحملق فيها لحظة ، وقد انحسر غضبه ، وبدا على وجهه تعبير ينم على الشفقة العميقة . ثم يلقي نظرة سريعة على أخيه . ويتكلم في صوت متقطع حنون) سامحيني ، ياروث . . من أجله . . . . وسوف أتذكر . . . (تزيح روث يديها من على وجهها وتنظر اليه

وهي لاتفهم شيئا . يرفع عينيه لينظر اليها ، ويتكلم في صعوبة وتقطع) أنا . . . وأنت . . . لقد تخبطنا وارتبكت أحوالنا ! يجب أن يساعد أحدنا الآخر . . . وبمرور الزمن . . سندرك الصواب . (وفي يأس) وربما نحن . . . . (لكن روث ، حتى وإن كانت قد أدركت معنى هذه الكلمات ، إلا أنها لم تقم بأية إشارة تدل على ذلك ، إذ ظلت صامتة ، تحملق فيه في بلاده . وقد طغى عليها إعيــاء من استبدت به استكانة حزينة . وقد عاد ذهنها إلى حالة من الركود تنجم عن عـــدم التعلق بأى أمل) .

(تســدل الســتار)

أنَّا كريستي

(مسرحية من أربعة فصول)

تأليف : يوجين أونيل

ترجمة : د. عبد الله عبد الحافظ متولي

مراجعة : د. محمد سمير عبد الحميد

EUGENE O'NEILL

Anna Christie
The Emperor Jones
Desire Under the Elms

INTRODUCED AND EDITED BY

E. MARTIN BROWNE

PENGUIN BOOKS

شخصيات المسرحية

« جوني ــ القس »	"Johnny — the — Priest"
اثنان من حمالي الميناء	Two Longshoremen
لاري ــ ساقي في حانة	Larry, Bar — tender
ساعي بريد	A Postman
كريس كريستوفيرسون	Chris Christopherson,

« سيمون ونثروب » : ــ ربان مركب نقل البضائع
Captain of the barge Simeon Winthrop

مارتي اون	:	Marthy Owen

انا كريستوفرسن ــ ابنة كريس	Anna Christopherson, Chris's daughter.

ثلاثة رجال من طاقم بحارة سفينة بخارية :
Three Men of a Streamer's Crew

مات بيرك ، وقاد	Mat Burke, a Stoker

جونسون ، نوتي يعمل على المركب
Johnson, Deckhand on the barge

المشاهد

الفصـل الاول

حانة « جوني ــ القس » بالقرب من ميناء نيويورك

الفصـل الثانى

المركب «سيمون ونثروب» راسية فى ميناء بروفنستاون
فى ماساشوستس بعد ذلك بعشرة أيام Massa chustts

الفصل الثالث

قمرة فى المركب الراسية فى بوسطون Boston بعد ذلك بأسبوع

الفصـل الرابع

نفس المشهد ، بعد ذلك بيومين

زمن المسرحية : حوالى ١٩١٠

★★★

الفصل الأول

(حانة « جونى — القس » بالقرب من شارع (سوث ستريت) في مدينة نيويوك . ينقسم المسرح الى قسمين ، مبينا حجرة خلفية صغيرة جهة اليمين . والى اليسار ، أمام البار ، تبدو نافذة كبيرة تطل على الشارع وخلفه ، نجد المدخل الرئيسى — وهو عبارة عن باب دوار . والى الخلف اكثر من هذا ، توجد نافذة أخرى . ويشغل البار تقريبا طول الحائط الخلفى من اليسار الى اليمين . وخلف البار . خزانة صغيرة لعرض بعض الزجاجات ، التى يبدو ان الاقبال قليل على السلع المعروضه فيها وفي باقي المساحة الخلفية أمام المرايا الكبيرة نجد انصاف براميل من الويسكى الرخيص ، والردىء النوع ، ومن هذه البراميل يصب الشراب بواسطة صنابير . والى اليمين يوجد مدخل يوٌدى الى الغرفة الخلفية ، التى يوجد بها أربع مناضد خشبية مستديرة حول كل منها خمسة كراسى وفي الخلف مدخل عائلى يفضى الى شارع جانبى .

الوقت عصر يوم من أيام الخريف .

وعندما ترفع الستار ، يبدو جونى الذى يستحق الكنية التى تطلق عليه ، أى « جونى — القس » . وجهه شاحب ، نحيل ، حليق ، نظيف . وعيناه زرقاوان وديعتان وشعره ابيض مما يجعل رداء الكاهن أنسب له من « المريله » التى يرتديها . و يس في صوته أو في سلوكه العام مايزيل هذا الايهام الذى جعل منه شخصيه معروفة في الميناء . وان كان

صوته وسلوكه يبدو فيهما اللطف والود ، فان وراء هذه الرقه يمكن للانسان أن يلمس الرجل الكامن وراء القناع – الرجل الساخر ، الفظ والصلب . انه الان يجلس في استرخاء وراء البار ، ونظارته على انفه وهو يقرأ جريدة مسائية .

يدخل اثنان من حمالى الميناء برداء العمل . وقد ثبت كل منهما بشكل بارز زهرة الدب التى ترمز للاتحاد على قبعته التى أمالها الى جانب رأسه بشكل يدل على الفتوة .)

الحمال الاول : (بينما جلس الاثنان بجوار بعضهما عند البار) أعطنى جرعة قوية – مضاعفة (يلقى بقطعة النقود على البار)

الحمال الثانى : نفس الشيء لى .
(يضع جونى كأسين من الويسكى أمامهما)

الحمال الاول : حظ سعيد !
(يومىء الثانى موافقا – يجرعان الويسكى)

الحمال الثانى : (يضع نقودا على البار) أعطنا مشروبا آخر .

الحمال الاول : اعطنى جرعة كبيرة هذه المرة – جعة معتقه وجعة ثقيلة . انني اشعر بحاجة للشراب .

الحمال الثانى : نفس الشيء لى .
(يصب جونى الجعة ويضع القدحين أمامهما . وما أن انتهيا من شرب نصف الكمية حتى أخذا يتحدثان معا في عجلة وبصوت خفيض . يفتح الباب الى اليسار بشدة ويدخل منه لارى ، وهو شاب وسيم ، أحمر الوجنتين ، عليه ملامح الصبيان ، وعمره حوالى العشرين

لارى : (يومىء الى جونى – في ابتهاج) هالو « ياريس » !

جـــونى : ها و ، لارى (يلمح ساعته) في الميعاد ، تماما .
(يتجه لارى الى اليمين ، خلف البار ، ويخلع معطفه ويرتدى مريله)

الحمال الاول : (بغته) دعنا ننتهى من الشراب ونعد الى العمل .
(ينتهيان من شرابهما ويخرجان جهة اليسار . يدخل ساعي البريد عندما يخرجان — يتبادل التحية مع جونى بايماءة ، ويلقى بالخطاب على البار)

ساعي البريد : ان هذا الخطاب موجه الى شخص طرفك ، ياجونى . أتعرفه ؟

جـــونى : (يمسك بالخطاب ، ويثبت نظاراته . ويقبل لارى وهو يحدق النظر الى الخطاب من على كتف جونى — يقرأ جونى ببطء شديد) : كريستوفر كريستوفيرسون

ساعي البريد : (معاونا) انه اسم اسكنديناوى .

لارى : انه كريس العجوز — انه هو .

جـــونى : أوه ، بالتأكيد — لقد نسيت بأن كريس يحمل اسما فظيعا كهذا . لقد كانت تأتى له أحيانا خطابات على هذا العنوان ، كما أذكر الان ، وان كان هذا منذ وقت طويل .

ساعي البريد : اذن ، سيصله الخطاب بالتمام والكمال .

جـــونى : بالتأكيد . انه يأتي الى هنا كلما وصل الى هذا الميناء .

ساعي البريد : (يهم بالخروج) بحار ، اذن ؟

جـــونى : (ببسمه فاترة) ربان مركب لنقل الفحم .

ساعي البريد : (ضاحكا) مهنة على أية حال ! حسن ، الى اللقاء .

جـــونى : الى اللقاء . سأتولى أمر تسليمه الخطاب . (يخرج ساعى البريد ويتفحص جونى الخطاب) ان نظرك قوى ، يالارى . من أين أتى ؟

لارى : (بعد أن ألقي نظرة سريعة (من سانت بول . لابد أنها في ولاية مينيسوتا Minnesota على ما أظن . ويبدو أيضا أنه خط أمرأة ، — هذا الشيطان العجوز !

جـــونى : ان له ابنة في مكان ما في الغرب ، كما قال لى ذات يوم . (يضع الخطاب على دفتر الحساب) تصـــور ، أنني لم أر كريس منذ أمـــد بعيد (يرتدى معطفه وقد وصل الى نهاية البـــار) أظن على أن أعود إلى بيتي . إلى اللقـــاء غدا .

لارى : عم مســـاء ، ياريس .

(ما أن وصل جونى إلى باب الخروج ، حتى فتح الباب ودخل كريستوفر كريستوفيرسون . وهو رجل قصير ، بدين ، عريض المنكبين ، في حوالى الخمسين من العمر ، ذو وجه أحمر ملفوح مستدير تحدق منـــه عينان قصيرتا النظر بهما زرقة خفيفة ، وتشع منهما روح فكاهية طيبة بسيطة . أما فمه الكبير فيطل عليه شارب أصفر متدل يبدو منه ضعف وعناد الأطفال ولطف لا يفتر . أما رقبته الغليظة فهي مثبتة كعمود في جـــذع بدنه الثقيل ، أما ذراعاه بيديهما الضخمة المنقطة بالنمش الكثيفة الشعر ، وساقاه القصيرتان البدينتان اللتـــان ينتهيان بقدمين كبيرتين مفرطحتين — ففيها قصر محرج رغم متانتها العضلية . أما عن صوته ،

فانه عندما لا يرتفع إلى هــدير أجوف ، فانه ينخفض إلى ما يشبه الهمس السرى المــاكر الذى يتسم بنــبرة شكوى غير محددة المعالم . انه الآن يرتدى بدلة داكنة كالتي يرتديها البحارة على الشاطىء ، وهي غير ملائمة له ، كما تحتاج الى كى . ويضع على رأســه الأشقر الأشيب الكثيف الشعر قبعة باهتة اللون مصنوعة من قماش رمادى . ويشع الآن وجهه بسعادة مشرقة ، ويبدو أنه كان يحتسى الخمر . . يمــد يده لمصافحة جــونى) .

كريس : هالو ، جونى ! خذ شرابا على حسابي . هيا ، يالارى. اعطنا الشراب ، وخذ لنفسك مشروبا . (يضع يده في جيبه) لدى نقود ــ نقود كثيرة .

جــونى : (يصافح كريس) من يتحدث عن الشيطان ــ لقــد كنا نتحدث عنك على التو .

لارى : (قادما من نهاية البــار) هالو ، كريس ! ضع النقود هناك . (يتصافحان) .

كريس : (مبتسما) : اعطنى شرابا .

جــونى : (ببسمة عريضة) توشك أن تكون سكران . من أين لك بالشراب ؟

كريس : (مبتسما) : هناك زميل في مركب أخرى ــ زميــل إيرلندى ــ حصل على زجاجة ويسكى شربناها سويا ــ لقد كان مفعوله قويا ، بحقك ! لقد رست ســفينتنا على التو ــ اعطنا مشروبا يالارى ــ لقد سكرت قليلا ــ لم أفــرط .

إننى فقط أشعر بالانتشاء) يضحك ويبدأ في الغنـــاء بصوت متهدج أجش :

« ياجوزفين ، تعالى إلى ظهر السفينة ـــ لقد انتظرتك طويلا إن القمر يسطع ـــ انه يشبهك تمـــاما .

تشي ـــ تشي ـــ تشي ـــ تشي ـــ تشي ـــ تشي » .
(في آخر سطر يلوح بيديه وكأنه يقود فرقة موسيقية) .

جـــونى : (ضاحكا) نفس أغنية جوزفين ، القديمة ـــ ايه ، ياكريس !

كريس : أنت لاتعرف الغناء الجميل إلا عندما تسمع هذا الزميل الإيطالى البحار في المركب الأخرى . لقد علمنى هذه الأغنية ـــ اعطنا مشروبا (يلقي بقطع نقود صغيرة على البـــار) .

لارى : (وعليه سيماء مهنته) ماذا تريدون ، أيها السادة .

جـــونى : قليلا من الجعـــة .

كريس : ويسكى ـــ « دوبل » .

لارى : (بينما يحضر المشروبات لهما) ســـآخذ سيجار على حسابك .

كريس : (يرفع كأســـه) في صحتك ! (يشرب) .

جـــونى : اشرب هنيئـــا مريئا.

كريس : (على الفور) خذ مشروبا آخر .

جـــونى : لا ـــ في وقت آخر ـــ لابد أن أعود إلى المنزل . ايه ، لقد رســـوتم على التو ؟ من أين أتيتم هذه المـــرة ؟

كريس : من نورفوك Norfoik لقد كانت الرحلة بطيئة — طقس ردىء — فقط ضباب ، ضباب ، ضباب ، طول هذا الوقت اللعين ! (هناك دقة جرس متتـــالية من جرس باب المدخل العائلى في الغرفة الخلفية — يفزع كريس — ويقول في عجلة) أنا ذاهب لفتح الباب ، يا لارى لقد نسيت — لابد أنها مارتى — لقد أتت معى . (يهم نحو الغرفة الخلفية) .

لارى : (بضحكة هادئة) لاتزال هذه البقرة تعيش معه ، ذلك الابله العجـــوز !

جـــونى : (مبتسما) ان كريس رجل لعوب . سأعود إلى البيت . إلى اللقـــاء . (يتجه نحو البـــاب المؤدى إلى الشارع) .

لارى : إلى اللقـــاء ، يا « ريس » .

جـــونى : أوه — لاتنسى أن تعطيه خطابه .

لارى : لن أنسى .

(يخرج جونى . وفي نفس الوقت كان كريس قد فتح باب المدخل العائلى لتدخل منه مارتى . قد تكون في الاربعين او الخمسين من العمر — وتخترق عروق زرقاء متشابكه وجهها المنقط » الملفد » ذى الأنف الغليظه الحمراء . أما عن شعرها الكثيف الأشيب فمكدس على هيئة كتله شعرلزجة على قمة رأسها المستدير . أما جسمها فمترهل ومفرطح ، ويأتى تنفسها على شكل لهاث يحدث أزيرا أو صفيرا ، وتتحدث في صوت عال به نبرة رجاليه ، يتخللها انفجارات من الضحك المبحوح.ولكن لايزالفي عينيها الزرقاوين

المتقعتين لهفة شابه للحياة فشلت ظروف الحياة القاسية أن تكبت جماحها ، وروح من الفكاهة بها سخرية ، وان كانت تنم عن طيبة نفس . انها ترتدى قبعة رجال وجاكت رجالى بزرارين، وتنورة قذرة من قماش الكاليكو . وترتدى حذاء رجالى اكبر من قدميها بكثير ، مما يجعل مشيتها بها تثاقل وتمايل)

مارتي : (مزمجرة) ما الذى تحاول فعله ، ايها الهولندى — أتريدنى ان انتظر هناك طوال اليوم ؟ (تتقدم وتجلس في الركن الايمن ، جهة الامام).

كريس : (ملاطفا) آسف ، يا مارتي ، كنت أتحدث مع جوني . لقد نسيت . ما الذي تريدينه من شراب ؟ .

مارتي : (وقد هدأت) اعطني جعة معتقة وجعة ثقيلة .

كريس : سآتيك بالشراب (يعودالى البار) جعة معتقة وجعة ثقيلة لمارتي ، يالاري . وويسكي لى . (يلقى بقطع النقود الصغيرة على البار) .

لارى : حسنا (ثم يتذكر ، ويتناول الخطاب من خلف البار) هاك خطاب يتذكر ، ويتناول الخطاب من خلف البار (هاك خطابا لك — من سانت بول ، مينيسوتا — خط سيدة بابتسامة ذات معنى)

كريس (يأخذه — بسرعة) اوه ، لابد أنه من ابنتى ، أنا . إنها تعيش هناك (يقلب الخطاب في يديه في قلق) لم يصلنى خطاب من أنا — من سنة على وجه التأكيد .

لارى : (مازحاً) انها قصة من محض خيالك ، كقصص الجان ابنه ! بالتأكيد ، انني أراهن أنها إحدى العاهرات .

كريس (باتزان) كلا انه خطاب من آنا . (منهمك بالخطـــاب الذى بيده — في شيء من التردد) ياه ، أعتقد أنني مخمور لدرجة لاتساعدني على قراءة خطا أنا . الأولى لى أن استريح لبرهة . احضر المشروبات في الغرفة الخلفية ، يالارى . (يدخل في الغرفة التى على اليمين) .

مـــارتى : (غاضبة) أين الجعه ، انت يا بليد الاحساس !

كريس : (منهمكا) لارى سيحضر المشروب .

(يجلس في مواجهتا . يحضر لارى المشروبات ويضعها على المنضدة . يتبادل هو ومارتى ايماءات تدل على معرفة أحدهما للآخر . ويقف لارى ينظر الى كريس في فضول . تتناول مارتى جرعة كبيرة من قدح الجعة ، تتنفس بعمق علامة على الرضا ، ماسحة فمها بظهر يدها ، يحملق كريس في الخطاب برهة — يفتحه ببطء ويحدق بعينيه ثم يبدأ قراءة الخطاب بمشقه ، وشفتاه تتحركان وهو يتهجى الكلمات . وكلما قرأ شع في وجهه بريق من مشاعر الفرح الممزوج بالحيرة

لارى : اخبار طيبة ؟

مارتى : (وقد أثير فضولها ايضا) ماهذا الذى معك — خطاب والله ؟

كريس : (يسكت لحظة ، بعد الانتهاء من الخطاب ، كما لو أنه يريد أن تستقر الاخبار في نفسه ثم يضرب بقبضة

يده بعنف على المنضدة بانفعال ينم على السعادة)
ياه ! تصورى ، أنا تقول انها ستحضر الى هنا مباشرة
وأنها سئمت من عملها في سانت بول ، انه خطاب
مختصر ،لايذكر شيئاً أكثر من هذا (يشع وجهه سرورا)
يا الهى انها اخبار طيبه تأتى دفعة واحدة لرجل عجوز !
(يلتفت الى مارتى ، في شيء من الخجل) انت تعرفين
يامارتى ، إننى اخبرتك أننى لم أر أنا منذ كانت
طفلة صغيرة في السويد وكان عمرها خمس سنوات .

مارتى : ماعمرها الان ؟

كريس : لابد أنها — دعنى أتذكر — لابد أنها في العشرين من
عمرها ، يالله !

مارتى : (مندهشه) ولم ترها منذ خمسة عشر عاما ؟

كريس : (وقد اكتأب فجأة — وفي صوت منخفض) فعلا .
لم أرها منذ كانت طفلة صغيرة . كنت رئيسا لبحارة
سفينة شراعية . ولم أعد الى بيتى سوى مرات قليلة
تلك السنوات . كنت بحارا مغفلا ، ولذا فان زوجتى —
أم أنا — سئمت انتظارى طول الوقت في السويد
عندما طالت غيبتى ، فأتت الى هذه البلاد ، ومعها أنا ،
وذهبتا الى مينسوتا حيث عاشا مع أولا دعمها ، وعندما
ماتت أمها وكنت في رحلة ، ظننت أنه من الافضل
لانا أن تعيش مع أولاد عمها . ومن الافضل لها أن
تعيش في مزرعة ، بدلا من معرفتها ذلك الشيطان
العجوز ، البحر وبدلا من معرفة أب مثلى .

لارى : (يغمز بعينه الى مارتى) ان هذه الفتاة ذاتها ستتزوج

بحارا . هذه مسألة وراثية . (يهب فجأة على قدميه ويهوى بقبضة يده على المنضدة في غضب شديد) لا لا ، لا والله لن تفعل هذا !

مارتى : (تمسك بقدحها بسرعة — وتتحدث غاضبة) ايه ، انتبه ، أيها المجنون ! أتريد أن تسكب زبد الجعة التى أشربها ؟

لارى : (مندهشا) أوه ، ما الذى دهاك ؟ ألست أنت بحارا الآن ، كما كنت دائمـــا ؟

كريس : (ببطء) ولهذا السبب ، أقول لك (يفتعل ابتسامة) ان حياة البحار على مايرام ، لكن لا تتناسب مع الزواج بفتاة . إننى أدرك هذا ، كما تدركه أم أنا كذلك .

لارى : (بينما كريس مستغرق في تفكير حزين) متى ستحضر ابنتك ؟ في القريب العاجل ؟

كريس : (منتبها) ياه ، لقد نسيت (يقرأ الخطاب ثانية وعلى عجل) انها تقول انها ستحضر مباشرة ، هذا كل ما في الأمـــر .

لارى : أظن أنها ستحضر إلى هنا بحثا عنك (يعود إلى البـــار ، وهو يصفر . عندما ترك بمفرده مع مارتى ، التي تحملق فيه ببريق من الفكاهة الخبيثة في عينيها ، يشعر كريس بانزعاج شديد مفاجىء . يتململ ، ثم ينهض على عجـــل) .

كريس : أريد الحديث مع لارى وسأعود حالا (ملاطفا) سأحضر لك مشروبا آخـــر .

مارتى : (تفرغ كأسها) بالتأكيد . ها أنذا (عندما يعــود وبيده كأســه تقهقه في اتجاهه في ازدراء) .

كريس : (الى لارى في همس ينم على الانزعاج) يا إلهي ، على أن أبعد مارتى من المركب قبل وصول أنّا . ستثير أنّا زوبعة فظيعة إذا اكتشفت هذا ، كما أن مارتى ســتثير ضجة فظيعة أيضا إذا ما غادرت السفينة ، يا إلهي !

لارى : (يقهقه في هــدوء) أنت تستحق هذا ، أيها الشيطان العجوز ــ أن تكون لك امرأة في مثل سنك !

كريس : (يحك رأســه في ارتباك) أنت تكذب إذ تقول بأن مارتى ستغادر المركب بسرعة .

لارى : انها تعرف أنابنتك قادمة . اطلب منها أن تغادر السفينة

كريس : كلا ــ إننى لا أريد أن أجرح شعورها .

لارى : أيها الرجل العجوز ، ما هذه الرقة النسائية ! إذن ، ابعد ابنتك عن السفينة . قد تكون رغبتها البقاء على الشاطىء . (بشكل فضولى) ما هو عمل ، ابنتك أنا ؟

كريس : لقد كانت تعيش مع أولاد عمها منذ عامين ، ثم تركتها لتعمل ممــرضة في سانت بول . (ثم يهز رأسه في عزم) انى لا أريدها أن تعمل الآن . أريدها أن تبقى معى .

لارى : (في ازدراء) في مركب نقل فحم ! أظن أن هــذا لن يروقها .

مارتى : (تصيح من الغرفة التالية) ألن تحضر لى قدح الجعة ، أيها الهولندى ؟

كريس : (فزعا ــ في ارتباك وخوف) بلى ، إنني قادم يامارتى.

لارى : (يصب الجعة ويناول القدح الى كريس ــ ضاحكا) والآن واجه المشكلة ! يستحسن أن تخبرها على الفور أن ترحــــل !

كريس : (يرتعد فزعا) يا إلهي . (يأخذ المشروب لمــارتى ، ويجلس الى المنضدة . تشرب في سكوت . لارى ينتقل في هــــدوء بالقرب من الفاصل بين الحجرتين ليصغي ، وهو يبتسم في سخرية وهو ينتظر الأحداث . يبــدو أن كريس على وشك التحدث ، يتردد ، ثم يتجرع الويسكى في يأس كما لو أنه يسعى إلى ما يشجعه . يحاول أن يصفر بعض ألحان أغنية « جوزفين » متظاهرا بالشجاعة وعــــدم الاهتمام ، ولكن الصفير ينتهي بدون جدوى . تحملق مارتى فيه باهتمام ، وتنظر في خبث وتفكه الى ارتباكه . « يسلك » حنجرته) مارتى.

مارتى : (في تهجم) ما هذا ؟ (ثم ، تتظاهر بالغضب ، إلا أن عينيها تجد متعة في ملاحظة شقاء كريس) إنني مدركة ما يدور في ذهنك ، أيها الهولندى . أنت تريد التخلص منى ، آه ؟ الآن وهي قادمة ــ تريدني أن أغادر السفينة على عجل ، هه ؟ دعنى أخبرك ، أيها الهولندى بأنه لا يوجد بحار سكنديناوى من الرجولة بمكان حتى يفلت كهذا . لا تبدأ شيئا لا تستطيع وضع حد له !

كريس : (في بؤس) أنني لم أبدأ شيئا ، يا مارتى .

مارتى : (تحملق فيه لثانية ــ ثم لم تستطع أن تمنع نفسها من

الانفجار من الضحك) هو — هو !

(تطلق أزيزا وهي تلهث) .

كريس : (في استياء صبياني) إنني لا أرى شيئا يستحق الضحك.

مارتي : التفت إلى المرآه ، وسترى . هو — هو ! (تتخلص من المرح — وتضحك في ازدراء) اسكنديناوى يحاول السخرية من مارتي أوين وهي في مثل هذا العمر المتأخر ! — بعد أن أقمت مع بحارة طوال العشرين السنة الماضية . لقد نهيت اللعبة من كل جوانبها — لم أولد ولم أقاسي من حياة الميناء عبثا . أتظن أنني سأثير لك المتاعب ، ايه ؟ لست أنا ! سوف أحزم أمتعتي وأرحل . إنني سأرحل بعيدا عنك ، أفهمت ؟ إنني أقول لك إنني سئمت العيش معك ، ولهذا سأتركك على التو ، أفهمت ؟ هناك رجال كثيرون في مراكب أخرى ينتظرونني . لقد كان ذلك دائما ، وكنت أجدهم على الدوام . (تربت على ظهر كريس الذى كان مندهشا) — ابتهج ، أيها الهولندى ! سأترك المركب قبل حضورها . ستتخلص مني إلى الأبد — كما سأتخلص منك — وهذا خير لكلانا . هو — هو !

كريس : (بنبرة جادة) لا أظن ذلك . لقد كنت فتاة طيبة ، يا مارتي .

مارتي : (مبتسمة) فتاة طيبة ؟ آه ، حسن ، لقد عاملتني معاملة طيبة . وهكذا فالمسألة متساوية ، ولا يشلر أحد منا بمرارة نحو الآخر . ولانزال أصدقاء أليس كذلك ؟

(يعود لارى إلى البسار) .

كريس : (مشرق المحيا الآن بعد أن تبين أن متاعبه قد اختفت) نعم ، والله .

مارتى : هذا هو الكلام الجميل ! طوال حياتي لم أحاول قط أن أختلف مع أى رجل وفي نفسى مرارة . لكن ما الذى يفزعك — أتخشى أن أحدث ضجة وأتشاجر معك ؟ ليس هذا هو أسلوبي . (في ازدراء) أتظن أن قلبي سيتحطم لفراقك ؟ أو أنتحر ، ايه ؟ هو — هو ! حسن ! إن الدنيا مليئة بالرجال ، إذا كان هذا كل ما يقلق بالى ! (بابتسامة ، بعد أن أفرغت كأسها) ادفعنى إلى رجل آخر ، ايه ؟ سأشرب نخب ابنتك من أجلك .

كريس : (في شغف) بالتأكيد . سأذهب لإحضاره . (يعيد الكأسين إلى البار) مشروبا آخر نفس المشروب لكلينا .

لارى : (يحضر المشروبان ويضعهما على البار) ليست إنسانة سيئة ، هذه المرأة .

كريس : (مرحا) انها فتاة طيبة . أؤكد لك ! بالله ، دعنا نحتفي بهذا الآن ! اعطنى ويسكى هنا في البار ، أيضا (يضع النقود . يقوم لارى بتقديم المشروب) أتريد مشروبا يا لارى ؟

لارى : (متمسكا بأهداب الفضيلة) أنت تعرف أننى لا أشرب قط .

كريس : أنت لا تدرى ما تفتقده من جراء ذلك . في صحتك ! (يشرب . ثم يأخذ في الغناء بصوت مرتفع) .

« يا فتاتي جوزفين ، تعالى إلى ظهر السفينة — »

(يتناول المشروب لمارتي وله ويسير مترنحا نحو الغرفة الخلفية ، وهو يغنى :

« أن القمر يسطع . انه يشبهك تماما .

تشى — تشى ، تشى — تشى ، تشى — تشى »

مارتى : (مبتسمة ، وقد وضعت يديها على أذنيها) حسن !

كريس : (جالسا) إنني مغن جيد ، نعم ؟ فلنشرب ، ايه ؟ في صحتك ! إنني أحتفل ! (يشرب) إنني أحتفل بمقدم أنا . أتعرفين يا مارتى ، أنني لم أكتب لها قط بأن تحضر لأنني أعتقد أنني لست أهلا لها . إلا أنني طوال الوقت كنت آمل بعنف بأن ترغب هي في) رؤيتي وتحضر . وهذا ما حدث الآن ، بالله !) مشرقا تعتقدين ! كيف تبدو ، يا مارتى ؟

أراهن بأنها فتاة طيبة ، قوية ، لطيفة ، رائعة الجمال ! ان الحياة في المزرعة تجعلها تبدو كذلك . وأراهن بأنها يوما ما ستتزوج رجلا طيبا ، مثابرا من شرق الولايات المتحدة ، وأن يكون لها بيت ، وأطفال — وأكون جدا عجوزا يا إلهي ! وأذهب لزيارتهم كلما أتيت إلى ميناء قريب ! (ينفجر بالسرور) يا إلهي ، أطفال ، أنني أحتفل بهذا ! (ضاحكا) أحضر مشروبا آخر ، يالارى ! (يضرب بقبضة يده على المنضدة محدثا صوتا عنيفا) .

لارى : (قادما من البار — في غيظ) مهلا يا هذا ! لاتحطم المنضدة ، أيها العنز العجوز !

كريس : (ردا على ذلك يبتسم في بلاهة ، ويأخذ في الغناء) .
« يا فتاتي جوزفين تعالى إلى ظهر السفينة — »

مارتى : (تمسك بذراع كريس وهي تحاول اقناعه) : أنت مخمور للغاية ، أيها الهولندى . اخرج وكل أى شيء . ان ذلك سيرجعك إلى وعيك . (ثم عندما يهز كريس رأسه في عناد) اسمع ، أيها العجوز المخبول ! أنت لا تدرى متى ستحضر ابنتك . أنت تريد أن تكون في وعيك عند مقدمها ، أليس كذلك ؟

كريس : (وقد تنبه — ثم ينهض مترنحا على قدمه) بلى ، بلى والله .

لارى : هذه نصيحة معقولة لك — ان قطعة طيبة من لحم البقر المسلوق سوف تعيد لك اتزانك . اذهب الى المطعم الذى يقع عند ناصية الشارع .

كريس : حسن . سأعود بسرعة ، يا مارتى . (يخرج كريس من البار إلى الشارع) .

لارى : سوف يعود بعد أن يلتهم بعض الطعام .

مارتى : بالتأكيد .

(يعود لارى إلى البار ويستأنف قراءة الجريدة اليومية ، وترتشف مارتى ما تبقى من قدحها وهي تفكر . يسمع دق على جرس المدخل العائلى . يقبل لارى إلى الباب ويفتحه قليلا ثم ، بتعبير ينم على الحيرة يفتحه إلى آخره — تدخل أنّا كريستوفرسون . انها فتاة طويلة ، شقراء ، مكتملة النمو ، جمالها من الطراز المألوف لدى الفايكنج ، وان كانت صحتها

الآن قد بدأ عليها الوهن ، كما تبدو عليها دلائل واضحة بأنها تحترف أقــدم مهنة في العالم . ومن خلال طبقة المـــاكياج على وجهها بدت بسمة جادة ساخرة . أما ملابسها فرخيصة وزاهية بشكل يوحي بأنها من ســلالة قروية انقلبت إلى عاهرة . تأتي ، ترتمي في اعياء على كرسى ، بالقرب من المنضدة ، إلى اليسار جهة الأمام) .

أنّا : اعطنى ويسكى — ومعه جعة الزنجبيل (وعندمايهـــم لارى بالذهاب ، ترمقه بابتسامة جذابة مفتعلة) ولا تكن شحيحا ، ياحبيبى .

لارى : (متهكما) هل أقــدم لك المشروب في جردل ؟

أنّا : (بضحكة جامدة) هذا يناسبني تمــاما (يدخل لارى البــار . وتحملق كل من السيدتين في الأخرى بعيون فاحصة جريئة . يعود لارى ومعه الشراب الذى يضعه أمام أنّا ، ثم يعود الى البــار . تأخذ جرعات من المشروب ، وبعد لحظة عندما يبدأ مفعول المشروب ، تلتفت الى مارتى بابتسامة ودية ، لقد كنت في حاجة شــديدة للشراب تمــاما ، تمــاما !

مارتى : (تومىء — برأسها في عطف) بالتأكيد — تبدين مرهقة تمــاما . أكنت في حفلة صاخبة ؟

أنّا : كلا — لقد كنت مسافرة — يوما ونصف يوم في القطار . لقد كنت جالسة طوال الليل في عربة القطار القذرة ، أيضا ، حسن ، لقد ظننت أننى لن أصل أبدا إلى هذا المكان !

مارتى : (في دهشة — تنظر اليها في امعان) من أين أتيت ، أه ؟

أنّا : سانت بول — هناك في مينيسوتا —

مارتى : (تنظر اليها في استغراب — وتقول في بطء) وهكذا— أنت — (تنفجر فجأة بضحك فظ ساخر) حسن !

أنّا : طوال الطريق من مينيسوتا ، بالتأكيد .) منفجـــرة) لمـــاذا تسخرين منى ؟ منى ؟

مارتى : (في عجلة) كلا ، صدقينى ، يا طفلتى ، لقد كنت أفكر شيء آخـــر .

أنّا : (وقد هدأت ثائرتها — بابتسامة) حسن ، لن ألومك على ذلك . أعتقد أني أبدو بالتأكيد حطاما — لقـــد خرجت من المستشفى منذ أسبوعين . إننى أريد مشروبا آخر . ما رأيك ! إشربي شيئا على حسابي ؟

مارتى : شكرا ، سوف أشرب . (تنادى) هاى ، لارى ! خدمة صغيرة ! (يدخل) .

أنّا : نفس المشروب .

مارتى : وأنا كذلك .

(يأخذ كأس كل منهما ويخرج) .

أنّا : لمـــاذا لاتقتربين منى ، كوني اجتماعية ، وأنا غريبة تمـــاما عن هذه المدينة —ولم أخاطب أحدا منذ يومين .

مارتى : بالتأكيد .

(تهرول إلى منضدة أنّا وتجلس في مواجهتها . يحضر لارى المشروب وتدفع له أنّا) .

أنّا : في صحتك ! ها هي الطريقة ! (تشرب) .

مارتى : حظا سعيدا لك ! (تأخذ جرعة من قدحها) .

أنّا : (تخرج علبة سجائر من تبك « معسل » من حقيبتها) .
مسموح بالتدخين هنا ، أليس كذلك ؟

مارتى : (في ريبة) بالتأكيد (ثم في قلق ظاهر) فقط ارميها
بعيدا إذا سمعت بأن هناك أحدا قادم .

أنّا : (تشعل واحدة وتأخذ نفسا عميقا) ايه ، أعتقد أنهم
متزمتون في هذه الماخورة ، أليس كذلك ؟(تنفث
الدخان ، وهي تحملق إلى طرف المنضدة . وتنظـــر
مارتى اليها باهتمام عميق جديد ، وهي تتفرس في
وجهها . تشعر أنّا بهذه الحملقة — وتتأذى منها)
أهناك شيء خطأ يتعلق بى ؟ انك تحدقين النظر في .

مارتى : (تغضب لهذه النغمة — وتقول في ازدراء) لم يكن
هناك ما يدعو لامعان النظر . لقد فهمتك منذ الدقيقة
الأولى التي دخلت فيها الباب .

أنّا : (تغمض عينيها) ما هذه النباهة ! حسن ، لقد فهمتك
أيضا ، دون مشقة . أنت أنّا بعد انقضاء أربعين عاما
من الآن . ها هي حقيقة أمرك ! (تطلق ضحكة
صغيرة جامدة) .

مارتى : (غاضبة) أوصل الأمر إلى هذا الحد ؟ حسن ، سأقول
لك بصراحة ، ياطفلتي ، بأن مارتى أوين لم تكن
أبدا — (تملك زمام نفسها — ثم تبتسم في تكلف)
لمـــاذا نتشاجر نحن الاثنان ؟ دعينا نضع حدا لهـــذا ،
آه ؟ أنا لا أريد جرح شعور أى شخص (تمـــد يدها)
لننسى هذا ، ونتصافح ، آه ؟

أنّا : (تمد يدها مصافحة بسرور) إنني لجد مسرورة لهذا . إنني لا أبحث عن المتاعب . دعينا نأخذ مشروبا آخر . ما رأيك ؟

مارتي : (تهز رأسها) ليس لي ، إنني امتلأت تماماً . وأنت — أتناولت شيئا من الطعام منذ وقت قريب ؟

أنّا : لا شيء منذ الصباح ، في القطار .

مارتي : إذن ، يحسن أن تخففي من الشراب ، أليس كذلك ؟

أنّا : (بعد لحظة تردد) أعتقد أنك على صواب . عليّ مقابلة شخص ما . ولكن أعصابي متوترة بعد هذه الرحلة الفظيعة .

مارتي : لقد ذكرت أنك خرجت من المستشفى منذ وقت قريب ؟

أنّا : منذ أسبوعين . (تميل نحو مارتي وتهمس لها) ان الوكر الذي كنت فيه في سانت بول أغار عليه البوليس . لقد كانت هذه هي البداية . لقد حكم علينا القاضي — نحن البنات — بثلاثين يوما .

ولم تبال ، الأخريات كثيرا ، على ما يبدو ، بوضعهن في السجن . إذ أن بعضهن من أرباب السجون . ولكني ، لم أحتمل — لقد حطمني تماما — فلم أستطع الأكل أو الشرب أو أي شيء . إنني لم أحتمل قط حياة الحبس والقيود في أي مكان . لهذا مرضت لدرجة أنهم نقلوني إلى المستشفى . لقد كانت الإقامة هناك لطيفة ؟ وكنت آسفة على مغادرتي لها ؟ آسفة بإخلاص .

مارتى : (بعد فترة صمت صغيرة) أتقولين أنك أتيت لمقابلة شخص ما ، هنا ؟

أنّا : نعم . أوه ، ليس شخصا كما تقصدين . انه والدى العجوز . صدقيني ! انه لأمر غريب ، جدا ، إذ أنني لم أره منذ أن كنت طفلة — ولا حتى أعرف شكله — إذ أنه كانت تصلني منه خطابات بين الحين والحين . وهذا المكان هو العنوان الوحيد الذى طلب منى أن أرسل خطاباتي عليه . انه بواب في إحدى العمارات هنا — وقد كان في يوما ما بحارا .

مارتى : (في اندهاش) بواب !

أنّا : بالتأكيد . لقد كنت أظن أنه ربما لأنه لم يفعل شيئا لى بالمرة ، ربما يوفر لى مسكنا وطعاما حتى أستجم تماما . (في إعياء) بالله ، إننى في حاجة إلى تلك الراحة ! إننى محطمة (ثم في استسلام) لكني لا أنتظر منه الكثير . سيركلك وقت الحاجة ، هذا ما يفعله كل الرجال . (بانفعال مباغت) الرجال ؟ اني أكرههم — أكرههم ! إننى لا أتوقع أن يكون أحسن من الآخرين (باهتمام مفاجىء) أخبريني ، هل ترددين على هذه الماخورة كثيرا ؟

مارتى : أوه ، من حين إلى حين .

أنّا : إذن ، ربما تعرفين — والدى — أو على الأقل رأيته

مارتى : أتعنين كريس العجوز ، أليس كذلك ؟

أنّا : كريس العجوز ؟

مارتى : ان اسمه بالكامل هو كريس كريستوفيرسون .

أنّا : (بانفعال) نعم ، هو بالذات ! انّا كريستوفيرسون— هذا هو أسمي الحقيقي — فقط هناك يسمونني أنّا كريستى . . إذن ؟ تعرفينه ؟

مارتى : (تحاول التهرب من السؤال) إني أراه هنا منذ سنين .

أنّا : أخبريني ، كيف يبدو — أخبريني ، بأمانة ؟

مارتى : أوه ، أنه قصيرو —

أنّا : (ينفذ صبرها)إننى لا أبالى بشكله . أى نوع من الرجال هو ؟

مارتى : (بلهجة جادة) ، . . . تأكدى ، ياعزيزتي ، أنه من أطيب الرجال العجازى . ذلك معروف عنه !

أنّا : (في سرور) إننى سعيدة لسماعي هذا . إذن ، تظنين أنه سيوفر لى فترة الراحة اللازمة لعلاجي والتي أسعى لهـــا ؟

مارتى : (مؤكدة) بكل تأكيد . (في اشمئزاز) ولكن كيف أتت لك الفكرة بأنه يعمل بوابا ؟

أنّا : لقد كتب لى هو نفسه عن هذا .

مارتى : حسن ، لقد كان يكذب . انه ليس ببواب . انه ربان مركب — ويعمل تحت رئاسته خمسة رجال .

أنّا : (مشمئزة بدورها) مركب ؟ أى نوع من المراكب ؟

مارتى : مركب فحم ، في معظم الأحيان .

أنّا : مركب لنقل الفحم ! (بضحكة فظة) يا لها من مهنة

عظيمة ، تلك التي وجدت فيها والدى العجوز بعد طول غيبة ! ويسوع المسيح ، كنت أدرك أن شيئا ما سيصير خطأ حتما — هذا ما يحدث لى دائما . هذا يبعد فكرة تدبيره فترة الراحة لى ؟

مارتى : ماذا تعنين ؟

أنا : أعتقد أنه يعيش في مركب ، أليس كذلك ؟

مارتى : طبعا . وما هذا ؟ ألا تستطعين العيش فيها ، أيضا ؟

أنا : (باحتقار) أنا ؟ أعيش في قارفحم قذر ؟ ماذا تفكرين أن أكون ؟

مارتى : (باستياء) ماذا تعرفين عن السفن اه ؟ أنا متأكدة أنك لم تشاهدى سفينة قط . هذا ما حدث نتيجة تربيته لك في داخل البلاد — بعيدا عن البحر ، هذا الشيطان العجوز — حيث تنعمين بالأمان . حسن ! (تثير نبرة السخرية روح الفكاهة فتضحك بفظاظة) .

أنا : (غاضبة) تربيته لى ! أهذا ما يقوله للآخرين ! يالصفاقته ! لقد تركنى مع أولاد عم والدتي في المزرعة حيث أرهقوني من كثرة العمل لدرجة فظيعة .

مارتى : حسن ، إن لديه أفكارا غريبة حول بعض الأمور . لقد سمعته يقول إن المزرعة هي أفضل مكان للطفل .

أنا : هذه ، بالتأكيد ، كانت إجابته دائما — وكان يقول أشياء غريبة حول البعد عن البحر — كلاماً لم أفهمه قط — لقد ظننت أنه مخبول .

مارتى : إنه مخبول في هذه النقطة بالذات . (فجأة) وهكذا لم تعشقي الحياة في المزرعة ، اه ؟

أنا : فعلا لقد كان عليّ أن أشقى كعبد رقيق في خـــدمة رب الأسرة ، وزوجته وأربعة أولاده — ولأنني لم أكن إلا إحدى القريبات الفقيرات ، فقد عاملونى أســـوأ من معاملة فتاة أجيرة .

(بعد فترة تردد — تقول في كآبه) لقد كانت البداية مع أحد أولادهم — أصغرهم — عندما بلغت السادسة عشرة بعد هذا ، كرهت الرجال ، ولو بقيت معهم لقتلتهم جميعا . لهذا هربت بعيدا — الى سانت بول .

مارتى : (التى كانت تصغى في عطف) لقد سمعت كريس يقول انك تعملين كمربية — هل كنت تموهين عليه عندما ذكرت ذلك في خطابك ؟

أنا : لا ، وحياتك . لقد كان ذلك صحيحا لمدة عامـــين . انى لم انحرف دفعة واحدة . ان عملى كمربية وضع نها يةلى . ان أرعى اطفال الغير وأصغى لصراخهـــم وبكائهم ،وأنا حبيسة الدار ،وأنا نفسى صغيرة أريد رؤية الدنيا — أخيرا وجدت الفرصة للانضمام الى بيت الدعارة — وبكل تأكيد انتهزت هذه الفرصة . (في تحد) انى لست آسفة على ذلك . (بعد فترة صمت — تقول في مقت مرير) انها غلطة الرجـــال جميعا — كل ما حدث . ان الرجال في المزرعة كانوا يصدرون الاوامر ويضربوننى — لقد اعطونى البداية السيئة . وبعد ذلك عندما عملت كمربيه — لقد كان

الرجال هم الذين يحومون حولى ، ويز عجوننى ، محاولين الحصول على بغيتهم (تطلق ضحكة جامدة) والان انهم الرجال طوال الوقت . حسن ، انني اكرههم جميعا ــ جميعا ! الست تكرهينهم ؟

مارتى : أوه ، كلا . هناك رجال طيبون ورجال اشرار ، ياطفلتى لقد كان حظك سيئا معهم ، هذا كل ما في الامر . ان والدك ــ كريس العجوز مثلا ، من الرجال الطيبين .

أنا : (في ريبة) عليه ان يثبت ذلك لى .

مارتى : وهل أخذت تكتبين له بأنك تعملين كمربية حتى بعد أن دخلت ذاك البيت ، اليس كذلك ؟

أنا : بلى (في سخرية) لا أعتقد انه سيهتم على الاطلاق

مارتى : انت مخطئة ، ياعزيزتى . (في جد) انى اعرف كريس منذ وقت طويل ، وكثيرا ما حدثنى عنك . صدقينى ، ان افكاره عنك رائعة جدا .

أنا : اوه ، انت تمزحين !

مارتى : صدقينى ! انه رجل عجوز بسيط فحسب ، أفهمت ! ان لديه أفكارا غريبة ، ولكن نيته طيبة ، صحيح . انصتى الى ، ياطفلتى ــ (يقطع حديثها فتح وغلق الباب المؤدى للشارع ، وصوت كريس) اش ! !

أنا : ما هى الحكاية ؟

كريس : (الذى كان قد دخل البار . يبدو أنه عاد الى وعيه لدرجة كبيرة) يا الهى ، لارى ، ان ذلك الطعام لذيذ

الطعم . لقد عادت مارتى ؟

لارى : طبعا — ومعها صعلوكة أخرى .

(يهم كريس نحو مدخل الغرفة الخلفية)

مارتى : (الى أنّا في همس عصبى سريع) هو الان . انه قادم هنا . تشجعى !

أنّا : مـــن ؟

(يفتح كريس الباب)

مارتى : (كما لو أنها تحييه لأول مرة) أوه ، ها لو كريس . (قبل أن يجيب مرقت أمامه الى داخل البار وأشارت اليه بأن يتبعها) تعال هنا ، أريد أن أقول لك شيئــا . (يتجه نحوها . تتكلم في عجله وفي صوت منخفض) اسمع ! انى ذاهبة الى المركب — لأحزم أمتعــتى وأرحل . ها هى هناك ابنتك أنّا — في انتظارك. عاملها معاملة طيبة ، أفهمت ؟ لقـــد كانت مريضة . الى اللقاء ، اذن (تدخل الغرفة الخلفية — متجهة نحو أنّا) الى اللقاء ، ياعزيزتى . لابد أن أرحل الآن — الى اللقاء

أنّا : (في عصبية) الى اللقـــاء .

(تخرج مارتى من المدخل العائلى)

لارى : (ينظر في فضول الى كريس الذى استبدت بهالدهشة) حسن ، ما هى الحكاية الآن ؟

كريس : (في نغمة مبهمة) لاشئ لاشئ (يقف أمام باب الغرفة الخلفية في ارتباك أليم — ثم يضغط على نفسه ليتخـــذ قرارا جريئا وهو دفع باب الدخول . يقف هنـــاك ،

يلقى نظرة خاطفة خجوله الى أنّا ، وقد شعر بالرهبة الشديدة من جراء ملابسها الزاهية ومظهرها البراق . ينظر حواليه في عصبية تثير الشفقة كما و أنه يحاول تجنب نظرتها الفاحصة لوجهه وملابسه ، وغير ذلك — ويبدو على صوته وكانه يلتمس الرفق) أنّا !

أنّا : (وقد شعرت بدورها بحرج شديد) مرحبا — ياوالدى . لقد علمت منها بأنك والدى . لقد وصلت الى هذا المكان منذ برهة قصيرة .

كريس : (يتجه في بطء الى كرسيها) حسن — أن أراك بعد هذه السنين الطوال ، يا أنّا .

(ينحنى على وجهها ، وبعد كفاح للتخلص من الحرج تمكن كل منهما من تقبيل الآخر) .

أنّا : (وفي صوتها أثر لشعور صادق) وحسن أن أراك أيضا

كريس : (يمسك ذراعيها وينظر في وجهها — ثم تستولى عليه موجه من الرقة الشديدة) أنّا ليلا Anna Lilla *
أنا ليلا ! (يأخذها بين ذراعيه) .

أنّا : (تبتعد عنه ، شبه خائفة) ما هذا — لغة سويدية ؟ انى لا أعرفها . (ثم تنطلق في ثرثرة كما لو انها تريد التخلص من الانفعال) يا الهى لقد كانت رحلتى الى هنا فظيعة . انى مرهقة تماما . لقد كان على الجلوس في عربة قذرة طوال الليل — ولم أذق طعم النوم ، الا

---

* باللغة السويدية تعنى « يا صغيرتى انا » .

بمشقة — ثم وجدت صعوبة في الاهتداء الى هذا المكان . كما تعلم ، انى لم أحضر الى نيويورك من قبل .

كريس : (الذى كان يحملق في وجهها في إعجاب ، غير منصت لمـا تقول — ثم يندفع قائلا) أنت رائعة الجمال ، يا أنّا ، أتعرفين ذلك ؟ إننى واثق بأن كل من يراك من الرجال سيقع في حبك ، يا إلهي !

أنّا : (في شيء من النفور ، والجفاء) دعك من هـذا ! انك تتحدث كما يتحدث الرجال جميعا .

كريس : (وقد جرح شعوره — في تواضع) ليس هناك أى ضير في أن يتحدث والدك بهذه الطريقة يا أنّا .

أنّا : (تتكلف ضحكة قصيرة) كلا — بالطبع لا . فقط — انه لأمـر غريب أن أراك ولا أتذكر شيئا — انك — كالغريب .

كريس : (في حزن) أظن ذلك . إننى لم أعد الى البيت ، إلا فترات قليلة عندما كنت طفلة صغيرة في السـويد . انك لاتذكرين ذلك ؟

أنّا : لا . (في استياء) لمـاذا لم تعد إلى البيت في تلك الأيام ؟ لمـاذا لم تحضر لزيارتي في الغرب West ؟

كريس : (في بطء) اعتقدت ، بعد وفاة والدتك ، عندما كنت في رحلة بحرية ، انه من الأفضل ألا تريني على الإطلاق ! (يهوى في الكرسي المواجه لها في كآبة — ثم يتجه اليها — في حزن) لا أدرى ، يا أنّا لمـاذا لم أعد الى البيت في السويد كل هذه السنين . لقد كنت

أريد العودة الى الديار عند انتهاء كل رحلة . كنت أريد أن أرى والدتك وأخويك قبل غرقهما ، وأراك عند مولدك — لكن لم أذهب . كنت أوقع عقد عمل مع سفن أخرى ذاهبة الى — جنوب أمريكا ، استراليا ، الصين ، وكل موانى العـــالم مرات عديدة — لكن لم أعمل قط على ظهر سفينة وجهتها السويد . وعندما كنت أحصل على أجرة السفر بالباخرة الى السويد — (يحنى رأســه وقد شعر بالذنب) أنسى وأنفق كل النقود . وعندما أعاود التفكير في السفر ، يكون الأوان قد فات . (يتنهد) إننى لا أدرى السبب ، لكن هذه هي نفس الحال مع معظم زملائي البحارة ، يا أنّا . ان البحر ، هذا الشيطان العجوز يجعل منهم بلهـــاء مخبولين لمـــا يقوم به من حيل قذرة . هذه هي الحقيقة.

أنّا : (التي كانت تراقبه باهتمام وهو يتحدث — في نبرة من الازدراء في صوتها) إذن تعتقد أن اللوم يقع على البحر لكل شيء ، اه ؟ على أى حال ، أنت لا زلت تعمل بحارا ، على الرغم من كل ما اعتدت كتابته عن كراهيتك له . وتلك السيدة أخبرتنى انك تعمل ربانا لمركب لنقل الفحم وكنت قد كتبت لى بأنك بواب لبناية من البنايات .

كريس : (في حرج ولكنه لا يتوانى في الكذب) أوه ، لقـــد عملت بوابا مـــدة طويلة . ولكن منذ فترة قصيرة ، حصلت على هذه الوظيفة ، إذ أننى مرضت وكنت في حاجة الى الهواء الطلق .

أنّا : (في ريبة) مريض ؟ أنت ؟ هذا لن يصدقه أحـــد ، حتّى أنت .

كريس : ثم ، يا أنّا ، هذه ليست مهنة بحار بمعنى الكلمة ، وهذه المركب ليست سفينة بمعنى الكلمة . وحياتي ، يا أنّا لن أعمل بحارا . لقد أقسمت على هذا عند وفاة والدتك ، وأنا وفي للعهد .

أنّا : (في اضطراب) إنني لا أرى أى فرق (تتحاشى الموضوع) حديثك عن المرض ذكرني بنفسى — إذ خرجت من المستشفى من أسبوعين .

كريس : (يبدى على الفور قلقا تاما) أنت يا أنّا ؟ يا إلهي (في قلق) أنت تشعرين بتحسن الآن ؟ أليس كذلك ؟ تبدين متعبة بعض الشيء ، هذا كل ما في الأمر . ؟

أنّا : (في إعيـــاء) فعلا — إننى مرهقة للغاية ، وفي حاجة إلى راحة طويلة ، لا أرى فرصة كبيرة للحصول عليها

كريس : ماذا تعنين ، يا أنّا ؟

أنّا : ايه ، عندما عزمت على الحضور لزيارتك ظننت أنك تعمل بوابا — وأن لديك مكانا قد أجد فيه — إذا كان هذا يروقك — الراحة التامة — حتّى استعيد القـــدرة على العوة إلى عملى من جديد .

كريس : (في لهفة) ولكن لدى مكان ، يا أنّا — مكان جميل . بالله ، يمكنك أن ترتاحي كما تشائين ! ولن تذهبي أبدا للعمل كمربية بعد الآن . ستمكثين معى ، والله !

أنّا : (مندهشة ومسرورة لهذا التلهف وتقول بابتسامة) إذن ، أنت مسرور لرؤيتي — بحق ؟

كريس : (يضغط بكلتا يديه على إحدى يديها) أنّا أؤكد لك أنني مشتاق اليك للغاية ! فلا تتحدثي ثانية عن الحصول على عمل — أنت ستمكثين معي . لا تنسى أنني لم أرك منذ مــدة طويلة ، وأنه ليس لى أحد ســواك في هذه الدنيا ولقد أصبحت رجلا عجوزا الآن .

أنّا : (في تأثر — وقد شعرت بحرج لهذه العاطفة التي لم تألفها) شكرا ، أنه لجميل أن أسمع أحدا يتحدث الى بهذه الطريقة . على فكرة ، إذا كنت تشعر بالوحدة إلى هذا الحد ، فمن الغريب أنك لم تتزوج ثانية ؟

كريس : (يهــز رأسه مؤكدا — بعد فترة صمت) أنني أحب والدتك حبا أقوى من التفكير في هذا أبدا ، يا أنّا .

أنّا : (في تأثر — وببطء) أنني لا أذكر شيئا عنها ، كيف كان شكلها — أخبرني ؟

كريس : سأقص عليك كل شيء — كما ستحكين لى كل ما مر بك من أحداث . ولكن ، ولكن هذا ليس مجاله ولا وقته ، إذ أن هذا المكان لا يناسب فتاة شــابة ، على أية حال . ان هذا المكان لا يرتاده إلا أســوأ أصناف البحارة وذلك للشراب . (ينهض على قدميه بسرعة ، ويتناول حقيبتها) تعالى ، يا أنّا . لا بد أن تستلقي وتستريحى .

أنّا : (تكاد تقف ، لكنها تعاود الجلوس) الى أين أنت ذاهب ؟

كريس : تعالى . الى ظهر السفينة .

أنّا : (في خيبة) تعنى على ظهر مركب الفحم ؟ (في جفاء) انني لست جنية بحر ! (ثم تلاحظ من نظرته أنه غلب على أمره — فتتكلف ابتسامة) أتظن أن هذا مكان مناسب لفتاة شابة مثلى — أعنى مركب الفحم ؟

كريس : (في كآبة) فعلا — أظن ذلك . (يتردد — ثم يستمر في التوسل اليها أكثر فأكثر) أنت لا تعرفين كم هو جميل أن تكوني على المركب ، يا أنّا . عندما يأتي زورق قطر المركب ونشد الرحال — لا ترين سوى المـاء حواليك ، والشمس ، والهواء الطلق ، والطعام الجيد ، ممـا يجعلك قوية ، صحيحة البدن . ستـرين أشياء لم تشاهديها من قبل . وقد ترين ضـوء القمر في الليل ، والسفن البخارية وهي تعبر ، والمراكب الشراعية وهي تفرد قلاعها — سترين كل ما هوجميل. أنت في حاجة الى راحة كهذه . أنت تعملين أكثر من طاقة فتاة شـابة مثلك . أنت في حاجة الى اجازة ، فعـلا !

أنّا : (التي كانت تصغي في اهتمام زائد — بضحكة مهتزة) ان الأمر يبدو جميلا عندما أسمعك تقول هذا . أنا واثقة بأن رحلة بحرية ستكون على ما يرام . ان فكرة المركب هي التي استوقفتنى . على أية حال ، سأذهب معك وأرى — وربما آخذ الفرصة . يا إلهي ، إننى أود أن أجرى أى شيء مرة واحدة .

كريس : (يتناول حقيبتها من جديد) هيا ؟

أنّا : لماذا هذه العجلة ؟ انتظر ثانية (تنسى لحظة الموقف التي هي فيه ، ثم ترتد الى حالتها المعتادة وتطلق إحدى بسمات المهنة اليه) يا يسوع ، إنني في حاجة لشراب .

كريس : (يضع في الحال حقيبتها — ثم في عجلة) آسف ، يا أنّا ، ماذا تريدين من شراب ؟

أنّا : (على الفور) سآخذ — (ثم تتذكر فجأة — وتتحدث في ارتباك) لا أدرى . ماذا يقدمون هنا ؟

كريس : (مبتسما) لا أظن أنهم هنا يقدمون مشروبات تروق شابة مثلك ، يا أنّا . زعا يوجد جعة الزنجبيل — أو الزرزبيل .

أنّا : (تتكلف ابتسامة) إذن ، أطلب شراب الزرزبيل .

كريس : (يقترب منها — وقد غمز بعينيه) إنني أقول لك ، يا أنّا ، دعينا نحتفي بهذه المناسبة — لأننا نلتقي بعد مضى سنين عديدة . (في شبه همس ، في حرج) لديهم نبيذ . يا أنّا انه يناسبك ، على ما أظن — قليل منه يفتح الشهية — كما أنه ليس قويا . ان كأسا واحدة لا تدير الرأس ، صدقيني .

أنّا : (تتناول حقيبتها — وفي لعثمة وصوت شبه عال) حسن إنني لا أحتمل هذا ! يحسن أن أرحل .

(تدع حقيبتها تسقط ثم تتبعثر نحو كرسيها من جديد ، وتغطي وجهها بيديها وتأخذ في النشيج) .

لارى : (يضع الجريدة جانبا عندما يقترب كريس — مبتسما) حسن ، من هذه الشقراء ؟

كريس : (في فخر) انها أنّا ، يا لارى .

لارى : (مندهشا) ابنتك ، أنّا ؟

(يومىء كريس برأســـه . تنطلق من لارى صفارة منخفضة طويلة بينما يطيح بوجهه بعيدا في ارتبـــاك)

كريس : ألا ترى أنها جميلـــة ؟

لارى : (يتمالك نفسه) بالتأكيد . انها رائعة الجمال كالخوخ !

كريس : حقا ! أعطنى مشروبا بمناسبة عودتها لى — نبيذ لأنّا — انها تحتفي بهذه المناسبة — وقدح صغير من الجعة لى .

لارى : (عندما يحضر المشروبات) قدح جعة صغير لك ، اه ؟ انها بدأت بالفعل إصلاحك .

كريس : (مسرورا) بالتأكيد . (يأخذ المشروبات عندما تسمع خطواته المقتربة ، يجفف دموعها في عجل وتحاول الابتسام . يدخل كريس ويضع المشروبات على المنضدة — ثم يحلق فيها برهة وفي قلق — ثم يربت على يدها) أنت تبدين متعبة ، يا أنّا . حسن ، سأوفر لك راحة طويلة طيبة الآن (يتناول الجعة) تعالى ، اشربي النبيذ ، انها تجدد الحياة فيك (ترفع كأسها — يبتسم) سكول ، يا أنّا ! أنت تعرفين هذه الكلمة السويدية ؟

أنّا : سكول ! (تجرع النبيذ كما لو أنه ويسكى — وشفتاها ترتعشان) سكول ؟ أظن أني أعرف هذه الكلمة جيدا — جيدا !

يســـدل الســـتار

الفصل الثاني

(بعد عشرة أيام . مؤخرة السفينة « سيمون ونثروب » التي كانت محملة بالبضائع أكثر من اللازم ، والتي كانت راسية في ميناء بروفنستاون .

الساعة العاشرة مساء . يكتنف الضباب الكثيف المركب من كل جانب ، وهي تطفو دون حراك على البحر الساكن . ويلقي فانوس معلق على لفة حبل سميك ضوءا باهتا ، غير مستقر على الأشياء القريبة منه . كقطع الصلب الثقيلة التي تثبت حبال قطر أو سحب السفينة ، وغيرها . وفي المؤخرة قمرة ينبعث ضوء المصباح الداخلي باهتا شاحبا عبر نوافذها . وتعلو مدخنة موقد القمرة بضعة أقدام فوق السطح . أما دق الأجراس الحزين الآتي من السفن الراسية في ميناء لونج بوينت « Long Point » فانه يحطم السكون في فترات منتظمة .

عندما يرفع الستار ، نرى أنّا جالسة بالقرب من لفة الحبل الموضوع عليها الفانوس . تبدو في صحة جيدة ، وقد تغيرت وعاد الى وجهها لونه الطبيعي . انها ترتدى معطفا أسود من الشمواه ،ولكنها لا تلبس قبعة . انها تحملق في الضباب نحو مؤخرة السفينة وقد بدا عليها التعجب والرهبة . يفتح باب القمرة ويدخل كريس مرتديا شمواه أصفر ، معطفا ، بنطلونا ، وسويتر — ويرتدى حذاء بحريا) .

كريس : (لا يزال وهج القمرة في عينيه ، فيحدق في بريشة نحو مؤخرة السفينة) أنّا ! (عندما لا يلتقي أى رد ، ينادى ثانية وقد شعر بخوف واضح) أنّا !

أنّا : (تفزع — وقد قامت بحركة بيدها كما لو أنها تريد استمرار السكون . . . ثم تقول في همس مكتوم) أنا هنا . ماذا تريد ؟

كريس : (ينظر اليها في قلق) ألا تدخلى ، يا أنّا ؟ ان الوقت متأخر . . . . بعد دق الأجراس أربعة مرات . يبدو لى أنه ليس من المناسب أن تمكثى هنا ، في الضباب . .

أنّا : ولم لا ؟ (وقد بدت عليهـــا نشوة غريبة) إننى أحب هذا الضباب ! صدقنى ! انه . . . . (تتردد محـــاولة البحث عن كلمة) غريب وساكن . إننى أشعر كما لو أننى بعيدة عن كل شىء تمـــاما .

كريس : (يبصق في اشمئزاز) يا إلهي ! ان الضباب إحدى حيل البحر القـــذرة !

أنّا : (بضحكة قصيرة) ألا زلت تشكو من البحر ثانية ؟ إننى على وشك التعلق بحبه ، رغم أننى لم أر منه سوى القليل .

كريس : (ينظر اليها في كآبة) ان هذا كلام سخيف ، يا أنّا . إذا عرفت البحر أكثر ، لن تتحدثي على هذا النحو . (ثم يلاحظ غيظها ، فيتحدث بنبرة أكثر مرحا) لكنى سعيد لأنك تحبين الحياة على المركب . كما أني سعيد بأنه يجعلك تستعيدين صحتك . (بابتسامة لطيفة) أتحبين الحياة كهذا ، وحيدة مع والدك العجوز ، اه ؟

أنّا : فعلا . كل شيء يبدو مختلفا عن أى شىء عرفته من قبل . والآن . . هذا الضباب . . يا إلهي ، إننى مستعدة

لأى شيء في سبيل رؤيته . ولم يخطر ببـــالى قط بأن الحياة على السفن مختلفة بهذا الشكل عن الحياة على الأرض . إننى أود بحق أن أعمل في البحر ، لو أننى رجل . وليس بغريب أنك تعمل بحارا على الدوام .

كريس : (في عنف) إننى لست بحارا ، يا أنّا . وليس هـــذا بالبحر الحقيقي . . انك ترين فقط الجانب الطيب (عندما لا تجيب ، يستمر في أمل) على أى حال ، إن الضباب سينقشع في الصباح ، على ما أظن .

أنّا : (النشوة تبدو ثانية في صوتها) إننى أحبه . إننى لن أهتم كلية إذا لم ينقشع أبدا . (يتململ محركا قـــدما ثم أخرى في عصبية . بعد فترة صمت تستمر أنّا في بطء) انه يجعلنى أشعر بالنظافة . . هنا بعيدا — كما لو أننى قد أخذت حمـــاما .

كريس : (بعد برهة) يحسن أن تدخلى القمرة — وتقرئي كتابا — ان هذا يساعدك على النوم .

أنّا : لا أريد النوم . أريد البقاء هنا — أفكر في الأمور .

كريس : (يسير مبتعدا عنها متجها نحو القمرة . . ثم يعود ثانية) ان سلوكك غريب هذا المساء ، يا أنّا .

أنّا : (يرتفع صوتها في غضب) قل لى ، ماذا تحاول أن أن تفعل . . أتريد أن تفسد الأمور ؟ لقد كنت مثـــال اللطف معى وأنا بالتأكيد أقـــدر هذا . . . فقط لاتفسد كل شيء الآن . (ثم ، تتكلف ابتسامة عندما تلاحظ الألم على وجه والدها) دعنا نتحدث عن شيء آخر . تعال . اجلس هنا (تشير إلى لفة الحبل) .

كريس : (يجلس بجوارها وهو يتنهد) نحن في ساعة متأخرة من الليل ، يا أنّا . لابد أن الوقت يقترب من الدقة الخامسة للأجراس .

أنّا : (في اهتمام) خمسة أجراس ؟ كم الساعة يعني هذا

كريس : العاشرة والنصف .

أنّا : الغريب أنني لا أعرف شيئا عن لغة البحر . . . ان أولاد العم كانوا يتحدثون على الدوام عن المحاصيل وما شابه ذلك – يا إلهي – كم سئمت هذا الحديث والحياة معهم !

كريس : لاتحبين الحياة في المزرعة ، يا أنّا ؟

أنّا : لقد ذكرت لك مئات المرات أنني أمقتها . (فيإصرار) إن قطرة واحدة من المحيط لأفضل عندي بحق من مزارع العالم ! وأنت ايضا لن تروق لك حياة المزرعة . إنك تنتمى لى هنا . .) تقوم بحركة كاسحة نحو البحر) . ولكن لا على سفينه فحم كهذه ، بل على سفينه حقه تبحر حول العالم .

كريس : (في كآبة) لقد فعلت هذا مرات عديدة ، يا أنّا ، عندما كنت أبله أشر .

أنّا : (في اشمئزاز) أوه ، هذا كلام غير معقول ! (بعد برهة تتحدث وهى سارحه في الفكر) هل كان الرجال في عائلتنا بحارة على الدوام . . . على قدر ما تسترجع ذاكرتك ؟

كريس : (في حدة) فعلا . إنهم بلهاء للغاية ! كل الرجال في

قريتنا على ساحل السويد كانوا يعملون في البحـــر .
ولم يكن هناك شئ آخر أمامهم ليفعلوه . إن والـــدى
مات على ظهر سفينه في المحيط الهندى ، ودفـــن في
البحر . ولم أكن أعرفه الا قليلا . ثم ذهب إخـــوتى
الثلاثة – وكانو أكبر منى سنا – إلى البحر . ثم ذهبت
أنا ، أيضا ، وتركنا والدتنا وحيدة تماما . فماتت بعد
ذلك بقليل – ماتت وحيدة ، إذ أننا جميعا كنـــا في
البحر (يصمت في حزن) ومات اثنان من اخوتى ولم
يعثر عليهما وكانا على قارب صيد ، وهذا نفـــــس
ما حدث لاخويك اللذين غرقا في البحر . أمـــا الاخ
الآخر فانه اقتصد بعض المال ، وترك البحر ومات في
بلدته وفي فراشه . انه الاستثناء الوحيد الذى لم يقتلـــه
البحر ، ذلك الشيطان العجوز . (في تحد) ولكنى ،
أؤكد لك انى سأموت على فراشي على البر ، ايضا !

أنـّا : هل كانوا جميعا بحارة عاديين ؟

كريس : بحارة أشداء ، معظمهم . (في شئ من الفخر) لقـــد كانوا جميعا بحارة مهرة – أما أنا – (بعد تردد لحظة – يقول في حياء) أنا كنت رئيسا للبحارة .

أنـّا : رئيس بحـــارة ؟

كريس : هذا نوع من الضباط .

: أنـّا : يا إلهى ، هذا جميل . وماذا يفعل ؟

كريس : (بعد تردد ثانية ، تغمره كآبة من جديد لخوفه مـــن تحمسها) عمل شاق طول الوقت . انه أمر فظيـــع ،

أؤكد لك ، هذ العمل في البحر . (مصر عـلى أن ينفرها من حياة البحر ــ في طلاقة واندفاع) لقــد كانو جميعا بلهاء ــ كل هؤلاء الرجال في عائلتنا . كلهم يقومون بعمل فظيع في البحــر مقابل لا شئ ــ انهم لايبالون بأى شئ غير تناول أجر كبير يضعونه في جيوبهم ، ثم يسكرون ، ويسرقهم الآخــرون ، ثم يبحرون من جديد في رحلة جديدة . انهم لا يعودون إلى بلادهم ، ولايقومون بأعمال كبقية الناس . ثم البحر ، هذ الشيطان العجوز ، سرعان مايبتلعهــم .

أنّا : (بضحكه مضطربة) انى اعتبرهم مغامرين من نوع طيب . (ثم في عجلة) ولكن قل لى ــ اسمع ــ هل كل نساء العائلة تزوجن بحــارة ؟

كريس : (في لهفة ــ وقد وجد فرصة لتأكيد فكرته) نعم ــ وقد كان هذا أمرا سيئا بالنسبة لهن جميعا . لقد كن لايرين أزواجهن الا كل حين ــ كن يمكثن وينتظرن في وحدة تامة . وعندما يكبر أولادهن يجلسن وينتظرن أكثر وأكثر . (في عنف) ان اى فتاة تتزوج بحارا ، لبلهاء مخبولة ! لو كانت أملك على قيد الحياة لقالت لك نفس الشئ . (يعود الى حالة من التأمل الكئيب) .

أنّا : (بعد فترة صمت ــ برقة) غريب ! إننى أشعر بشىء من الخبل ــ هذا المساء . أشعر بأننى كبيرة السن .

كريس : (لم يفهم ماتريد) كبيرة السن ؟

أنّا : فعلا ــ كما لو أننى كنت أعيش منذ فترة طويلة جدا ــ هنا في هذا الضباب . (تقطب الجبين في اضطراب)

إنني لا أدرى كيف أعبر عما أعنيه بالضبط . انه شعور أشبه بالعودة الى الوطن بعد زيارة طويلة لمكان بعيد . يبدو لى أنني كنت هنا من قبل — عديدا من المرات — في مراكب — في نفس هذا الضبـــاب . (بضحكة قصيرة) لابد أنك تظن أنني جننت .

كريس : (في صوت أجش) أى إنسان ينتابه شعور غريب في هذا الضباب .

أنّا : (في إصرار) ولكن لمـــاذا ينتابني هذا الشعور — كما لو أنني وجدت شيئا كان قد ضاع مني وكنت أبحث عنه — وكما لو أن هذا هو المكان الصحيح الذىيلائمنى ؟ ويبدو أنني نسيت — كل ما حدث — كما لو أنه لم يعد له أهمية . وأشعر بنظافة من نوع ما — نفس الشعور الذى تحسه بعد أخذ حمام . وأشعر لأول مرة بسعادة— فعلا وبحق — أشعر أنني أسعد من أى وقت مضى ! (عندما لا يعلق كريس على هذا اللهم إلا بتنهد عميق ، تستمر في تساؤلها) انه لخبل أن أشعر بهذا ، ألا تظن ذلك ؟ .

كريس : (وفي صوته تطير قاتم) أعتقد أني أبله كبير لأنني أتيت بك إلى السفينة يا أنّا .

أنّا : (وقد تأثرت بنبرة صوته) ان حديثك — يبدو غريبـــا هذه الليلة ، وتتصرف كما لو أنك فزع من شـــيئا ما سيحدث .

كريس : لا يعلم هذا إلا الله ، يا أنّا .

أنّا : (شبه ساخرة) إذن ما يحدث هو مشيئة الله ، كما يقول الوعاظ .

كريس : (يهب واقفا في احتجاج عنيف) كلا ! انه ذاك الشيطان العجوز البحر ، وليس الله ! (في فترةالسكون التي تلت هذا التحدى يسمع صوت نداء أجش ضعيف آتيا من الضباب الى الميناء . « أهوى ! » يصيح كريس فـــزعا) .

أنّا : (تهب واقفة) ما هذا ؟

كريس : (الذى كان قد استعاد رباطة جأشـــه — في خجل) يا إلهي ، لقد أفزعني هذا لحظة . لابد أنه زميل ضــــل طريقه في الضباب ، يا أنّا . وأظن أنه لنش صــــيد تعطلت ماكينته . « الصيحة أهوى » تأتي عبر جــــدار الضباب أقرب هذه المـــدة . يذهب كريس نحو سطح السفينة جهة اليسار ، يبدو أن الصوت آت من هـــذا الجانب . آت من البحر (يضع يديه على فمه على شكل مكبر الصوت ، ويرد الصيحة) « أهوى » هناك ! ما هي المشـــكلة ؟

الصوت : (أقرب هذه المرة ، ولكنه جهة مقـــدم السفينة) الق بحبل عندما نصل في موازاتكم (ثم في غيظ) أين أنت ، يا أزعـــر ؟

كريس : انى أسمعهم يجدفون . انهم آتون من ناحية مقـــدم السفينة ، على ما أظن . (ثم يصيح ثانية) من هـــذه الناحية !

الصوت : حسن ! (هناك الصوت المكتوم للمجاديف وهي في مساندها) .

أنّا : (تكاد تخاطب نفسها – في استياء) لماذا لا يبقى هذا الفتى حيث هو .

كريس : (في سرعة) إنني ذاهب نحو مقدم السفينة . كل الرجال نائمون ما عدا الحارس . لابد أن ألقي بحبل الى هذا الرجل (يتناول لفة الحبل ويندفع نحو مقدم السفينة ، تسير أنّا نحو أقصى المؤخرة كما لو أنها تريد أن تظل بعيدة على قدر الإمكان . تدير ظهرها الى ما يجرى وتحملق بعيدا في الضباب . يسمع الصوت من جديد صائحا « أهوى ! » وكريس مجيبا « من هذه الناحية » – يتلو هذا فترة صمت وتمتمة أصوات منفعلة – وهرج ومرج . يظهر كريس من حول القمرة الى جانب السفينة الأيسر . كان يسند رجلا خائر القوى ، يلبس رداء من قماش الدتغرى وقد أمسك كريس بإحدى ذراعيه ولفها حول عنقه . أما جونسون ، أحد عمال الشحن والتفريغ ، فهو سويدى أشقر سار حذو كريس بأن قدم مساعدته لرجل آخر منهوك القوى . تستدير أنّا لتنظر اليهم . يتوقف كريس برهة ، ثم ينطلق قائلا) أنا ! تعالى وساعدى ، تسمحى ؟ ستجدين ويسكى في القمرة . ان هذين الرجلين في حاجة الى شراب ينعشهما . لقد أوشكا على الموت .

أنّا : (تهرع اليه) طبعا . . ولكن من يكونان ؟ وما هي المشكلة ؟

كريس : زميلان من البحارة ، تحطمت سفينتهما . لقد كانوا أربعة بحارة ظلوا في البحر خمسة أيام في مركب تحطم سطحه — ولم يبق منهم سوى رجل واحد قادر على الوقوف . تعالى ، يا أنّا (تبسقه الى القمرة) ، فاتحة الباب بينما هو وجونسون يحملان الرجلين — يقفل الباب ، ثم يفتح ثانية عندما يخرج جونسون . يسمع صوت كريس صائحا له) هيا ، ياجونسون ، اليك برجل آخـــر .

جونسون : حاضر .

(يخرج . يقفل الباب من جديد . يتعثر مات بيرك وهو يسير نحو الجانب الأيسر من القمرة . يتحرك ببطء وهو يتحسس طريقه في اضطراب وهو يتكيء بيــده اليمنى على جانب السفينة لكى يقف في ثبات . كان عاريا حتى وسطه ، ولا يرتدى سوى سروالا من قماش الدنغرى . هو رجل قوى ، عريض المنكبين ، طوله ستة أقدام ، وجهه وسيم وان كانت به صرامه وفظاظه وجرأة وتحـــد . يبلغ من العمر حوالىالثلاثين ، في أوج قوته العضلية ، عيناه السوداوان ممتقعتان ومسعورتان من عـــدم النوم . عضلات ذراعيهوكتفيه مكدســـه على شكل عقد وحزم ، كما تبرز عـــروق ذراعيه « كالدوبارة » الزرقاء . يصل الى لفة حبـــل قطر السفينة ويجلس عليها في مواجهة القمرة ، وقـــد أحنى ظهره ، ووضع رأسه بين يديه ، في وضع يدل يدل على منتهى الاعياء) .

بـيرك : (يخاطب نفسه في صوت مرتفع) جدف ، أيهـا الشيطان ! (ثم يرفع رأسه وينظر حواليه) ما هـذا القارب ؟ ايه ، نحن في أمان ، على أى حال — بعون الله (يقوم بعلامة الصليب بطريقة آلية . يقبل جونسون على سطح السفينة جهة اليسار ، يسند الرجل الرابع الذى كان يهذى في غير ترابط . ينظر بيرك اليه في ازدراء) أتفقد مالديك من إدراك بسيط ؟ ياكناس السطح ، يا أزعر ! (يمـران من أمامه ويدخلان القمرة ، تاركين الباب مفتوحا — يميل الى الأمام في إعيـاء) إننى منهوك القوى — منهوك القوى تمـاما !

أنّا : (تخرج من القمرة وفي يدها قدح نصفه مليء بالويسكى تفزع عندما ترى بيرك قريبا منها جدا ، وقد وقـع ضـوء الباب المفتوح كاملا عليه . ثم تتغلب على ما يبدو من شعور من النفور ، وتأتي الى جواره) هاك — هاك شراب لك . أنت في حاجه اليه ، على ما أظن .

بـيرك : (يرفع رأسـه في بطء — في ارتباك) هل أنا في حلم ؟

أنّا : اشرب وستجد أن هذا ليس بحلم .

بـيرك : ليذهب الشراب الى الجحيم . . ولكن سأشربه على أية حال . (يجرعه) آه ! إننى في حاجة اليه — انه نوع ممتاز (ينظر اليها باعجاب صريح وبابتسام) إننى لم أقصد الشراب عندما قلت إننى أحلم . . لقد ظننتك حورية من البحر أتت لتسومنى العذاب (يمد يده ليلمس ذراعها) آه لحم ودم بحق ، شيطانة .

أنا : (في برود) (تخطو الى الوراء بعيدا عنه) دعك من هذا

بيرك : لكن خبريني – أليس هذا مركب – أم لا ؟

أنا : بالطبع مركب .

بيرك : وماذا تفعل فتاة جميلة مثلك في هذا القارب ؟

أنا : (في برود) ما عليك من هذا . (تشعر بشيء من السرور رغما عنها) . صدقني انك شخص عظيم – إذ تبدأ المزاح بعد كل ما مررت به .

بيرك : (مسرورا – وفي كبرياء) اه ، هذا لا شيء – انه أمر يسير لرجل شجاع مثلي (يضحك) هذا شيء مألوف في مهنتنا ، ياعزيزتي . (ثم في صوت أكثر جدية ، وان كانت نغمة المباهاة لازالت به ، محاولا كسب ثقتها) لكني لا أنكر أننا نجونا بأعجوبة . كان من الممكن أن نكون في قاع البحر مع ديفى جونز لولاى ، أؤكد لك ، ولولا الشجاعة الكبيرة التي بدت مني لكان السمك يهزأ منا هذه اللحظة !

أنا : (بازدراء) يا إلهي ، انك تكره نفسك ، أليس كذلك؟ (ثم تبتعد عنه في غير مبالاة) حسن ، يحسن أن تدخل وتستريح . لابد أنك تريد النوم .

بيرك : (في ألم . . وقد نهض واقفا في غير ثبات وقد برز صدره إلى الأمام ورأسه قد ألقيت إلى الوراء . . في استياء) أستلقي وأنام ؟ إنني لا أريد غمضة عين بعد هذين اليومين بليلتيهما ، ولا أريد أى راحة الآن . لاتظني أنني مثل هؤلاء الثلاثة الضعفاء الذين كانوا معي

في القارب . في إمكاني أن أحطمهم هم الثلاثة بيـــد واحدة . قد يكونون منهوكي القوى أما أنا فلا . . . وقد كنت أجدف القارب وكل منهم قابع في القـــاع لايقوى على رفع يده في اليومين الأخيرين . . (في غضب ، عندما يرى أن هذا لا يحدث أثرا عليها) وفي إمكاني أن أضرب كل من على هذا المركب ، واحدا بعد واحد ، رغم أني متعب !

أنّا : (متهكمة) يا إلهي ، انك فتى فظ ! (ثم في شيء من الحنان ، عندما تلاحظ أنه يترنح من الوهن) لكن دعك من الحديث عن هذا الشجار . لقد صدقت كل ما قلت . اجلس واسترح هنا ، على أية حال ، إذا لم تكن تريد الدخول الى القمرة (يجلس في ضعف) أنت مرهق للغاية ، لابد أن تعترف بذلك .

بـــيرك : (في عنف) إننى لست متعبا أبدا ! !

أنا : (في برود) ايه ، لاأبالى بعنادك ، كما لاأبالى باللغة التى تستخدمها . ان الرجال الذين أعرفهم لايتكلمون بهذه الفظاظه في وجود سيدات .

بيرك : (ينهض واقفا في غير ثبات . قائلا في غضب) سيدات هو . . . هو فليصلحك الشيطان ! لاتسخرى منى ! ماالذى تفعله السيدات في هذا المركب العتيق ؟ (عندما تحاول أنا الدخول في القمرة يعترض طريقها) على مهلك ، الآن ! اظن انك ستقولين بعد . ذلك انك لست عشيقة هذا السويدى العجوز . . . وانت تعيشين معه في قمرته على الأقل . (عندما يلاحظ على وجهها

تعبير ينم على البرود والعداء ، يغير نبرته الى مرح صاخب) ولكنى منذ أول نظرة اليك وأنا أفكر بأنك بلهاء اذ تضيعين نفسك . . وانت الفتاة اللطيفة الجميلة مع رجل قصير بدين كهذا السويدى العجوز . هناك كثير من البحارة الشبان على استعداد لتقديم دم قلبهم من أجل قبلة منك !

أنا : (في احتقار) شبان ، مثلك ، اه ؟

بيرك : (مبتسما) هذه نفس الكلمات التى أتت على لسانى . . انني الفتى المناسب لك ، اسمحى لى بالقول (بحركة سريعة يحوطها بذراعيه) مهلا الآن ، يازهرة الربيع ! ان رجلك في القمرة ، وانا في حاجة لقبلة لتزيل التعب من عظامى . قبله واحدة ، الان ! (يضمها اليه ، ويحاول تقبيلها) .

أنا : (تقاوم في عنف) دعنى ، أيها الأبله الكبير ! (تدفعه بكل قوتها . بيرك ، في ضعفه وترنحه ، أخذ على غرة ، يسقط على ظهره ، وفي اثناء سقوطه تصطدم رأسه بشدة بجانب السفينة .يظل راقدا هناك ، وقد غلب على أمره لحظة . تقف أنا لمدة ثانية ، تنظر اليه في قلق ، ثم تركع بجواره وترفع رأسه على ركبتها ، وهى تحملق في وجهه لتتأكد من انه على قيد الحياة) .

بيرك : (يتحرك قليلا . . متمتما) اللهم شد من أزرى ! (يفتح عينيه ويرمش بعينيه اليها في اعجاب غامض)

أنا : (تترك رأسه تستند على ظهر السفينه ، وتقف وهى تتنفس الصعداء) انك تعود الى وعيك ، تماما ، آه ؟

يا يسوع ، لقد فزعت لحظة اذ ظننت انني قتلتك .

بيرك : (بصعوبه ينهض في وضع جلوس ــ قائلا بازدراء) قتلتني ؟ ان جمجمتي السميكه يحتاج كسرها أكثر من ضربه بسيطة . (ثم ينظر اليها في اعجاب كامل) لكن ، ياالهي ، ان في ذراعيك الجميلتين قوة فائقة . فلا يوجد رجل في هذه الدنيا يمكن ان يذكر ما تقولينه بأنك رأيت مات بيرك راقدا كما لو أنه فارق الدنيا .

أنا : (في شيء من الندم) لاتذكر هذا . انني آسفه لما حدث ، فهمت ؟ (ينهض بيرك ويجلس على مقعد ، ثم بلهجة صارمة) فقط لايصح لك أن تكون معي بهذه الجرأة . واسمع ، الآن ، لاتدع اى أفكار خاطئة تدور بخلدك . انني في هذه المركب لأنني اقوم بالرحلة مع والدى الذى يعمل قبطانا . الآن تعرف العلاقة .

بيرك : اتعني السويدى العجوز ؟

أنا : نعم .

بيرك : (ينهض . يحدق في وجهها) بالطبع ، كان يجب أن أدرك هذا ، لولا أنني مغفل كبير بالفطرة . لولا هذا ، فمن اين كنت تحصلين على هذا الشعر الأصفر الجميل الذى يبدو على رأسك وكأنه تاج ذهبي .

أنا : (تضحك في سرور) اسمع . . لاشيء يوقفك ، أليس كذلك ؟ (ثم تحاول اتخاذ لهجة صارمة) لكن ألا تظن أنه ينبغي لك ان تعتذر على ماقلت وفعلت منذ لحظة ، بدلا من محاولة المزاح معي بهذا الكلام العاطفي

بيرك : (غاضبا) كلام عاطفى ! (ثم يميل الى الامام نحوها في جدية تامة) حقا ، ولسوف أطلب منك المعذرة آلاف المرات . . وانا راكع ، اذا شئت . انى لم أقصد ماقلت او فعلت (باستياء لمدة ثانية) لكن لا يوجد امرأة في كل موانى العالم سخرت منى مثلما فعلت .

أنا : (في تهكم وسرور) فهمت . انك تعنى ان كل النساء يمتن حبا فيك .

بيرك : (في غيظ — وانفعال) دعك من هذه السخريه ! هذا لأننى ثرت عليك ؟ (في جدية) اننى لاأكذب فيما أقوله عن النساء . (آسفا) ولو أننى مغفل كبير اذ اخطأت فهمك ، حتى في لحظة الغضب ؟ اذ أنماعرفته من النساء منذ ان أصبحت رجلا لايتعدى دائرة نساء الميناء (عندئذ تبتعد أنا عنه ، ويهرول في توسله انى رجل صارم فظ ، وفي ظنى انى لا أستحق أن أقبل كعب حذاء فتاة لطيفة جميلة مثلك . فقط ان جهلى بصنفك من النساء هو الذى جعلنى أخطىءفهمك وهكذا أرجو ان تقبلى عذرى ، بربك وأن نكون من الآن فصاعدا أصدقاء . (بانفعال) اعتقد انى أفضل أن أكون صديقا لك أكثر من أى شيء آخر في هذه الدنيا (يمد يده اليها في حياء) .

أنا : (تنظر اليه في غرابة ، وقلق واضطراب ، وان كانت قد تأثرت وشعرت بسرور على الرغم منها . . . . تمسك يده في تردد) موافقة ، بالطبع .

بيرك : (في مرح الصبيان) باركك الله ! (في انفعاله يضغط على يدها حتى يعصرها) .

أنا : أوه !

بيرك : (يترك يدها بسرعة . . . آسفا) معذرة ، ياآنسة . انى قرد أخرق . (ثم ببساطه – يتأمل ذراعه في مباهاه) ان في يدى قوة عظيمة أنساها أحيانا .

أنا : (تضمد يدها التى « فعصت » ، وتنظر الى ذراعه ، نظرة لاتخلو من أثر الاعجاب) ياالهى ، انك قوى ، تماما !

بيرك : (مسرورا) انى لاأكذب ، ولاداعى لذلك ، فأنامنذ ان كنت صبيا وأنا ادفع ملايين الاطنان من الفحم في فتحة فرن الباخرة . (يربت بكفه على حبل قطر السفينه داعيا إياها) تعالى واجلس الآن ، ياآنسة وسأحكى لك شيئا عن نفسى ، وستتحدثين عن نفسك بعض الشيء ، وفي مدى ساعة سنكون صديقين كما لو اننا ولدنا في نفس البيت . (يجذب كم ردائها في خجل) اجلسى الآن ، من فضلك .

انا : (شبه ضاحكة) حسن . . . (تجلس) لن نتحدث عنى فهمت ؟ خبرنى عن نفسك وعن تحطيم السفينه .

بيرك : (مبتهجا) سأحكى لك ، بالتأكيد . لكن هل لى أن اسألك سؤالا واحدا يحيرنى ، ياآنسة ؟

أنا : (في تحفظ) ايه . . وماهذا السؤال ؟

بيرك : ماذا تفعلين عندما لاتكونين في رحلة مع والدك العجوز ؟

لأنني أظن أن فتاة جميلة مثلك لن تعيش في هـذا القارب على الدوام .

أنّا : (في قلق) كلا . . بالطبع لا . (تتفحص وجهه في ريبة ، خوفا من أن تحمل كلماته تلميحات خفيـة . عندما ترى صراحته البسيطة ، تستطرد في ثقة) حسن ، سأخبرك . إنني مربية ، فهمت ؟ إنني أرعى أطفـال الناس وأعلمهم أشياء كثيرة .

بيرك : (في تأثر) مربية ؟ لابد أنك بارعة ، بالتأكيد .

أنّا : فلنكف عن الحديث عني . حدثني عن تحطيم السفينة ، كما وعدت .

بيرك : (في اهتمام) هذا ماحدث ، يا آنسـة . بعد أسبوعين تعرضنا لعاصفة هوجاء ، أحدثت خـرقا فظيعا في السفينة . وكان القبطان يأمل أن يصل الى بوسطون قبل أن تدمرها خبطة أخرى ، ولكن بعد عشرة أيام قابلنا عاصفة أخرى مثل الأولى ، بل أسـوأ منها . ومكثنا أربعة أيام والأمواج تجرفها من المقدمة الى المؤخرة . لقد كان وقتا فظيعا ، ساعدنا الله . (في فخر) ولولا قوتي الكبيرة التي أحدثك عنها — وأقسم بالله أنهـا الحقيقة — لحدث تمـرد في مستوقد الباخرة . إنني أنا الذى أوقفتهم عند حدهم ، برفسه لواحد وضربه لآخر ، وهم لم يعودا مبالين على الاطلاق بالمهندسين ، ولكنهم كانوا يخشون ضربة من يدى اليمنى أكثر من خوفهم من البحر نفسه . (ينظر اليها في قلق ، وهو في شوق لاستحسان منها) .

أنّا : (تخفي ابتسامة . . وقد سرها هذا التفاخر الصبياني)
لقد قمت بعمل جبار ، أليس كذلك ؟

بيرك : (على الفور) لقد فعلت ذلك ! لقد كانت عملية فظيعة . . الصمود بينما الضعفاء ينهارون . . ولكن كان في هذا خيرا كثيرا لبعض الناس . لقد كانت الثواني الأخيرة كلها هرج ومرج ، كل يناضل لإنقاذ حياته . إنني لا أذكر ماحدث ، ولكن وجدت أننا أربعة في قارب ارتفع بنا فوق موجة كبيرة ونظرت حولى ووجدت ، وياللدهشة ، سفينة ، ورجالا فوقنا .

أنّا : (في صوت مكتوم) إذن ، كل الآخرين غرقوا ؟

بيرك : فعلا ، بالتأكيد .

أنّا : (مرتجفة) يالها من نهاية فظيعة !

بيرك : (يلتفت اليها) انها نهاية فظيعة ربما لهؤلاء التافهين الذين يعيشون على الأرض . لكن لأمثالنا الذين يجوبون البحار ، انها نهاية طيبة ، أؤكد لك . . . نهاية سريعة ونظيفة .

أنّا : (لفت انتباهها استخدام الكلمة) نعم ، نظيفة — هذه هي الكلمة بالضبط — هذا ما يجعلنى أشعر به .

بيرك : أتعنين البحر ؟ (باهتمام) أظن أن هذا يجرى في دمك ، أيضا . ان والدك العجوز لم يكن فحسب — اعذريني — جرذانا لهذه المركب طوال حياته — كما يبدو من هيئته .

أنّا : كلا ، لقد كان رئيسا للبحارة في سفن شراعية لسنين عديدة ، كما أن رجال أسرتنا ، على قدر ما يتذكر ، كانوا بحارة ، كما أن النساء تزوجن بحارة ، أيضا .

بيرك : (في رضى تام) صحيح ؟ ان بهم نخوة . في البحـــر فقط تجدين رجالا شجعان بحق يستحقون الزواج من فتيات جميلات ، مرحات . . (ثم يضيف في نغمة بها شيء من الجـــرأة) ــ مثلك .

أنّا : (ضاحكة) الآن تمـــزح من جديد (وعندما تلاحظ أنها جرحت شعوره ــ تقول في سرعة) لكنك كنت قد بدأت تحدثني عن نفسك . أنت إيرلندى ، يمكنني أن أقول هذا بالطبع .

بيرك : (بقوة) نعم ، والحمد لله ، وان كنت لم أرها منـــذ خمسة عشر عاما أو أكثر .

أنّا : (وهي تفكر) ان البحارة لايكادون يعودون الى ديارهم . . أليس كذلك ؟ هذا ما يقوله والدى .

بيرك : أنه لم يقل كذبا . (في حزن مفاجىء) انها حياة قاسية موحشة ، حياة البحر . ان النساء اللاتي تلقاهن في مواني العـــالم وعلى استعداد للتحدث معك بلطف لسن نساء على الاطلاق . أنت تعرفين هذا الصنف ، الذى يحوى شرذمة شريرة فقيرة ، غفر الله لهن . لاهم لهن سوى سرقة نقـــودك .

أنّا : (تحاول النظر بعيدا ــ ثم تقف ــ في اضطراب) أظن . . . أظن أنه من المستحسن أن أرى ماذا يفعـــل في الداخل .

بيرك : (خائفا أن يكون قد أســـاء اليها . . متوسلا) إننى أطلب منك ألا تدخلى ! هل أسأت اليك بحديثى عنهن لا تهتمي على الإطلاق ! إننى أشعر بارتباك ذهني عندما

يتحتم على أن أتحدث بطريقة لائقة مع فتاة مثلك. ولم لا أشعر بهذا ؟ منذ أن غادرت الديار للعمل كوقاد في السفينة ، هذه هي أول مرة أتحدث فيها مع أمـــرأة مهذبة . لهذا لاتعرضى عنى الآن وقد بدأنا نكون أصـــدقاء .

أنّا : (تلتفت اليه ثانية . . متكلفة ابتسامة ما) إننى لا أشعر بأى مرارة نحوك ، صدقنى .

بيرك : (شاكرا) بارك الله فيك !

أنّا : (تغير الموضوع فجأة) ولكن اذا كنت تعتقد بأن حياة البحر سيئة ، فلماذ لاتتركها ؟

بيرك : (مندهشا) أعمل على الأرض ؟ (تومئ برأسهـــا . يبصق باحتقار) أحفر بالفأس في جذور النباتات العفنه من الفجر إلى المساء على ما أظن ؟ (بحماس) انـــنى لم أخلق لهذا ، يا آنسة .

أنّا : (ضاحكة) ظننت أنك ستقول هذا .

بيرك : (مجادلا) لكن هناك أعمال حسنه وأخرى ســيئة في البحر ، كما هو الحال على الأرض . انى أفكر فيما لو عملت وقادا في باخرة لائقة ، سأتمكن مـــن أن يكون لى بيت صغير أعود اليه أسبوعا من كل أربعة أسابيع . وتراودنى الافكار ان الحظ سيوافينى وأجد فتاة جميلة لطيفة ــ مثلك ، الآن ــ تقبل الزواج منى .

أنّا : (تبتعد عنه وهى تطلق ضحكة قصيرة ــ قائلـــة في اضطراب) ولم لا ؟ ولم لا ؟

بيرك : (يقترب منها — في نشوة) اذن تعتقدين أن فتاة مثلك قد لاتهتم بالماضى على الاطلاق ، بل فقط بما وضعت في نفسى من خير ؟

أنّا : (بنفس النغمة) ولم لا ؟

بيرك : (بانفعال) أقسم انها لن تندم على ذلك. سأكف عندئذ عن الشراب والتسكع ، ولكنى سأعطيها أجرى اليومى وأبقى معها في البيت وديعا كالحمل كل ليلة من ليالى الاسبوع الذى سأمكثه في الميناء .

أنّا : (تأثرت رغما عنها ، وانزعجت لهذه الخطوبـــــة المقنعة — ثم تتكلف ضحكه) كل ما عليك عمله هو البحث عن الفتاة .

بيرك : لقد وجدتهـــا !

أنّا : (شبه خائفة— محاولة طرد الفكرة عن ذهنها بالضحك) وجدتها ؟ متى ؟ ظننت انك كنت تقول . . . .

بيرك : (بجرأة وقوة)هذا المساء . (يدلى رأسه في تواضع) اذا وافقت على الزواج منى . (ثم يرفع عينه إلى عينيها قائلا في بساطة) انى أعنيك أنت .

أنّا : (توقفها نظرات عينه لحظة — ثم تنتفض بعيدا عنـــه وهى تضحك ضحكة متقطعة غريبة) على فكرة . . . هل جننت ؟ تحاول المزاح معى ؟ تتقدم لخطبـــــتى — يا الهى — بعد تعارف قصير كهذا ؟

(يخرج كريس من القمرة ويقف محملقا وعينـــــاه

ترمشان نحو موءخرة السفينة . عندما يتبين له أن أنـــا
تقف ملتصقة بهذ البحار الغريب ، يبدو على وجهـــه
امارات الغضب) .

بيرك : (يتبعها — باصرار عنيف وتوسل) أوءكد لك بأنهـــا
ارادة الله التى نجتنى من العاصفه والضباب وجاءت بى
الى المكان الوحيد الذى توجدين فيه . فكرى في هـــذا
الآن ، أليس غريبا ؟ . . . .

كريس : أنّا (يقترب منهما ، غاضبا ، وقد كز على قبضـــة
يديه) أنّا ، ادخلى القمرة ، سمعت !

أنّا : (وقد تحولت كل عواطفها على الفور إلى غيظ مـــن
لهجة تهديده) أتظن مع من تتحدث . . جارية مـــن
الجـــوارى ؟

كريس : (وقد جرح شعوره — ينهار صوته — في توسل) انت
في حاجة الى راحة يا أنّا . انت في حاجة الى النـــوم
(لاتتحرك . ثم يلتفت الى بيرك في غيظ) ماذا تفعل
هنا ، ايها البحار ؟ لست مريضا كالآخرين . اذهب
الى مقدمة السفينة ، وهناك سيعطونك سريرا لتنـــام
عليه . (مهددا) اسرع ، كما أقـــول !

أنّا : (باندفاع) لكنه مريض . انظر اليه . انه لايكاديقوى
على الوقوف .

بيرك : (يعتدل ويبرز صدره — وبضحكه جريئة) أتصدر
لى الأوامر ، ايها المفترى المستبد ؟ حذار ! بيدواحدة ،

رغم الضعف الذى أشعر به ، يمكننى أن اشقك نصفين وأرمى بأشلائك من على جانب السفينة . . وأشـــلاء بحارتك بعدك . (يتوقف فجأة) لقد نسيت . انـــت والدها ، ولهذا لن أرفع قبضتى عليك مهما كانـــت الأحوال .

(ترتخى ركبتاه ، يترنح وهو على وشك السقوط على ما يبدو . تصدر من أنّا صيحة فزع وتهرع الى جانبه)

أنّا : (آخذة احد ذراعيه فوق كتفها) تعال الى القمرة . يمكنك ان تأخذ سريرى اذا لم يكن هناك اى مـــكان آخـــر لك .

بيرك : (بسعادة ومرح . . بينما يسيران نحو القمرة) الحمد لله ! انك تمسكين بذراعى حول عنقك ! أنّا ! أنّا ! بالتأكيد ان هذا الاسم الحلو يناسبك .

أنّا : (تسير به في حذر) اش ! اش !

بيرك : أتريدين أن أسكت ؟ لا ، بكل تأكيد . سوف أصيح باسمك كما لو انه نفير يحذر من ضباب البحـــر ! انت فتاتى ، وسوف نتزوج عن قريب ، ولن أبالى باخفاء هـــذا .

أنّا : (بينما هى تسير به نحو باب القمرة) اش ! دعك من هذا الحديث . اذهب الى النوم .

(يختفيان في القمرة . اما كريس الذى كان يستمع الى آخر كلمات بيرك فاغرا فـــاه من الدهشة ، فيقف يتبعهما بنظراته وهو لا يستطيع أن يفعل شيئا) .

كريس : (يلتفت فجأة ويهز بقبضة يده مشيرا الى البحر . . وفي كراهية مريرة) ان هذه لعبتك القذرة ايها الشيطان العجوز ، انت ! (ثم في غضب مسعور) ولكن ، بالله ، لاتفعل ذلك ! بينما أنا على قيد الحياة ! لا ، بالله ، لاتفعل !

تسدل الستار

الفصل الثالث

(داخل قمرة في سفينة الشحن سيمون ونتروب ، وهي راسية في مرفأ بوسطون ، حجرة ضيقة ذات سقف منخفض ، حيطانها مطلية باللون البني الفاتح مع كنار أبيض . وفي الخلف جهة اليسار باب يفضي إلى أماكن النوم . وفي أقصى الركن الأيسر خزانة (دولاب) كبيرة مطلية باللون الأبيض ، على بابها مرآة معلقة بمسمار . وفي الحائط الخلفي أيضا نافذتان صغيرتان مربعتان ، وباب يؤدى الى ظهر السفينة جهة المؤخرة . وفي الحائط الأيمن نافذتان أخريان يطلان على ظهر السفينة من جهة جنبها الأيسر . وفي وسط القمرة منضدة وكرسيان من الخيزران . وبجوار المنضدة كرسي قش هزاز ، مطلى باللون البنى وفي حالة متهالكة .

وفي عصر يوم مشمس بعد أسبوع من الفصل السابق . ومن الميناء وأحواض السفن ، وفي صوت كتمة الباب والنوافذ المغلقة ، نسمع صفارات البواخر والآلات التي تنفث دخانها من سفينة تنزل شحنتها من مكان قريب .

عندما ترفع الستار يظهر كريس وأنّا . أنّا جالسة على الكرسي الهزاز بجوار المنضدة وفي يدها صحيفة يومية . لم تكن تقرأ بل كانت تحملق أمامها وقد بدا أنها مضطربة ، تعسة ، وأنها تركز على أفكارها وهي مقطبة الجبين . كريس يروح ويجيء في الغرفة وهو يرمقها بنظرات سريعة قلقة ، ثم يتوقف في شرود موجها نظرة خارج النافذة . تكشف حالته قلقا حزينا طاغيا جعله على أحر من الجمر . يتظاهر بأنه

يرتب الأشياء بطريقة مألوفة في السفن ، ولكن هذا العمل كان مقصورا على تناول بعض الأشياء ، الحملقة فيها في بلاهة لمـــدة ثانية ، ثم بلا هدف أعادتها إلى مكانها من جديد . يتنحنح حتى « يسلك » صوته ، ويأخذ في الغناء في صوت خفيض حزين « ياحبيبتى جوزفين ، تعالى إلى ظهر السفينة ، لقد طال انتظارى ») .

أنّـا : (تلتفت اليه ، في تهكم) إننى مسرورة إذ أن شخصا ما يشعر بالمرح ، (في اعياء) آه ، أتمنى أن نترك سفينة الشحن هذه ، ونعود إلى نيويورك .

كريس : (متنهدا) وأنا أشعر بالسعادة عندما نبحر ثانيـــة (عندما لاتعلق على كلامه يستمر في محاولة خـــرقاء في التهكم) إننى لا أفهم لمـــاذا لاتحبين بوسطون ، على الرغم من كل شيء . أنت تقضين وقتا ســـعيدا هنا ، على ما أظن . لقد كنت تنزلين إلى الشاطىء طوال الوقت ، كل يوم وكل ليلة من الأسبوع الذى قضيناه هنا . كنت تذهبين إلى السينما وتشاهدين العـــروض وتتمتعين بكل ألوان التسلية . . . (وعيناه بهما كراهية عنيفة) وكل هذا مع هذا الأيرلندى الملعون !

أنّـا : (بازدراء ووهن) أوه ، بربك ، لاتعاود الحديث عن هذا ! أى ضرر في خروجي معه للفسحة ؟ أتريدني أن أجلس معك في القمرة طوال الليل والنهار — وأنهمك في التطريز ، أليس لى حق في أن أتمتع بوقتى على قدر ما أستطيع ؟

كريس : ليست هذه هي المتعة السليمة . . . كلا ، ليست مع هذا الشـــاب .

أنّا : ألم أعد إلى السفينة كل ليلة قبل الحادية عشرة . . . أليس كذلك ؟

(وقد ذهلت لخاطر مـــر بذهنها — فتنظر اليه في ريبه حادة وغضب متزايد) على فكرة ، ماذا تعنى .ممـــا قلته الآن ؟

كريس : (في عجلة) لا أعنى أكثر ممـــا قلت ، يا أنّا .

أنّا : لقد قلت « ان هذه ليست المتعة السليمة » وقلت هـــذا بطريقة غريبة اسمع ، أتحاول الايحاء بأن هناك علاقة غير سليمة بيننا — أتعنى هذا ؟

كريس : (فزعا) كلا ، يا أنّا ! كلا ، وأقسم بالله بأن هذا لم يخطر ببـــالى أبدا .

أنّا : (وقد هدأت من صدقه الواضح للغاية — ثم تعـــاود الجلوس) ايه ! لا تجعل هذه الأفكار تخطر ببـــالك ، حفظا على العلاقة التي بيننا . (في غضب ثانية) إذا ما خطر لى أنك فكرت في هذا ، لتركت هذه السفينة على وجه السرعة ، ولن تراني بعد ذلك أبدا .

كريس : (ملاطفا) هذا لن يخطر ببالى . . . (ثم فترة صمت قصيرة ويقول مؤنبـــا) . : لقد بدأت تتعلمين السباب. ان هذا لا يليق بفتاة ، أليس كذلك . ؟

أنّا : (بابتسامة باهتة) معذرة . أعلم أنك لم تعتد هذه اللغة . (في سخرية) لكن هذا ما فعلته حياة البحر التي جئت بي اليهـــا .

كريس : (غاضبا) كلا ، لست أنا ، بل إنه هذا البحار الأيرلندى اللعين الذى علمك أشياء سيئة .

أنّا : أنه ليس بحارا . انه وقاد في السفينة .

كريس : (بعنف) هذا أسوأ ملايين المرات . أؤكد لك أن هؤلاء الوقادين الذين يحرقون الفحم لأقذر وأشرس وأسوأ الناس في الدنيا ! .

أنّا : إننى لا أود أن أسمعك تقول هذا الكلام لمات بيرك .

كريس : أوه ، إننى أقول له نفس الشيء . لاتظنى أننى أخافه لمجرد أنه أقوى منى . (مهددا) إن الإنسان لايتشاجر بقبضة يده مع مثل هؤلاء الناس . هناك طرق أخرى لتسوية الأمور معهم .

أنّا : (تنظر اليه في فزع مفاجىء) ماذا تعنى ؟

كريس : (في كآبة) لا شيء .

أنّا : يحسن الا تفعل شيئا . لو كنت مكانك لما بدأت بأى نزاع معه . قد ينسى يوما ماأنك عجوز وأنك والدى وعندئذ سيكون حظك سيئا .

كريس : (بكراهية مستعرة) دعيه فحسب ! قد أكون رجلا عجوزا ، لكنى أؤكدلك انني سوف القنه درسا أو درسين .

أنّا : (تغير من لهجتها فجأة ــ محاولة اقناعه) أوه ، تعال كن طيبا . ماالذى يضايقك ، على أى حال ؟ ألا تريد اى شخص ان يكون لطيفا معى ، سواك ؟

كريس : (وقد هدأ ــ مقتربا منها ــ وفي لهفة) نعم ، أود ياأنّا الا البحارة . انى أود ان تتزوجى رجلا مستقرا

في عمل على الارض ، وأن يكون لك بيت ريفى صغير

أنا : (تنهض واقفه . . وفي سرعة) أوه ، دعك من هذا الحديث ! (بازدراء) بيت ريفى صغير ! ياليتك رأيت البيت الريفى الصغير الذى حبستنى فيه حتى سن السادسة عشرة ! (في غيظ متزايد) يوما ماستجعلنى أجن من جراء هذا الحديث ، وحينئذ سأنفجر فيك وأخبرك بأشياء كثيرة ستفتح عينيك على أمور كثيرة .

كريس : (فزعا) لا أريد . . .

أنا : انى أعرف انك لاتريد ؟ لكنك تستمر في الحديث على نفس المنوال .

كريس : اذن ، لن اتحدث بعد ذلك ، يا أنا .

انا : اذن ، عدنى أنك ستكف عن ذكر أشياء تسىء الى مات بيرك كلما سنحت لك الفرصة .

كريس : (مراوغا ، وفي شك) لماذا ؟ هل تميلين الى هذا الفتى تميلين اليه كثيرا ، ياأنا . ؟

أنا : نعم ، بالتأكيد . انه رجل بحق ، على الرغم مما به من اخطاء . ان اصبعا واحدا منه ليساوى مئات الرجال الذين قابلتهم هنا . . . على الارض .

كريس : (يغير وجهه) ربما تظنين انك تحبينه ، اذن ؟

أنا : (في تحد) وأى غضاضة في هذا ، لو كان صحيحا ؟

كريس : (متجهما وهو يضغط على الكلمات) وربما تظنين انك ستتزوجينه . ؟

أنا : (تهز رأسها) كلا ! (تظهر على وجهه امارات الارتياح. وتستمر أنا في بطء، وفي صوتها نبرة حزينه) اؤكد لك انه لو انني قابلته منذ أربعة أعوام وحتى عامين — لطرت فرحا لهذه الفرصه، واتمنى ذلك الآن — لولا انه انسان بسيط — طفل كبير — وليست لدى الشجاعة لأن اخدعه (فجأة تضع نهاية لهذا الحديث) لكن لاتقل ابدا انه غير جدير بى، إننى أنا التى لاأستحقه.

كريس : (يزمجر في ازدراء) يالهى، اعتقد أنك جننت !

أنا : (في ضحكة حزينة) ايه، ظننت انى عدت الىطبيعتى القديمة في الأيام القليلة الماضية (تذهب وتأخذ شالا كان معلقا على مشجب بالقرب من الباب وتطرحه على كتفها) اظن اننى سأمشى حتى نهاية حوض السفن لبرهة لأى مايجرى هناك. انني أحب مراقبة السفن وهى تمر. أظن ان مات سيحضر بعد قليل. ارجوك ان تخبره بمكانى .

كريس : (في كآبة) حاضر، سأخبره .

(تخرج أنا من الباب الخلفي . يتبعها كريس ويقف على ظهر السفينة لحظة ينظر اليها . ثم يعود إلى القمرة ويقفل الباب . ثم يطل من النافذة ويتمتم « أنت . . . أيها الشيطان العجوز » ثم يعود إلى المنضدة ، وبطريقة آلية يرتب المفرش ، ويلتقط الجريدة اليومية التي كانت قد سقطت على الأرض من أنا ، ثم يجلس على الكرسى

الهزاز . يحملق لبرهة في الصحيفة ثم يضعها على المنضدة ويخفي رأسه بين يديه ويتنهد في حزن . ثم يسمع طرق عال على الباب . يفزع كريس وتبدو منه حركة تنم على أنه كان سيهم بالنهوض وفتح الباب — لكنه تردد ومكث في مكانه . يتكرر الطرق على الباب — وعندما لا يجيب أحد يفتح الباب عنوة على مصراعيه ويبدو منه مات بيرك ، يتجهم وجه كريس لرؤية هذا الدخيل وبطريقة غريزية تتحرك يده نحو غمد السكين المعلقة أعلى فخذه . يرتدى بيرك بدلة زرقاء رخيصة ، وقميصا قطنيا مخططا ، وياقة سوداء ، وحذاء قد لمع منذ برهة . تشع من وجهه روح مرحة طيبة) .

بيرك : (عندما يرى كريس . . . في نغمة مرحة فيها شيء من التهكم) ياه ، بارك الله من هنا ! (ينحني ويضغط بجسمه حتى يمر من مدخل الباب الضيق) وكيف حال الدنيا معك عصر هذا اليوم ، ياوالد أنّا ؟

كريس : (في تجهم) لا بأس . . لولا وجود بعض الناس .

بيرك : (ببسمة فاترة) تعنيني أنا . . . أليس كذلك؟(يضحك) حسن ، لولا أنك رجل عجوز غريب الأطوار ! (ثم في اتزان) أين هي ؟ (يجلس كريس دون كلام عابسا وهو يتجنب النظر اليه . يغتاظ بيرك من سكوته) أين أنّا . . . إنني أوجه اليك السؤال ؟

كريس : (في تردد . . . ثم مزمجرا) لقد ذهبت تتمشى حتى نهاية المرفأة .

بيرك : سأتبعها ، إذن . لكن أولا أظن أنني سأنتهز الفرصة لأتحدث معك ونحن على انفراد . (يجلس إلى المنضدة مواجها كريس ومنحنيا نحوه)وهذا الحديث لن يستغرق وقتا . إنني سأتزوج ابنتك أنّا قبل انتهاء هذا اليـــوم ، وعليك أن تهيء ذهنك لهذا ، سواء رغبت أو لم ترغب

كريس : (يحملق فيه في كراهية ، وبضحكة مصطنعة فيها شيء من الازدراء) هو . . هو ! هذا كلام من السهل قوله !

بيرك : أتعني أنني لن أتمكن ! (في استخفاف) أتظن أن أمثالك سيمنعونني ؟

كريس : نعم . . سأمنع هذا ، حتى ولو أدى ذلك إلى أســـوأ العواقب .

بيرك : (في شفقة واستخفاف) كان الله في عونك !

كريس : لكني لست في حاجة الى هذا . . . انها أنّا . . .

بيرك : (يبتسم في ثقة) أتظن أن أنّا هي التي ستمنعني ؟

كريس : نعـــم .

بيرك : وأنا أؤكد لك أنها لن تفعل ذلك . انها تعلم حبي لها ، كما أعلم حبها لي .

كريس : هو . . هو ! انها تقضي وقتا سعيدا فحسب . هي تهزأ بك ، هذا كل ما في الأمر !

بيرك : (في غير تأثر . . وبلطف) أنت كذاب أشر . ليصلح الشيطان من أمرك ! .

كريس : كلا ، إنني لا أكذب . لقد قالت هي ذلك قبـــل خروجها مباشرة . . قالت إنها لن تتزوج شخصا مثلك.

بيرك : لن أصدق هذا . انك رجل عجوز كذاب كبير ، ومثل الشيطان إذا واتتك الفرصة ستثير نزاعا كبيرا بيننا . إنني لا أسعى إلى هذا النزاع وأنا أجلس أمامك. (في اتزان) دعنا نتحدث الآن حديث رجل إلى رجل. أنت والدها ، ومن العار أن يهب أحدنا في خنـــاق الآخر ، كما يحدث بين كلبين متشاجرين ، وأنا متزوج من ابنتك . وحياتك قل لى الحقيقة . ماالذى تأخـــذه على ؟

كريس : (وقد هـــدأ بعض الشيء رغما عنه ، لمـــا رآه من صدق بيرك الواضح . . ولكنه يقول في حيرة وريبة). حسن ، إننى لا أريد أن تتزوج أنّا . اسمع ، أيهـــا الفتى : إنى رجل عجوز لم أر أنّا منذ خمسة عشر عاما . انها كل مالى من الدنيا . والآن بعد أن أتت في رحلة لها . . أتظن أننى أريد أن تتركنى وحيدا مـــرة ثانيـــة ؟

بيرك : (في اخلاص) لاتظن أننى لا أقـــدر مشاعرك .

كريس : (مندهشا ، ومتشجعا . . ومحاولا أن يقنعه في شيء من التوسل) إذن ، أفعل ما هو صواب . . ارحل واترك أنّا وشأنها . . (متملقا) إن شخصا كبيرا مثلك يعمل بحارا ، لا يحتاج إلى زوجة . انك تجد فتاة جـــديدة في كل ميناء ، وأنت تعرف ذلك .

بيرك : (غاضبا لبرهة قصيرة) قاتلك الله ! (ثم يتمالك نفسه ويقول في هدوء) لن أقول انك تكذب في هذا . لكن فلتذهب الى الجحيم ان لم تكن تعرف ان كل

انسان ، سواء في البحر او البر ، يأتى عليه يوم . .
هذا اذا لم يكن أبله بالفطرة . . . يشعر فيه بالسأم
من أبقار الموانى المترهلات ، وبكل قلبه بحثا عن فتاة
لطيفة ، وأن يكون له بيت يربى فيه أولاده . . .
لاجدوى من أن تدعونى ان اترك أناّ . انها المرأة
الوحيدة التى تصلح لى في هذه الدنيا ، واعتقد انى
لااستطيع الحياة بدونها .

كريس : أؤكد لك انه ستنسى كل شيء عنها في بحر اسبوع
من مغادرتك الميناء .

بيرك : أنت لاتعرف أمثالى من الرجال . ان الموت نفسه لن
يجعلنى انساها . اذن ، لاداعى للكلام عن تركها .
لن أتركها ، وعليك اللعنة ! ان الامر فيما يتعلق بك
لن يكون سيئا ، كما تتصور . ستعيش ، بعد زواجنا
في نيويورك ، وستراها كثيرا . . . اكثر مما كنت
تراها في الخمسة عشر عاما التى أمضتها في الغرب .
انه لشيء غريب ان تثير هذه الضجة حول تركها لك
في الوقت الذى لم ترها عيناك ولو مرة واحدة تلك
السنوات !

كريس : (وقد شعر بالذنب) لقد ظننت أنه من الأفضل لها
ان تظل بعيدا في الأرض اليابسة ، عن معرفة البحر ،
هذا الشيطان العجوز .

بيرك : (بازدراء) أتعاود إلقاء اللوم على البحر لمتاعبك ،
ساعدك الله ، ايه ، أناّ تعرف البحر الآن . انه يجرى
في دمها ، على أية حال .

كريس : وأنا لاأريدها أن تعرف أبدا . . . أى شخص يعمل في البحر . . .

بيرك : إنها تعرف واحدا الآن .

كريس : (يضرب المنضدة بقبضة يده في عنف) هذه هى المشكلة . . . انك لاتصلح ، انك بحار ! اتظن انى ارضى ان تشقى في حياتها بسببك ، كما شقيت أمها بسببى ؟ كلا ، وأقسم بالله انها لن تتزوجك حتى ولو ادى هذا لأن اقتلك !

بيرك : (بنظر مندهشا . . ثم يضحك بصوت عال) هو . . . هو ! يالله ! انه لكلام جرىء من رجل قزم مثلك .

كريس : (مهددا) حسن . . سترى !

بيرك : (في تحد وفتور) سأرى بالتأكيد ! سأرى اننى سأتزوج انا اليوم ، هذا ماأوكده لك ! (ثم في غيظ مشوب بالاستخفاف) انه لغريب ان تهذى كالأبله حول مافعله لك البحر . ينبغى عليك ان تشعر بالخجل من هذا الكلام ، وأنت نفسك بحار عجوز . اننى سأسمع الكثير منك حول هذا ، ومن أنا وهى تروى عنك . انى أراك انسانا ضعيفا مسكينا ، ولست برجل على الاطلاق ! .

كريس : (في غموض) سترى اذا ماكنت رجلا . . . أسرع ما تظن .

بيرك : (في ازدراء) ياه ، لاتنباه . يبدو لى أن الرعب من البحر قد اطار صوابك . أتريد أن تتزوج أنا فلاحا ،

كما قالت لى ؟ بالتأكيد سيكون هذا زوجا جميلا !
أتريد لفتاه مثلى أنا" ان ترقد في المساء مع رجل قصير الذيل به آثار الوحل وتنبعث منه رائحة الخنازير وروث البهائم ؟
أم تريدها أن ترتبط طوال حياتها بأحد هؤلاء الرجال الضامرين الذين يعملون في المدن ؟

كريس : هذا كذب ، أيها الأحمق !

بيرك ، كلا . انني اردد افكارك الحمقاء . ولكنك تعرف الحقيقه في قرارة نفسك حتّى ولو كان خوفك الشديد من البحر قد جعل جعل منك كذابا جبانا . (يضرب المنضدة بشدة) ان البحر هو الحياة الوحيدة لرجل ذى شجاعة لايهاب ظله ! انه لايشعر بالحريه الا في البحر ، وهو يجوب الدنيا ويرى الأشياء كلها ، غير مبال على الاطلاق بتوفير النقود ، او السرقة من اصدقائه ، او بأى حيل كالحه كالتى يضيع العامل الارض حياته فيها . لقد كنت تدرك هذا يوما ما ، وأنت رئيس البحارة لسنين عدة .

كريس : (بانفعال ودون ترابط من شدة الغضب) انت مخبول أبله . . . . . أؤكد لك !

بيرك : لقد استسلمت للبحر . لقد وجه اليك لطمة طرحتك ارضا ، وليست بك من الرجوله لتنهض استعدادا للطمة أخرى ، بل انك ترقد طوال حياتك تعوى بأن هذه جريمة قتل شنعاء . (في زهو) ألم يكد البحر يغرقنى بعد أن حطمنى وهد كيانى حتى كدت أبلغ مشارف الجحيم لدرجة أننى كنت اسمع زئير لهيبها ،

ولم تنطلق مني قط آهة حتى استسلم البحر بعد أن رأى مالدى من شجاعة وقـــوة ؟

كريس : (في ازدراء) نعم ، لقد كنت فتى رهيبا ، على حد قـــولك !

بيرك : (غاضبا) قد لاتصدق ما اقوله في اغلب الاحيـــان ، ايها العجوز الخرف . ألم تنشر صحف بوسطون مـــن اسبوع مضى القصة كامله وبها صورى ؟ (ينظر الى كريس في استخفاف) أتمنى بالتأكيد لو أنسـك في ريعان شبابك لأرى اذا كنت تقارع العاصفة ، كما فعلت أنا . لوحدث هذا لاصابك الجنون ولكنـــت تصرخ الآن من الخـــوف .

كريس : هو . . هو ! انت شاب أبله ! لقد مرت أيام زمان عندما كنت اعمل على سفينة شراعية بمثات العواصف التي كانت أفظع من هذه . لقد كانت السفن سفنـــا حقا . . والبحارة رجالا حقا ! والآن ما الذى تراه على البواخر ؟ انت ترى على السفن أناسا لايفرقـــون بين السفينة والقارب الذى يحمل روث الابقار (يرمـــق بيرك بنظرة ذات معنى) وفي قاع السفينة ترى رجالا لايعرفون غير غرف الفحم وجمعه بالرفش ، تمامـــا كمن يعبئون الفحم في عربات على الشاطئ ! .

بيرك : (وقد لسعه هذا الكلام . .غاضبا) أترمى بهـــذه الاهانات على الوقادين أيها القرد العجوز ، قاتلك الله ! انواحدا منهمليساوى عشرة منهؤلاء الاسكندنياوين القذرين الذين يجعجعون ولا يفعلون شيئا . !

كريس : (وقد ظهرت على وجهه علامات الغضب ، وامتدت يده الى غمد السكين المعلقة على أعلى فخذه) أيهـــا الخنزير الايرلندى .

بيرك : (موبخا) ألا تحب الايرلنديين أيها العجوز ! أؤكـد لك ان هذا ما تحتاجه اسرتك . . رجل ايرلندى ووقاد . . حتى يبعث فيها الشجاعة حتى لايكون احفـادك جبناء رعاديد مغفلين مثلك !

كريس : (نصف قائم من كرسيه . . . وقد غص حلقه من الغضب) حـذار !

بيرك : (يراقبه بإمعان . . وعلى شفتيه بسمة ساخرة) سـيتم هذا ، مهما حاولت منعه ، أعنى سأتزوج أنـا اليوم ، ولن يقف في سبيلنا عجوز أبله مثلك ، ما دمت قـد عقدت العـزم على ذلك .

كريس : (بصيحة فظة) لن تفعل هذا ! . .

(يلقي بنفسه على بيرك ، والسكين في يده ، وقد دفع بكرسيه إلى الوراء . ينهض بيرك على قدميه بسرعة كافية لمواجهة الهجوم . يضحك ضحكة المولع بالقتال ، وقد بدأ السويدى العجوز كطفل بين يديه . لم يضربه أو يسيء اليه على أية حال ، لكنه فقط لوى يده اليمنى وراء ظهره وأرغمه على التخلى عن السكين التي بين أصابعه . يلقي بالسكين في ركن بعيد من الغرفة . . في استهزاء) .

بيرك : ان كبار السن الذين يتصرفون كالصبية لا يجب أن يلعبوا بالسكاكين . (جاعلا بينه وبين كريس ، الذى

لايزال يقاوم ، مسافة ذراع . . ثم مندفعا في غضب وقد رفع قبضة يده) إنني أود ضربك . . ضربةشديدة تعيد الصواب لعقلك . ابتعد عنى الآن . إنني أحذرك !
(يدفع كريس ببطن يده مما يجعل السويدى العجوز يترنح حتى يستند الى حائط القمرة ويظل واقفا يلهث بشدة ، وقد ثبت نظره على بيرك في كراهية ، كما لو أنه يستعيد قواه للهجوم مرة ثانية . محذرا (والآن أقول لك ، لاتقترب ثانية ، وإلا طرحتك أرضا بضربة ، على الرغم من كونك والد أنّا ! لقد نفد صبرى معك (ثم بضحكة مرحة) ايه ، انك رجل عجوز شجاع رغم كل ما حدث ، ولم أتصور قط أنك ستنازلنى بمفردك . . .

(يمرق ظل عبر نوافذ القمرة . يفزع كلا الرجلين تظهر أنّا في المدخل) .

أنّا : (في سرور ودهشة لرؤية بيرك) مرحبا ، يامات . هل جئت الى هنا على التو ؟ لقد كنت هناك . . . . . (تقف ، وهي تنظر من واحد إلى الآخر ، وقد شعرت في الحال بأن شيئا ما قد حدث) ما الذىجرى ؟ (ثم تلاحظ الكرسي المقلوب في فزع) ما الذى قلب هذا الكرسي ؟ (تتجه إلى بيرك معاتبة) لم تكن تتشاجر معه ، يامات . . بعد وعدك لى ؟

بيرك : (وقد استعاد هدوءه) إنني لم أمسه بسوء يا أنّا . (يذهب ويلتقط الكرسى ، ثم يلتفت إلى أنّا التي لاتزال تتساءل . وببسمة مطمئنة) لا تقلقي على

الاطلاق . ان الأمر لم يتعد جدالا بيننـــا لتمضية الوقت حتى تحضرين .

أنـّا : لابد أنه جدال من نوع ما . . جدال يصل بكما الى حد القـــاء الكراسي ! (تلتفت إلى كريس) لمـــاذا لاتقول شيئا ؟ ما الذى حدث ؟

كريس : (في استرخاء آخر الأمر – متجنبا نظراتها – وفي خجل) كنا نتحدث عن السفن والبحارة .

أنـّا : (وقد ابتسمت في ارتياح) أوه ، الحكاية القديمة ، أليس كذلك ؟

بيرك : (وقد وصل الى قـــرار جرىء على حين غـــرة . . . ببسمة فاترة نحو كريس) انه لم يذكر لك كل ماحدث لقد كنا نتحدث عنك معظم الوقت .

أنـّا : (مقطبة الجبين) عنى ؟

بيرك : وستسمعين هذا الحديث هنا ، الآن ، وفي وجودك ، إذا شئت .

(يجلس إلى يســـار المنضدة) .

أنـّا : (تنتقل ببصرها منه إلى أبيها . . في حيرة) نعم ، قل لى الحكاية كلها .

كريس : (يتقدم نحو المنضدة . . محتجا على بيرك) كلا . . لاتفعل هذا ، يا أنت ! أخبريه يا أنـّا بأنك لاتريدين سماع كلامه .

أنـّا : لكنى أريد . أريد تصفية الموقف .

كريس : (والآن وقد شعر بخوف مشوب بالبؤس) ليس الآن ،

على أية حال . أنت ذاهبة إلى الشاطىء ، أليس كذلك؟ ليس لديك الوقت . . .

أنّا : (في حـــزم) الآن وهنا : أخبرني يامات ، ما دام لا يريد هو أن يتحدث .

بيرك : (يأخذ نفسا عميقا . . ثم يندفع في جـــرأة) هاك الحكاية في كلمات قليلة . ورغم أنه بالتأكيد يكره أن يراني ، فقد أخبرته على كره منه بأنني أحبك . (بعاطفة) والله شاهد على ما أقول ، يا أنّا ، وأنت تعرفين ذلك !

كريس : (في ازدراء . . بضحكة متكلفة) هو . . . هو ! انه يقول نفس الشيء لكل فتاة يلقاها في كل ميناء .

أنّا : (تنفر من والدها . . وتقول في استياء) اسكت ، هلا فعلت ؟ (ثم الى بيرك . . بعاطفة) أنني أعرف أن ما تقوله هو الصدق ، وأنني لا أبالى بمـــا يقول .

بيرك : (في تواضع وامتنان) باركك الله !

أنّا : ثم ماذا . . ؟

بيرك : ثم . . (في تردد) ثم قلت (ينظر اليها في توسل) قلت إنني متأكد . . . قلت إننى أظن أنك تشعرين ببعض الحب لى ، أيضا (في عاطفة) قولى إنك تحبيننى يا أنّا ! بربك لاتحطميني (يمسك بكلتا يديها بشـــدة) .

أنّا : (وقد تأثرت تأثرا عميقا واضطربت . . . ثم بضحكة متكلفة مرتجفة) إذن ، قلت له ذلك ، يامات ؟ لاعجب أنه جن جنونه . (تتكلم بصعوبة) ربمـــا كان هـــذا

صحيحا ، يامات . ربمـــا أحبك ، إنني أعترف بهذا . . لقد حاولت أن أضع حدا لهذه العلاقة . . لكنني (تضحك في استسلام) أظن أنه ليس بوسعي أن أحول دون ذلك . لهذا فانني أعتقد أنني أحبك ، يامات (ثم بتحد مفاجيء وفرحة) نعم ، أحبـــك بالتأكيد ، يامات !

كريس : (بصيحة ألم) أنّا (يجلس منهارا) .

بيرك : (بصدق عميق وهو يعترف في تواضع بالامتنان) شكرا لله ! الحمد لله !

أنّا : (مؤكدة) ولم أحب إنسانا قط في حياتي من قبل . . . كن واثقا من هذا على الدوام . . مهما يحدث .

بيرك : (يتقدم نحوها ويضمها بين ذراعيه) بالتأكيد إنني أثق بكل كلمة قلتها أو ستقولينها . وسنحيا ســويا حياة عظيمة جميلة حتى نهاية العمر ! (يحاول أن يقبلها . في البداية تزيح رأسها بعيدا . . . ثم بعد أن استولت عليها رغبة جامحة من الحب العنيف تأخذ رأســه بين يديها وتمسك بوجهه بالقرب من وجهها وهي تحملق في عينيه . ثم تغمره بقبلات على شفتيه) .

أنّا : (تزيحه بعيدا عنها . . . وهي تتكلف ضحكةمتكسرة) وداعا !

(تســير نحو المدخل جهة اليسار . . وتقف موليــة ظهرها لهما ، وهي تنظر الى الخارج . ترتعش كتفاها مــرة أو مرتين كما لو أنهما يقاومان شهقاتها) .

بيرك : (وهو في قمة السعادة غير قادر على إدراك معنى كلمتها . . ثم يقول ضاحكا) وداعا ، أتقولين ذلك ؟ لبئس ماتقولين ! سأعود اليك بعد لحظة من أجل المزيد مما نعمت به . (الى كريس الذى كانت كلمة ابنته وداعا ، قد دفعت به إلى حالة من الانتباه ، وقد نظر اليها وقد تحرك في عينيه أمل كاذب) والآن ، أيها العجوز الأحمق ، ما قولك ؟ لقد سمعت الكلمات تنبعث من شفتيها . اعترف بأننى هزمتك . اعترف كرجل عندما تهزم بطريقة عادلة . هاك يدى أمدها اليك . . . (يمد يده) فلنتصافح وننسى ما حدث ولنكن أصدقاء من الآن .

كريس : (بكراهية لاتتزحزح) لن أمد يدى لمصافحتك طالما حييت !

بيرك : (باستياء) إذن ، خذ ظهر يدى ، إذا كان هذا يناسبك . (مزمجرا) انك خاسر سيء فظيع ، ليتولاك الشيطان بالإصلاح !

كريس : إننى لا أخسر . . . (محاولا إظهار شيء من الازدراء ، والاقتناع بما يقول) ان أنّا تقول انها تحبك بعض الشيء ، لكنك بالتأكيد لم تسمعها تقول أنها ستتزوجك (عند سماع اسمها تلتفت أنّا اليهما وقد استعاد وجهها الهدوء ، وان كان هدوء اليأس القاتل) .

بيرك : (في ازدراء) كلا ، ولم أسمعها تقول إن الشمس ساطعة !

كريس : (في إصرار) فعلا . انها لم تقل ذلك أيضا .

أنّا : (في هدوء . . . وهي تقترب منهما) فعلا ، لم أقل ذلك ، يامات .

كريس : (في لهفة) والآن ! أسمعت !

بيرك : (وقد أخطأ فهمها . . ببسمة فاترة) أنت تنتظرين حتى أطلب يدك ، أهذا ما تعنين ؟ حسن ، إننى أطلب يدك الآن . وستتزوج اليوم ، بعون الله !

أنّا : (بلطف) أسمعت ما قلت ، يامات . . . بعد أن قبلتك ؟

بيرك : (وقد فزع لشيء ما في طريقة حديثها) كلا . . إننى لا أذكر .

أنّا : لقد قلت وداعا . (وصوتها يرتعش) ان تلك القبلة كانت للوداع ، يامات .

بيرك : (فزعا) ماذا تعنين ؟

أنّا : لا أستطيع الزواج منك ، يامات . . . وقد ودعنا بعضنا . هذا كل ما في الأمر .

كريس : (غير قادر على كتمان ابتهاجه) أنا عارف ! أعرف أن الأمر سيسير على هذا النحو !

بيرك : (يهب واقفا . . غير قادر على تصديق أذنيه) أنّا ! أتسخرين مني ؟ انه ليس وقت المزاح ، فلا تفعلين هذا ، بربك .

أنّا : (تنظر إلى عينيه — وتقول في ثبات) أتظن أننى أمزح. الآن ؟ لا ؟ إننى لا أمزح ، يامات . إننى أعنى ماقلت

بيرك : كلا ! لا يمكن ! أنت مجنونة ، بالتأكيد !

أنـّا : (في ثبات) لا . لست كذلك .

بيرك : (يائسا) ما الذى طرأ عليك فجأة ؟ لقد كنت تقولين انك تحبيننى . . .

أنـّا : وسأردد هذا كلما أردت . هذه حقيقة .

بيرك : (في حيرة) إذن ماذا . . . ما الذى ، بحق الشيطان . . . أوه ، عونك ياربى ، إننى لا أفهم هذا على الاطلاق !

أنـّا : ان هذا ، يامات ، أفضل حل ، على ما أظن . (في صوتها تأثر) لقد كنت طوال هذا الأسبوع أقلب المسألة في ذهنى ليل نهـار . لاتظن ، يامات ، أن الأمر كان يسيرا بالنسبة لى ، كذلك .

بيرك : بربك ، إذن ، أخبرينى ، ما الذى يمنعك من الزواج بى مادمنا نحب بعضنا ؟ (تطرأ له فكرة ويشـير إلى كريس . . في حنق) هل هي مراعاة لمـا يقوله هذا العجوز الأحمق الذى يكرهني ويملأ أذنيك بالأكاذيب ضـدى ؟

كريس : (يقف وهو يصيح في نشـوة المنتصر قبل أن تجد أنـّا الفرصة لتقول كلمتها) نعم ، أن أنـّا تصدقنى ، ولا تصدق ماتقول ! انها تعلم أن والدها العجوز لا يكذب مثلك .

أنـّا : (تلتفت اليه في غضب) أقعد أنت ، ألا تسمع ! لماذا تقحم نفسك كهذا وتزيد الأمر سـوءا ؟ انك كالشيطان ، فعلا (في قسوة) يا إلهي كنت قد بدأت أميل اليك ، وأنسى كل ما كنت آخذه عليك ! .

كريس : (في استسلام . . وضعف) ليس هناك شيء تأخذينه على ، يا أنّا .

أنّا : حقا ! حسن ، دعني أخبرك . . . (ترمق بيرك وتتوقف فجأة) اسمع يامات ، إنني مندهشة منك . لا تبال بما يقول . . .

بيرك : (في عبوس) بالطبع ، وهل فعلت غير هذا ؟

أنّا : أتظن أنني أعرت أى اهتمام لما يقوله من مغالطات وهذر ؟ يا إلهي ، لو فعلت هذا ، لظننتني طفلة لم تتجاوز الخامسة من عمرها بعد .

بيرك : (متحيرا وقد بدأ يغتاظ منها) إنني لا أدرى كيف أفهمك ، وأنت تقولين هذه الدقيقة شيئا ، وفي الدقيقة التالية شيئا آخر .

أنّا : على أية حال ، ليس له شأن بالموضوع .

بيرك : إذن ، إذن ، من له شأن ؟ أخبريني ولا تجعليني أنتظر هكذا في قلق مريع !

أنّا : (في حزم) لا أستطيع أن أخبرك . . ولن أخبرك . لدى سبب وجيه . . وهذا كل ما عليك معرفته . لا أستطيع الزواج منك ، هذا كل ما في الأمر . (في شرود) إذن ، بربك ، دعنا نغير موضوع الحديث .

بيرك : كلا ! (ثم في وجل) ألأنك متزوجة بشخص آخر.. ربما في الغرب مثلا ؟

أنّا : (بشدة) كلا ، بالتأكيد .

بيرك : (يستعيد ثباته) فلتذهب كل هذه الأسباب ، إذن ، إلى الشيطان ، لا شأن لى بها على الاطلاق . (يقف في ثقة بلهجة المسيطر (أعتقد أنك مثل هؤلاء النسوة اللواتي لا يستطعن اتخاذ قرار ما إلا إذا دفعن اليه دفعا . حسن إذن ، سأساعدك على اتخاذ القرار بسرعة عظيمة. (يمسكها من ذراعها ، وهو يبتسم لكى يخفف من حدة صياحه الشديد) كفانا كلاما ! فلتذهبي إلى غرفتك الآن وترتدى ملابسك وسنذهب إلى الشاطىء .

كريس : (وقد استشاط غضبا) لا ، والله ، لن تفعل ذلك . (يمسك بذراعها) .

أنّا : (التي كانت قد استمعت في دهشة الى بيرك . تبتعد عنه ، وقد شعرت بطريقة غريزية بنفور من لهجة صوته ، وان كانت غير متأكدة إذا كان هو جادا فيما قاله أم لا . . . ثم تقول وفي صوتها أثر من الاستياء) اسمع ، من أين لك هذا الكلام ؟

بيرك : (بلهجة الآمر) دعك من هذا ، الآن ! أقول لك اذهبي لارتداء ملابسك (ثم يلتفت إلى كريس) سنرى من منا سيكسب في النهاية . . . أنا أم أنت .

كريس : (الى أنا . . في لهجة بها شيء من السلطة) امكثي حيث أنت ، يا أنّا ، أسمعت !

(تقف أنّا وهي تقلب بصرها من واحد إلى آخر وكأنها ظنت أنهما قد أصيبا بخبل . ثم يتجمد تعبير وجهها متخذة مسحة التهكم القاسى الذى اعتادت عليه) .

بيرك : (بعنف) لن تفعل هذا ! ستمتثل لما أقول ! لقد تحكمت فيها مدة طويلة انه دورى الآن .

أنّا : (بضحكة قاسية) دورك ! ؟ قل لى ، من أنا ، إذن ؟

بيرك : ليس الأمر من أنت ، بل من ستكونين هذا اليوم . . ستتزوجينى قبل أن يحل الليل . هيا على عجل وارتدى ملابسك .

كريس : (آمرا) لا تمتثلى لما يقول ، يا أنّا ! (تضحك أنّا في سخرية) .

بيرك : بل ستفعل !

كريس : إنى أقول لك انها لن تفعل ! إننى والدها .

بيرك : ستفعل هذا رغما عنك . انها ستتلقى الأوامر منى وليس منك ، من الآن فصاعدا .

أنّا : (تضحك ثانية) أوامر حسنة !

بيرك : (يلتفت اليها وقد نفد صبره) هيا الآن ، وعلى وجه السرعة ، ليس لدينا وقت نضيعه (يغتاظ لأنها لم تتحرك) أتسمعين ما أقول !

كريس : انت تمكثين هنا ، يا أنّا !

أنّا : (وقد نفد صبرها . . . فتنفجر فيهما بانفعال) الى الجحيم انتما الاثنان ! (هناك شئ في صوتها جعلهما ينسيان شجارهما ويلتفتان اليها وقد استبدت بهما الدهشة . ثم تضحك أنّا في عنف) . انتما تماما كبقية الرجال انتما الاثنان ! يا الهى ، اتظنان اننى قطعة من

الاثاث ؟ سأريكما ! اجلسا الآن ! (عندما يترددان . . تقول في عنف (اجلسا واسمحا لى بالتحــــدث دقيقة . انتما مخطئتان ! انصتا الى ّ ! وسأقول لكمـــا شيئا . . وعندئذ سأشعر براحة للخلاص منه (الى بيرك بضحكة فظة) سأقص عليك حكاية غريبـــة ، ولهذا أطلب منك الانتباه (مشيرة الى كريس) لقـــد كان في نيتى أن افاجئه بها كلما ضايقنى بحديثه الاخرق حول المحافظة على سلامتى في الارض اليابسة . ولم أكن أريد ان اخبرك أيضا ، لكنك أرغمتنى عـــلى ذلك . وما الفرق ؟ كل شئ خطأ ، على كل حـــال ، ومن الافضل ان تشفى من هذا بطريقة أو أخـــرى (بسخرية قاسية) فقط لا تنس ماقلت منذ دقيقة بأنك لايهمك أى سبب طالما لم أتزوج من أى شخص .

بيرك : (في رجولة) هذا ماقلته ، وأنا متمسك به !

أنّا : (تضحك في مرارة) يالها من فرصة ! صدقــنى ! فلننتظر لنرى ! (تقف خلف المنضدة وهى تقلـــب بصرها من واحد الى آخر وهى تبتسم في سخريـــة قاسية . ثم تبدأ في محاولة لكبح عواطفها وتتحدث في هدوء) في البداية أود أن أقول لكما شيئا . انكمـــا تتحدثان كما لو انني أصبحت ملكا لأحدكمـــا . انى لست ملكا لأحد ، أفهمتما ما أقول ؟ انى ملك نفسى ، أفعل ما أريد ، وليس هناك رجل ، كائنـــا ما كان ، يستطيع أن يفرض علىّ شيئا ما . انـــنى لا أطلب من أى منكما كسب قوتى انى استطيع التكفل

بهذا . . بطريقة او أخرى . انا سيدة نفسى .
اذن ، عليكما ان تعيا هذا جيدا . تبا لكما ولأوامركما

بيرك : (محتجا) انني لم أقصد هذا على الاطلاق ، وانت تعرفين هذا جيدا ، فليس هناك داع لاثارة هذه الضجة معى . (مشيرا الى كريس) انه هو الذى لك حق في . . .

أنّا : انني سأتجه اليه الآن . ولكن انت . . انت نفسك قصدت هذا . . . وظهرت كباقي الرجال . (بطريقة هستيرية) لكن ، ياللعنه ، اسكت ! دعنى أتحدث من باب التغيير .

بيرك : انه حديث غريب فظ . . . لايصدر من فتاة مهذبة مثلك !

أنّا : (بضحكة فظة) مهذبة ؟ من قال لك هذا ؟ (كان كريس جالسا منحنى المنكبين ، رأسه بين يديه . تميل في ضيق وتهزه في عنف من كتفه) لاتنم ، أيها الرجل العجوز ! أصغ لى ، انني أحدثك الآن !

كريس : (يعتدل في جلسته وينظر حواليه ، كما لو أنه يريد الفرار . . وقد بدا في صوته تطير مخيف) لاأريد أن اسمع . أظن انك جننت ، يا أنّا .

أنّا : (في عنف) ايه ، ان الحياة معك كافية لدفع الانسان الى الجنون . آه من الهراء الذى كنت تقوله حول المزرعة ، وعن جمالها الفائق ! ألم أكتب اليك عاما بعد عام عن فظاعة المزرعة وعن معاملة أولاد العم لى

معاملة الرقيـــق ؟ ماذا همك ؟ لاشئ ! لم تهتم حتى لتحضر لتراني ! ان تخاريفك حول رغبتك في ابعادى عن البحر لم تقنعنى ! انت فقط لم تكن تريد أن تشغل نفسك بأمرى ! انت كباقي الرجال !

كريس : (في ضعف) أنّا ! لم أكن . . . .

أنّا : (غير مبالية بمقاطعته . . وكأنها تنتقم لنفسها) لكن هناك شيئا واحدا لم أكتب لك عنه قط . انه أحد أولاد العم الذين كنت تعتقد أنهم أناس طيبون . . . أعـــنى أصغرهم بول هو الذى اعتدى على عفافي (يرتفع صوتها) ولم يكن لى ذنب في هذا . إننى أكرهه أكثر من كراهيتى للجحيم ، وهو يعرف هذا . لكنه كان كبيرا وقويا . . . (مشيرة الى بيرك) . . . مثلك !

بيرك : (وقد هم بالوقوف . . وقد ضم قبضة يديه) يااللهول ! (يهوى ثانية في كرسيه ، وقد بدت أطراف أصابعه بيضاء ، ووجهه قد بدا عليه التوتر وهو يحاول كبت حـــزنه وغضبه) .

كريس : (في صيحة من الألم والفزع) أنّا !

أنّا : (توجه الحديث له . . . وكأنها لم تسمع مقاطعتهما لها) كان هذا هو السبب الذى من أجله هربت من المزرعة . هذا هو الذى دعاني الى الحصول على عمل كممرضة في مستشفى القديس بول . (بضحكة قاسية ساخرة) وأنت تظن أن هذه وظيفة مناسبة لفتاة ، أليس كذلك ! (في تهكم) مناسبة مع كل هؤلاء الناس الذين يعيشون على البر ، ويسعون للزواج ، على ما أظن . يتروجنى

أحدهم ؟ يالها من فرصة ! انهم لم يسعوا للــزواج
(تفلت من بيرك أنه غضب . . . ثم تتابع في يأس)
إنني أعترف بكل أمانة واخلاص . لقد كنت حبيسة ..
كما لو أنني في سجن . . . وأنا أرعى أطفال الغير ،
وأصغى لصراخهم وبكائهم ليل نهار . . . بينما كنت
أود الخروج . . . لقد كنت وحيدة لدرجة فظيعة !
(وقد بدأ في صوتها إعياء مفاجيء) وهكذا استسلمت
آخر الأمر . (تتوقف وتنظر إلى الرجلين . كلاهما
ساكن دون حراك . وبدا كريس في ذهول ويأس
وقد انهــار أمام عينه البيت الذى كان قد بنــاه من
ورق اللعب ، انهارت الآمال التي كانت تراوده » .
أما وجه بيرك فشاحب من الغضب الذى يعتمل في
نفسه ، لكنه كان في حيرة وذهول لم تمكناه من التعبير
عن مشاعره . ولقد رأت في صمتهما حكما بادانتهــا
ممــا دفعها الى تحد قاس عنيف) انكما لاتتكلمان . .
لكنى أعرف ما يدور في خاطركما . انكما كبقيــة
الرجال ! (إلى كريس . . في عنف) على من يقع
اللوم ، أنت أم أنا ؟ لو أنك تصرفت كرجل . . . لو
أنك كنت أبا كبقية الآباء ، وأخذتني معك . . لربمــا
تغيرت الأمور !

كريس : (في عذاب) لا تتحدثي بهذه الطريقة ، يا أنّا ! إننى
سأجن ! لن أستمع لمــا تقولين ! (يضع يديه على
أذنيــه) .

أنّا : (وقد أغضبها تصرفه . . وفي حدة) ستستمع رغمــا

عنك ! (تميل نحوه وتزيح يديه من أذنيه . . . وفي غضب هستيرى) أنت . . تظن أنك تحافظ على سلامتى هناك في البر . . . . لم أكن أعمل مربية في السنتين الأخيرتين . . لقد كذبت عليك عندما كتبت لك . . . لقد كنت في بيت – أعني – نعم – ذاك النــوع من البيوت التى يرتادها أمثالك وأمثال مات من البحارة عندما يأتون إلى الميناء . . . ويرتاده كذلك ، رجالك الظرفاء الذين يعملون في البر . . وكل الرجال ، لعنهم الله جميعا ! إننى أكرههم ! أكرههم ! (تنفجر في نشيج هستيرى وقد ألقت بنفسها على الكرسى وأخفت وجهها في يديها على المنضدة . ولقد هب الرجلان واقفين !) .

كريس : (ينشج البكاء كالطفل) أنّا ! أنّا ! أنّا ! هذا كذب ! هذا كذب ! (يقف يعصر يديه ويأخذ في البكاء) .

بيرك : (وقد توتر جسمه الضخم وكأنه زنبرك . . ثم قال في كآبة وهو يتلمس عباراته) إذن ، هذا هو السبب ! .

أنّا : (ترفع رأسها عندما تسمع صوته . . ثم في مــرارة مشوبة بالسخرية الحادة) أظن أنك تذكر وعدك ، يا مات ؟ « ليس هناك سبب يهمك مادمت غير متزوجة من قبل » ولهذا تريدني أن أرتدى ملابسي وأذهب إلى الشاطىء ، أليس كذلك (تضحك) نعم ، أنت تريد ذلك !

بيرك : (على وشك الانفجار . . متلعثما) قاتلك الله !

أنّا : (محاولة الاحتفاظ بلهجتها القاسية المريرة . . . ولكن بالتدريج يتخلل لهجتها نغمة من الدفاع المثير للشفقة) من الدفاع المثير للشفقة) أعتقد أننى لو حاولت أن أقول لك إننى لم أعد . . . تلك الفتاة . . ستصـــدقنى ، أليس كذلك ، نعم ، ستصدقنى ! ولو أني قلت لك أن مجيئي إلى هذه السفينة ووجودى في البحر قد غيرني وبدل مشاعرى ، كما لو أن ما مررت به من أحداث ليس بذى بال وكأنه لم يحدث قط . . . ستضحك على هذا الكلام ، أليس كذلك ؟ وستموت من الضحك بالتأكيد لو قلت لك إن مقابلتى لك على هذا النحـــو الغريب في تلك الليلة المليئة بالضباب ، وتعلقي بك عندما لمست صدقك وإخلاصك قد دفعنى إلى التفكير لأول مرة ولتقديرك كنوع مختلف من الرجال . . . كبحار يختلف عن رجال البر اختلاف المـــاء عن الطين . لهذا تعلقت بك ووددت أن أتزوجك وأخدعك لكن لم أستطع ذلك وأنا أشعر أنك قد صدقت أكذوبة.. وكنت خجلة من قول الحقيقة . . حتى أرغمتماني على ذلك ، وتبين لى أنكما كبقية الرجال . والآن ، اصرخا وتخلصا من مشاعركما ، وهذا ما أشعر أنكما ستفعلانه (تتوقف ، ناظرة إلى بيرك الذى كان صامتا . تتجنب النظر إلى وجهه الذى بدت ملامحه تعتمل من شـــدة الغضب . ثم تدافع عن نفسها بانفعال) هل تصـــدق إذا قلت لك إن حبى لك قد . . طهرني ؟ صدقنى ؟ هذا كلام خالص أمين (وعندما لا يجيب .... تقول في مرارة) تبالك ! ما أنت إلا كبقية الرجال !

بيرك : (متفجرا . . . وقد اتجه اليها في نوبة محمومة مة الغضب . . وصوته يرتعش من الانفعال) كبقية الرجال ، أليس كذلك ؟ لعنك الله ! طاهرة ، أليس كذلك ؟ أيتها العاهرة ، سأقتلك الآن ! (يلتقط الكرسي الذى كان يجلس عليه ، ويلوح به عاليـا فوق كتفه ويقفز نحوها . يندفع كريس إلى الأمام وهو يصيح في ذعـر ، محاولا ابعاد الضربة عن ابنته ، تنظر أنّا في عيني بيرك وقد جعلها اليأس لاتشعر بخـوف . يتمالك بيرك نفسه ، والكرسي معلق في الهواء) .

كريس : (في عنف) قف ، أيها المجنون الأحمق ! أتريد أن تقتلهـا ؟

أنّا : (تدفع والدها بعيدا في حدة ، ولا تزال عيناها تحملق في بيرك) ابعد أنت عن هذا ! (إلى بيرك . . في فتور) ليت لديك الشجاعة لأن تفعل ذلك ؟ هيا امض قدما صدقني أنني سأكون شاكرة لك . لقد سئمت الحـياة وكل ما فيها .

بيرك : (يرمي بالكرسى بعيدا في ركن من الحجرة . . وقـد غلب على أمره) لم أستطع . . يارب عونك . . وعيناك تحملقان في . (في عنف) ولو أنني أعتقد أن لى حقا في أن أحطم جمجمتك كما لو أنها بيضة فاسدة ، هـل هناك امرأة بها من فساد مثلك ، وهل هناك رجل قـد خدع مثلى ، وأنا الذى كانت تراودني أفكار حولك ، وقلبي به حب كبير لك ، وأحلامي تدور حول حياتنا عندما نتزوج ! (يرتفع صوته إلى ما يشبه النحيب)

عونك ، يارب ! لقد تحطمت تمــاما ، وتقطع قلبى اربا اربا . إننى أسأل الله ذاته . . . هل من أجل هذا جعلني أجوب الدنيـا منذ صباى ليصل بي الأمر إلى هذا العار القاتم ، حيث أني قد منحت حبـا عظيما لامرأة نجد مثيلاتها في بيوت الدعارة في كل مينـاء وقد ارتدين الفساتين الحمراء وعلى وجوههن ابتسامات عريضة ، وهن على استعداد للنوم مع أى رجل مقابل دولار أو دولارين !

أنّا : (صائحة) لاتقل هذا ، يامات ! بربك ! (ثم تصيح وتخبط المنضدة بيديها) اخرج من هنا ! دعني لوحدى ! اخرج من هنا .

بيرك : (وقد عاد اليه غضبه العنيف) سأخرج ، بالتأكيد ! وسأشرب كميات كبيرة من الويسكى حتى أمسح قبلتك السوداء من على شفتى ، وسأشرب حتى الثمالة حتى أنسى أنك وجدت على ظهر الدنيا ، وسأبحـر على سفينة تأخذني إلى نهاية الطرف الآخر من العالم حيث لا أرى وجهك ثانية (يهم نحو البـاب) .

كريس : (الذى كان واقفا في ذهول . . يمسك بذراع بيرك فجأة . . . ثم يقول في بلاهة) كلا ، لايجب أن تخرج. أظن أنه من الأفضل الآن أن تتزوجك أنّا .

بيرك : (يهـز كريس . . بعنف) دعنى ، أيها القـرد العجوز ! أتزوجها ، أليس كذلك ؟ سأراها تشـوى في جهنم أولا ! سأبحر بعيدا عن هذا ، هذا ما أقوله لك (يشير إلى أنّا . . . بانفعال) عليك لعنتى ولعنة الله

الجبار ولعنة كل القديسين ! لقد حطمتني هذا اليوم ؛ ولتظلى ســـاهرة الليالى الطويلة معذبة الفكر لمـــا ارتكبت من خطـــأ نحو مات بيرك !

أنّا : (في ألم) مات ! (لكنه يبتعد دون كلمة ويخرج بخطى واسعة من المدخل . تتبعه أنّا بنظراتها الحادة ، وهمت لتجرى وراءه ، ثم تخفي وجهها في ذراعيها الممتدين وهي تنشج بالبكاء . يقف كريس في ذهول وهــو يحملق إلى الأرض) .

كريس : (بعد برهة ، وفي فتور) أظن أنني سأذهب إلى الشاطىء كذلك .

أنّا : (تنظر اليـــه في حـــدة) لا تتبعه ! دعه يذهب ! لاتجـــرؤ . . .

كريس : (في كآبة) إنني ذاهب للشراب .

أنّا : (بضحكة قاسية) وهكذا فاتني أدفعك إلى الشراب ، كذلك ، اه ؟ أظن أنك تريد أن تشرب لتنسى . . . مثلـــه .

كريس : (ينفجر غاضبا) نعم ، أريد النسيان ! أتعتقدين أنني أحب سماع مثل هذه الأمور (ينهار . . ويبكى) لقد كنت أعتقد أنك لست من هذا الطراز من البنـــات ، يا أنّا .

أنّا : (بسخرية) أظن أنك تريدني أن أرحل على عجل ، أليس كذلك ؟ أنت لاتريدني أن أبقى هنا لأجلب لك العار ، على ما أظن ؟

كريس : كلا ، أريدك أن تبقى هنا ! (يقترب منها ويربت على كتفها ، والدموع تنهمر على وجهه) انها ليست غلطتك ، يا أنّا ، إنني أعرف ذلك (تنظر اليه ، وقد رق قلبها . ثم ينفجر غاضبا) انه البحر ذاك الشيطان العجوز ، الذى فعل بي هذا (يهز قبضة يده نحو الباب) انها حيلة وألاعيبه ! كان كل شيء على ما يرام في السفينة عندما كنا لوحدنا . أنت وأنا . ثم أتى البحر بذلك الايرلندى وسط الضباب ، وجعلك تحبينه ، وتتشاجرين معي طوال الوقت . إذا لم يأت هذا الايرلندى ، لما أخبرتني بهذه الأشياء ، ولما علمت شيئا ، ولظل كل شيء على ما يرام . . (يهز قبضة يده ثانية) أيها الشيطان العجوز !

أنّا : (في اعياء تام) أوه ، ما الفائدة ؟ اذهب إلى الشاطيء وتناول الشراب .

كريس : (يدخل في الغرفة جهة اليسار ويتناول قبعته . يتجه إلى الباب في صمت وبلاهة – ثم يلتفت) انتظريني هنا ، يا أنّا ؟

أنّا : (في فتور) ربما . . . وربما لا . ربما سأسكر . ربما سأ . . . . ولكن ماذا يعنيك من أمرى ؟ هيا اخرج .

(يتجه كريس في بلاهة ثم يخرج . تجلس أنا الى المنضدة ، وتحملق أمامها) .

الفصل الرابع

(نفس مشهد الفصل الثالث ، في حوالى التاسعة من مساء ليلة كثيرة الضباب بعد ذلك بيومين . نسمع صافرات البواخر في الميناء . ويضىء القمرة مصباح صغير على المنضدة . توجد حقيبة ملابس وسط الحجرة

أنّا جالسة على الكرسى الهزاز . ترتدى قبعة ، ونفس ملابس الفصل الاول . وجهها شاحب ، وتبدو مرهقة لدرجة فظيعة ، كما لو أن اليومين السابقين كانا يومين من العذاب والأرق . تحملق امامها في كآبة ، وقد اسندت ذقنها على يديها . يسمع طرق ضعيف على الباب الخلفى . تهب أنا واقفه وهى تصيح فزعة وتنظر نحو الباب وعليها امارات الأمل الممتزج بالخوف) .

أنّا : (في ضعف) ادخل ! (ثم تستجمع شجاعتها .. قائلة بحزم أكثر) ادخل . (يفتح الباب ويظهر كريس في المدخل وهو في حالة من الاجهاد و« المرمطة » من أثر السكر ، وفي يده قدح من البيرة قد علاه الزبد . يتقدم الى الامام وعيناه تحاولان تجنب النظر الى عينى أنّا . يتمتم في بلاهة » ان الليلة كثيفة الضباب !

أنّا : (تنظر اليه في استخفاف) ها قد عدت آخر الأمر ، أليس كذلك ؟ يالمنظرك الجميل ! (ثم في تهكم)

ظننت انك ستتركني للأبد ، لما جلبته لك من عـار .

كريس : (يجفل . . ثم يقول في ضعف) لا تقولى هذا ، يا أنا ، من فضلك ! (يجلس الى كرسى قريب من المنضدة ، التى وضع عليها قدح البيرة ، وقد امسك رأسـه بيديه) .

أنّا : (تنظر اليه في شئ من العطف) ماذا دهاك ؟ أتشعـر بمرض ؟

كريس : (في فتور) مرض في رأسى .

أنّا : ايه ، وماذا تنتظر بعد هذا الافراط في الشراب لمـدة يومين ؟ (باستياء) انت تستحق ماحدث . انه لشئ جميل . . ان تتركنى لوحدى في هذا المركب طوال ذلك الوقت .

كريس : (في تواضع) انى آسف ، يا أنّا .

أنّا : (بازدراء) آسف !

كريس :لكنى لست مريضا في رأسى بالمعنى الذى تقصدينه أشعر بالمرض من كثرة التفكير في أمورك وفيأمورى.

أنّا : وكيف تتصور حالتى ؟ أتظن انى لم أفكر ؟

كريس : معذرة يا أنّا (يرى حقيبتها ويفزع) لقد حزمـت حقيبتك يا أنّا ؟ انت ذاهبة الى . . .

أنّا : (في عنف) نعم ، عائدة الى المكان الذى تفكر فيه .

كريس : انـا !

أنّا : لقد ذهبت الى الشاطئ لأستقل قطارا الى نيويـورك . وانتظرت وانتظرت حتّى استبد بى الملل . ثم غيرت فكرى وعزمت على عدم السفر اليوم . لكن غدا السفر هو أول شئ سأفعله ، والنتيجة واحدة على كل حال.

كريس : (يرفع رأسه . . متوسلا) لا ، لا تفعلى هذا ، يا أنّا.

أنّا : (ساخرة) ولم لا ؟ أحب ان اعرف .

كريس : لن تعودى ابدا . . الى ذاك الطريق . . قطعا . وسأدبر لك كل شئ ، على خير مايرام .

أنّا : (في ريبة) تدبر ماذا ؟

كريس : (لا يبدو أنه قد سمع سؤالها . . في حزن) لقد كنت منتظرة ، كما تقولين ؟ أراهن أنك لم تكوني تنتظريننى ؟

أنّا : (في جفـاء) لقد كسبت الرهان .

كريس : كنت تنتظرين هذا الشاب الأيرلندى ؟

أنّا : (في تحد) فعلا . . . إذا كنت تريد أن تعرف . (ثم بضحكة يشوبها الحزن) إذا قـدر له الحضور فان ذلك لن يكون إلا ليضربني أو يقتلني ، على ما أعتقد . ولكن حتّى ولو فعل هذا ، فإننى أفضل حضوره ، ولن أبالى بمـا يفعل .

كريس : على قـدر تخمينى ، انك كنت تحبينه تمـاما .

أنّا : تخمينك !

كريس : (يلتفت اليها في حرارة) إننى سأشعر بأسى فظيع من أجلك ، لو أنه لم يحضر يا أنّا .

أنّا : (متلطفة) يبدو لى انك قد غيرت لهجتك كثيرا .

كريس : لقد كنت أقلب الأمور في ذهنى ، وأعتقد أننى الملام على كل هذا . . على كل ما حدث لك من سـوء (متوسلا) حاولى ألا تكرهينى . إننى عجوز أحمق ، هذا كل ما في الأمـر .

أنّا : من قال إني أكرهك ؟

كريس : أنا آسف لمـا سببته لك من متاعب ، يا أنّا . إننى أريد لك السعادة ما تبقى من حياتك ، لتعوضى مافات. انك ستشعرين بالسعادة إذا ما تزوجت هذا الشـاب الايرلندى . وهذه هي رغبتى أيضا .

أنّا : (في فتور) ايه ، ليست هناك فرصة . ولكنى سعيدة انك غيرت رأيك الآن ، على أية حال .

كريس : (متوسلا) أتظنين أن هناك احتمالا في الصفح عنى ، يوما ما ؟

أنّا : (ببسمة باهتة) سأصفح عنك الآن .

كريس : (يمسك يدها ويقبلها . . في تأثر) أنا ، ياحبيبتى الصغيرة ! أنّا ، ياحبيبتى الصغيرة .

أنّا : (بتأثر وفي شيء من الارتباك) لمـاذا تلوم نفسك ؟ ليس هناك شيء يستحق الصفح ، على أية حال . انهـا ليست غلطتك ، ولا غلطتى ، ولا غلطته كذلك . إننا جميعا حمقى مساكين . . تحدث الأشياء التي نتورط فيها فترتكب الأخطاء ، هذا كل ما في الأمر .

كريس : (في حماس) يالله ، ان ما تقولينه ، يا أنّا ، لهو عين الصواب ! إنها ليست غلطة أحد (يهز قبضة يده) انه البحر ذاك الشيطان العجوز !

أنّا : بضحكة تنم عن الضيق يا إلهي ! ألا يمكنك الكف عن هذ الكلام ؟ (يعود كريس إلى حالة من الصمت وقد جرح شعوره . بعد برهة تستمر أنّا في حديثها في شغف) لقد قلت منذ لحظة انك ستدبر الأمـــر — بالنسبة لى ماذا تعنى بهذا ؟

كريس : بعد فترة من التردد إننى سأبحر ثانية ، يا أنّا

أنّا : (في ذهول) تفعل . ماذا ؟

كريس لقد وقعت عقدا للعمل على باخرة تبحر غدا . لقـــد عدت إلى عملى القديم . رئيس بحارة (تحملق أنّا فيه ، وعلى وجهها بسمة مريرة) أعتقد أن هذا أفضل شيء بالنسبة لك ، لأننى لا أجلب لك سوى الحظ السيىء . وأعتقد أننى جلبت الشقاء لوالدتك ولا أود أن أشقيك كذلك ، إذ أننى أســـير في نفس الطريق وأفعل نفس الشيء . ان البحر ، هذا الشيطان العجوز جعلنى إنسانا لايرجى منه خير لأحد . وفي يقينى الآن أنه لاجدوى من تحدى البحر وأقسم بالله أنه ليس هناك من يستطيع التغلب عليه .

أنّا : (بضحكة مريرة يائسة) هذا ما تعنيه بتدبر الأمـــر بالنسبة لى ؟ أليس كذلك ؟

كريس : نعم . وأعتقد أننى إذا عدت إلى البحر ، هذا الشيطان العجوز ، فانه سيخلى سبيلك .

أنّا : (في مرارة) لكن ، بربك ألا تدرك بأنك تفعل نفس الشيء الذى كنت تفعله دائما ؟ ألا تدرك ذلك . . . . (لكنها ترى نظرة عنـــاد قد تسلطت على وجهه ، فتستسلم للأمر) ولكن ما فائدة الكلام ؟ أنت مخطىء ، هذا كل ما في الأمر . لن ألومك على شيء بعد هذا . ولكن كيف حسبت ان ما فعلته هذا سيدبر أمورى ...

كريس : ليس هذا كل مافي الأمر . لقد طلبت من الذين يعملون في مكتب الباخرة أن يدفعوا لك شهريا كل ما أستحق من نقود فترة غيـــابي .

أنّا : (بضحكة قاسية) شكرا . . أظن أنني لن أكون في حاجة ماســـة لهذه النقود القليلة .

كريس : (متألمـــا . . وفي تواضع) أعلم أنه ليس بالمبلغ الكبير ، لكنه يكفي لســـد نفقاتك حتى لاتعودي إلى . . . .

أنّا : (بفظاظة) اسكت ، من فضلك ! سنتحدث عن هذا فيما بعد . . أنت فاهم ؟

كريس : (بعد فترة صمت . . محاولا استرضاءها) أتريدين أن أذهب إلى الشاطىء بحثا عن ذاك الشاب الأيرلنـــدى ، يا أنّا ؟

أنّا : (غاضبة) كلا ! أتظن أني أريد أن أجره إليّ جرا .

كريس : (بعد فترة صمت . . في شيء من عـــدم الارتياح) يا إلهي ، هذا الشراب لا يناسبني . قد جعلني أشـــعر بشيء من الحمى ، على ما أظن . ان درجة حـــرارتي فظيعة (يخلع معطفه ويلقيه على الأرض ، محدثا خبطة عاليـــة) .

أنّا : (فزعة) ماذا في جيبك ، بحق القديس بطرس . . . أهو طن من الرصاص ؟ (تنحني وتتناول المعطف وتخرج منه مسدسا . . ثم تقلب بصرها بينه وبين المسدس في استغراب) مسدس ؟ ماذا كنت تفعل به ؟

كريس : (في خجل) نسيت . لا شيء . انه ليس محشوا بالرصاص ، على أية حال .

أنّا : (تفتحه لتتأكد من هذا . . ثم تقفله ثانية ، وهي تنظر اليه في ريبة) لم تخبرني لماذا حصلت عليه ؟

كريس : (في خجل) انني عجوز أبله . حصلت عليه عندما ذهبت الى الشاطىء أول الأمر . كنت أعتقد عندئذ أن هذا الشاب الأيرلندى هو المسئول عن كل ماحدث .

أنّا : (ترتجف) أنت أكثر جنونا مما كنت أظن ! لم أتصور أن الأمر سيصل بك إلى هذا الحد .

كريس : لم أكن كذلك ! وسرعان ما بدا لى طريق الصواب ، فلم أشتر رصاصات ، وتبين لى أن الذنب ليس ذنبه .

أنّا : (مازلت تشك في نواياه) حسن ، سيكون هذا في عهدتي سواء أكان محشوا أم لا . (تضعه في درج المنضدة الذى تقفله) .

كريس : (ملاطفا) ارمه في البحر ، إذا شئت . إننى لا أبالى . (ثم بعد فترة صمت) يا إلهي ، من الأوفق أن أذهب وأستلقي . إننى أشعر بالمرض (تأخذ أنّا مجلة من على

المنضدة . يتردد كريس وهو واقف بجوار كرسيها)
سنعاود الحديث عن هذا قبل أن أرحل : . . موافقة ؟

أنّا : (في فتور) الى أين تتوجه هذه السفينة .

كريس : الى مدينة رأس الرجاء الصالح ، في جنوب افريقيا .
انهـا بـاخرة انجليزية تدعى لوندند درى
« London-derry »(يقف في تردد . ثم ينفجر صائحا
آخر الامر) . أنّا . . . اتصفحين عنى ، بالتأكيد ؟

أنّا : (في اعياء) بالتأكيد : انها ليست غلطتك . . انـك
مثلى تماما . . لاتستطيع ان تغير من طبيعتك .

كريس : (في رجاء) اذن . . دعيني أقبلك مرة ثانية ؟

أنّا : (ترفع وجهها . . وهى تتكلف بسمة فاترة) بالطبع .
ليس هناك أى شعور بالمرارة .

كريس : (يقبلها . . في تأثر) أنّا ، ياحبيبتى الصغيرة أنّا . . .
(يبحث في مشقة عن كلام للتعبير عن نفسه فلا يجـد
سوى شهقه بائسة) لا استطيع التعبير عن نفسى . .
مساء الخير ، يا أنّا .

أنّا : مساء الخير (يلتقط قدح البيرة ويذهب في بـطء الى
الغرفة جهة اليسار وقد انحنى كتفه ورأسه منكس في
اكتئاب . يقفل الباب وراءه . تقلب أنّا صفحـات
المجلة محاولة في يأس طرد أفكارها بالنظر الى الصور ،
ولكن هذا فشل في تحقيق رغبتها ، فتلقى بالمجلة على
المنضدة وتهب واقفة وتمشى نحو القمرة شاردة الذهن ،
وهى تكز على يديها مرة ثم تبسطها مرة أخـرى .

ثم تخاطب نفسها في صوت مرتعش حاد) يا الهـــي ، لن استطيع احتمال هذا اكثر من ذلك . ما الـــــذى انتظره ، على أية حال ؟ وانا كالمعتوهة اللعينــــة ! (تضحك ببؤس ، ثم تتمالك نفسها فجأة ، عندمـــا تسمع وقع خطى ثقيله على ظهر السفينه خارج القمرة. يبدو انها تعرف لمن ولهذا اشرق وجهها بالفـــرح .
ثم تقول في لهفه وهى تلهث) مات !

(فجأة يستولى عليها رعب غريب ، فتندفع نحـــــو المنضدة وتخرج المسدس من الدرج ، ثم تقبع في الركن الأيسر ، خلف خزانة الملابس بعد لحظة يفتح الباب عنوة ، ويظهر مات في المدخل . وهو في حالة سيئة .. ملابسه ممزقه رثة ، علقت بها نشارة خشب ، كما لو كان يتمرغ او ينام على الارض في الحانات . هنـــاك كدمة محمرة على جبهته فوق احدى عينيه ، وكدمــــة أخرى على وجنته ، بينما بدت مفاصل أصابعه وقــــد تسلخت دليل واضح على الشجار الذى مر به وهـــو مخمور . كانت عيناه ملتهبتين ، ووجهه متورم منتفخ. ولكن وراء هذه الدلائل الظاهرة . . وهى نتيجــــة الافراط في الشرا ب . . . هناك في عينيه صراع ذهنى عنيف ، وغضب أهوج قد حد من شوكة شقاء مرير)

بيرك : (يحدق وهو يربش بعينيه حول القمرة . . ثم بصوت فظ) لاتخفى نفسك عنى ، مهما كنت . . . ولو أنـــه من الخير ان تعرفي ان لى الحق في العودة وقتـــلك .
(يتوقف لينصت . وعندما لا يسمع صوتا يقفل الباب

خلفه ويتقدم نحو المنضدة ،ثم يلقى بنفسه في الكرسى الهزاز . . في كآبه) لايوجد أحد هنا ، على ما أظن، وانها لحماقة مني اذ جئت الى هنا . (بنوع من الألم الصامت الغير مفهوم) حقا ، يامات بيرك ، لقـــد اصبحت مغفلا . ما الذى دهاك ! لقد رحلت من هنا منذ مدة ، ولن ترى وجهها ثانية ، بكل تأكيد (تقف انا في تردد وهى تصارع الفرح والخوف) ما هذا ؟ (فرحا) إنها حقيبتها . انها لم ترحل ! ولكن أين هي الآن ؟ في الشاطئ ؟ (في غموض) وماذا تفعل في الشاطئ في هذه الليلة الفظيعة ؟ (وقد تقلص وجهه من الغضب والحزن) ايه ،أوصل الامر الى ذاك ؟ أوه ، لعنة الله عليها ! (يستشيط غضبا) سأنتظر حتى تعود ثم أخنقها حتى تنتهى حياتها القذرة . (تفزع أنـــا ، وتبدو على وجهها صلابة . ثم تخطو في الغرفه والمسدس في يدها اليمنى ، الى جانبها) .

أنّا : (في صوت قاس وفي برود) ما الذى تفعله هنا ؟

بيرك : (يدور حول نفسه وهو يشهق فزعا) يا الهـــــى ! (يظلان في صمت دون حركة ، برهة ، وكل ينظر في عيني الآخـــر) .

أنّا : (في نفس الصوت القاسى) ايه ، ألا تستطيع الكلام ؟

بيرك : (يحاول أن يتخذ لهجة تـــدل على عدم الاكتراث) سأموت ناقص سنة من عمرى من « الخضة » ، اذ انك ظهرت فجأة ، وانا في اعتقادى انى بمفردى .

انّا : لقد كانت لديك الجسارة لأن تقتحم الغرفة دون طرق . او استئذان . ماذا تريد ؟

بيرك : (بتصنع) أوه ، لاشئ يهم كثيرا . لقد كنت اريد كلمة أخيرة معك ، هذا كل مافي الامر . (يتقدم خطوة نحوها) .

أنّا : (بحدة . . وقد رفعت مسدسها في يدها) حذار الآن! لا تحاول الاقتراب أكثر من اللازم . لقد سمعت ماكنت تقوله حول ماتنوى عمله معى !

بيرك : (يلاحظ المسدس لأول مرة) أتريدين قتلى الآن ، سامحك الله ؟ (بضحكة تنم على الاستخفاف)أتعتقدين أن هذه الصفارة القديمة من الصفيح ستخيفنى ؟(يتقدم نحوها مباشرة) .

أنّا : (بعنف) حذار. . . انى أقول لك ! حذار !

بيرك : (الذى كان قد اقترب لدرجة ان المسدس لمس صدره) اطلقى النار ، اذن (ثم بحزن مفاجئ عنيف) أقول لك اطلقى النار وضعى حدا للأمر . ضعى حدا لحياتى بطلقة ، وسأكون شاكرا لك ، اذ انى عشت خلال اليومين السالفين حياة شقية تعسة منذ ان عرفت حقيقتك ، وبعدها تمنيت لو انى لم أولد ابدا .

أنّا : (وقد غلبت على أمرها . . . تدع المسدس يقع على الارض ، كما لو أن أصابعها لم تعد تقوى على الامساك به . . وتقول بلهجة هستيرية) ماذا تريد من مجيئك الى هنا ؟ لماذا لاترحل ؟ هيا ! (تمر منه وتلقى بنفسها في الكرسى الهزاز)

بيرك : (يتبعها . . في حزن) لك حق في السؤال عن سبب مجيئى الى هنا (ثم غاضبا) السبب هو أنى أبله ضعيف قد عذبنى ماذكرت عن نفسك من شر ، وشربت كميات هائلة من الخمر حتى أنسى . انسى ؟ يالها من كلمة فظيعة ، اذ ان وجهك المبتسم كان دائما امام عينى في يقظتى ومنامى حتى ظننت أن انسب مكان لى هو مستشفى المجاذيب !

أنا : (تنظر بازدراء الى وجهه ويديه) يبدو من مظهرك انه يجب التحفظ عليك في مكان ما . انني مندهشة لانه لم يقبض عليك . وكنت تتشاجر ايضا . . . . أليس كذلك ؟

بيرك : فعلا . . تشاجرت مع كل أزعر خلع معطفه وقبل التحدى . (وفي عنف) وفي كل مرة كنت اسدد فيها ضربة الى وجه شخص ما ، كنت لا أرى ذلك الوجه بل وجهك انت ، اذ كنت اريد ان أوجه لك ضربة تزيلك من الوجود حتى لا أراك أو أفكر فيك بعد هذا .

أنا : (ترتعش شفتاها بطريقة يرثى لها) شكرا !

بيرك : (يمشى جيئة وذهابا . . في شرود) هذا صحيح ، لقد جعلت منى ألعوبة ؟ أوه ، انني جبان كبير ، بالتأكيد اذ أعود للتحدث اليك . لك حق في السخريه منى . .

أنا : انى لا أسخر منك ، يامات .

بيرك : (دون التفات لما تقول)أنت كما أنت لم تتغيرى ،

أما أنا ، مات بيرك ، فاني أضطر للعودة لرؤيتك ثانية !
ياللخزى والعـــار !

أنّا : (باستياء) إذن ، اخرج . ليس هناك من يمنعك !

بيرك : (في حيرة) وأنا أستمع إلى كلام امرأة مثلك ،وأخشى من ســـد فمها بصفعة ! أوه ، عونك يارب ، إننى جبان أشر ، ينبغي لكل الرجال أن يبصقوا في وجهي ! (ثم في غضب) لكنى لن أخرج من هنا حتى أقول كلمتي (يرفع قبضة يده مهددا) وحذار من إثارتي ! (تتراخى قبضة يده) لاتغضبي الآن ! إننى اهـــذى كالمجنون ، والأسى الذى قد شعرت به قـــد أغرق ذهنى في الحزن . (فجأة ينحني نحوها ويمسك بذراعها بحدة) قولى انها كذبة ! هذا ماجئت لأسمعه منك .

أنّا : (في فتور) كذبة ؟ ماذا ؟

بيرك : (في توسل عاطفي) لابد ان كل ما ذكرت من ســـوء منذ يومين . . لابد أنه كذب ! كنت فقط تسخرين منى ، أليس كذلك ؟ قولى انها كذبة ، يا أنّا ، وسأسجد حينئذ شكرا لله القوى الجبار .

أنّا : (في غاية التأثر . . . وبصوت خافت) لا أستطيع ، يامات . (عندما يستدير بعيدا عنها . . . تقـــول في توسل) أوه ، مات ، ألا تدرك أنه مهما كانت حياتي المـــاضية فانى تغيرت وتركت المـــاضى ؟ لمـــاذا لاتسمع ! لقد حزمت حقيبتي عصر اليوم وذهبت إلى الشاطىء . لقد كنت أنتظر طيلة اليومين وبمفردى أتعلق بأمل احتمال عودتك . . . أوه ، لا أدرى أى

أمل أتعلق به ! لكني كنت خائفة من الخروج من القمرة لحظة واحدة . . صدقني كنت خائفة أن تأتي ولا تجدني هنا . ثم يئست عندما لم تحضر وذهبت إلى محطة السكة الحديدية . لقد كنت أريد السفر إلى نيويورك . كنت عائدة إلى . . . .

بيرك : (في فظاظة) لعنة الله عليك !

أنّا : أسمع ، يامات ! أنت لم تحضر ، وأنّا يئست . لكن .. في محطة السكة الحديدية . . . وجدت نفسي غير قادرة على الرحيل . لقد اشتريت تذكرة السفر وأعددت كل شيء . (تخرج تذكرة السفر من ردائها وتحاول أن تضعها أمام عينيه) لكني فكرت فيك . . فلم أستطع ركوب القطار . . لم أستطع الرحيل . وهكذا عدت إلى هنا . . لأنتظر وأنتظر . أوه ، يامات ، ألا تدرك أنني قد تغيرت؟ ألا تصفح عما مضى وانقضى ،وتنساه .

بيرك : (يلتفت اليها . . وقد استبد به الغضب) أنساه ، أهذا ما تقولينه ؟ لن أنسى حتى يوم مماتي ، أؤكد لك ، وأنا قد عذبتني الأفكار (في حنق شديد) أوه ، لو أنني في هذه اللحظة رأيت أحد هؤلاء الرجال لأخذت أكيل له اللكمات حتى يصبح جثة هامدة ! أوه ، أود أن أراهم جميعا يتعذبون في جهنم حتى يوم الحساب . . . وأنت بينهم ، فأنت وهم في الشر سواء .

آنّا : (ترتجف) مات ! (ثم بعد فترة صمت . . وفي صوت هادىء جامد) ، إذن ، لقد قلت كلمتك . من الأفضل الآن أن ترحل .

بيرك : (يتجه متثاقلا نحو الباب . . في تردد — وبعد لحظة صمت) ثم ماذا تفعلين بعد ذلك ؟

أنّا : وماذا يهمك في هذا ؟

بيرك : انى أسألك !

أنّا : (في نفس اللهجة) لقد حزمت حقيبتى وحصلت على تذكرة السفر ، وسأسافر إلى نيويورك غدا .

بيرك : (في يأس) أتعنين . . انك ستعودين إلى ما كنت عليه ؟

أنّا : (في لهجة جامدة قاسية) نعم .

بيرك : (في ألم) لن تعودين إلى ذلك ! لا تعذبينى بهذا الكلام ! ما أنت إلا شيطانة أرسلت لتدفعينى إلى الجنون التام !

أنّا : (في صوت يزداد ضعفا) أوه ، بربك ، يامات ، اتركنى لوحدى ! ارحل ! ألا ترى أني قد هزمت ؟ لماذا تستمر في ركلى بقدمك .

بيرك : (في غيظ) ألا تستحقين أسوأ مما قلت ، سامحك الله ؟

أنّا : نعم ، ربما أستحق هذا . لكن لا داعي لتأكيد ذلك. لماذا لم تفعل ما كنت تنوى فعله ؟ لماذا لم تذهب إلى هذه السفينة لتأخذك للطرف الآخر من العالم حيث لاتراني أبدا ؟

بيرك : لقد ذهبت .

أنّا : (فزعة) إذن ، صحيح . . ستسافر ؟

بيرك : لقد وقعت العقد اليوم ظهرا ، رغم أني كنت مخمورا . وستبحر غدا .

أنّا : وإلى أين تتوجه ؟

بيرك : إلى مدينة رأس الرجاء الصالح .

أنّا : (تذكرها بأنها سمعت هذا الاسم منذ برهة جعلها تفزع في اضطراب) مدينة الكاب ؟ أين هي ؟ أهي بعيدة ؟

بيرك : إنها في نهاية أفريقية . وهي بعيدة بالنسبة لك .

أنّا : (تتكلف ضحكة) لقد وفيت بوعدك ، أليس كذلك ؟ (بعد فترة صمت قليلة . . . في شغف) ما اسم السفينة؟

بيرك : لوندندرى .

أنّا : (تتبين في الحال أنه اسم الباخرة التي سيرحل عليها والدها) لوندندرى ! إنها نفس . . . أوه ، أوه ، هذا أكثر مما أحتمل (بضحكة تهكمية عنيفة) ها . . ها . . ها !

بيرك : ما الذى ألم بك ! ؟

أنّا : ها . . ها . . ها ! انه لشيء مضحك ، مضحك ! أكاد أموت من الضحك !

بيرك : (في غيظ) عم تضحكين ؟

أنّا : هذا سر . ستعرفه بعد قليل . انه لشيء مضحك (تتمالك نفسها . . . بعد فترة صمت . . وتقول) وأى نوع من البلاد مدينة الكاب ؟ فيها كثير من السيدات على ما أظن ؟

بيرك : فليذهبن إلى الجحيم ! حتى لا أرى واحدة منهن حتى يوم الممات . !

أنّا : هذا ما تقوله الآن ، ولكنى متأكدة بأنه قبل أن تصل إلى هناك ستكون قد نسيتنى وبدأت حديثك السخيف مع أول امـــرأة تلقاها مرددا نفس الكلام الذى قلته لى من قبل .

بيرك : (باســتياء) لن أفعل ذلك ، إذن ؟ ليصلح الله من أحوالك ، أتعتقدين أني مثلك . أنت التي اعتدت التنقل من واحد إلى آخر طوال حياتك ؟

أنّا : (في نبرة تأكيد غاضبة) نعم ، هذا ما أعنيه ! لقد كنت تفعل نفس الشيء طوال حياتك ، تلتقط فتـــاة جديدة في كل ميناء . هل أنت أفضل ممـــا كنت عليه أنا ؟

بيرك : (في غيظ تام) ألا تشعرين بالخجل أبدا ؟ إننى مغفل إذ أضيع وقتى في الكلام معك وقد ثبت الشر جذوره فيك . سأخرج وأتركك وحدك إلى الأبد . (يتجه نحو الباب . ثم يتوقف ويلتفت اليها غاضبا) وأعتقد أنك قلت لهم نفس الأكاذيب التي رددتها لى ؟

أنّا : (في حنق) هذا كذب ! لم أفعل ذلك مطلقا . !

بيرك : (في بؤس وشقاء) ستقولين هذا ، على أى حال .

أنّا : (بعنف ، وحدة متزايدة) أتريد أن تتهمنى . . بأنى كنت أحبهم . . حقا ؟

بيرك : نعم ، أعتقد ذلك ، بالتأكيد .

أنّا : (وقد ثارت ثورتها ، وكأن هذه هي آخر إهانة . . ثم تتقدم نحوه مهددة) أيها الأحمق ! لقد تحملت معك

الكثير . لا تتجاسر أكثر من هذا (بمـــرارة وازدراء)
أحبهم ! أوه ، يا إلهي ! أيها الغبي ! أحبهم ؟ (بعنف)
لقد كنت أكرههم ، هذا ما أؤكده لك ! أكرههم ،
أكرههم ، أكرههم ! فليسقطني الله ميتة هذه اللحظة
وأمي كذلك . . . لو كانت على قيد الحياة ، ان كان
ما أقوله غير الصدق !

بيرك : (جد مسرور لهذه الحدة . . وقد بدت ومضة على
محياه . . وان كان لا يزال فريسة بين الشك والرغبـــة
في تصديقها . . . ثم في يأس) ليتنى أستطيع تصديقك
الآن ! ؟

أنّا : (في شرود) أوه ، ما الفائدة ؟ ما الفائدة من كلامى ؟
وما الفائدة من أى شيء في الدنيا ؟ (متوسلة) أوه ،
مات يجب ألا تظن ذلك بي ! فلتظن ماتشاء من ســـوء
عنى ، ولن أهتم ، إذ انك لك حق في هذا . لكن
لاتظن ذلك بي ! (على وشك البكاء) لن أحتمل هذا !
أنه أكثر ممـــا أحتمل أن أشعر أنك سترحل بعيدا حيث
لن أراك أبدا . . . ثم تظن ذلك بي !

بيرك : (بعد صراع داخلى — حاد — وهو ينطق ألفاظـــه
بصعوبة) لو أننى صدقت بأنك لم تحبى إنسانا آخـــر
في الدنيا سواى . . . فلربما استطعت أن أنسى ما عدا
ذلك .

أنّا : (بصيحة فرح) مات !

بيرك : (في هدوء) إذا كنت ما تقولينه هو الصدق ، إذن
يكون لى الحق في أن أعتقد بأنك قد تغيرت . وأننى

أنا الذى غيرتك حتى أن ماضيك لم يعد له وجود .

أنّا : (تتعلق بكلماته . . وهي تلهث) أوه ، مات ! هـذا ماحاولت أن أقوله لك طول الوقت !

بيرك : (ببساطة) ان لى من القوة ما يجعلني أوجه الرجال حيثما أريد ، والنساء أيضا ، على ما أظن ، وأنا أعتقد أنني سأغيرك تمـاما حتى لايمكننى ولا يمكنك ، أن تتعرفي على ماضيك على الإطلاق .

أنّا : فعلا ، تستطيع ذلك ، يامات ! أعلم أنك تستطيع !

بيرك : يبدو لى أن الذنب ليس ذنبك ، ولكن ذاك القـرد العجوز ، والدك ، الذى تركك تنشئين وحدك . . . هذا هو السبب . ولو أنني استطعت أن أعتقد أنني أنا لوحدى الذى . .

أنّا : (في شرود) عليك أن تصدق ذلك ، يامات ! ما الذى أستطيع عمله ؟ ما الذى أستطيع عمله لأثبت لك بأن ما أقوله هو الصدق !

بيرك : (يبدو أنه وجد حلا فجأة . يبحث في جيبه ويمسـك شيئا . . في خشوع) أتريدين أن تقسمى يمينا ، الآن... يمينا رهيبا مريعا يبعث بروحك إلى الجحيم إذا كنت كاذبة ؟

أنّا : (في لهفة) بالتأكيد ، سأحلف ، يامات ، سأحلف على ما تريد !

بيرك : (يخرج من جيبه صليبا قديمـا رخيص الثمن ، ويرفعه أمامه لتراه) أتحلفين على هذا ؟

أنّا : (تمـــد يدها اليه) نعم . بالتأكيد أعطنى الصليب .

بيرك : (يبعده عنها) انه صليب أعطته لى أمى . رحمها الله (يقوم بعلامة الصليب بطريقة آلية) . كنت صبيـــا وقتذاك ، وطلبت منى أن أحتفظ به في يقظتى ومنامى إذ أنه سيجلب لى الفأل الحسن . ولقد ماتت بعد ذلك بقليل ، واحتفظت به منذ ذلك الوقت ، أؤكد لك أن له مفعولا قويا ولقد أنقذني من مهالك كبيرة وأنا أجوب البحار ، ولقد كان حول عنقى عندما غرقت آخر سفينة كنت أعمل عليها ، وأوصلني سالمـــا إلى البر ، على حين غرق الآخرون (بلهجة جادة للغاية) وأني أحذرك الآن ، إذا أقسمت اليمين عليه ، بأن والدتي نفسها ستطل من السماء العليا ، وتصلى إلى الله القدير وللقديسين بأن يصبوا لعنتهم عليك إذا كنت تحلفين كـــذبا ! .

أنّا : (وقد شعرت برهبة مما قال . ثم في وهم) صدقنى . . لن تكون لدى الشجاعة لو أن ما أقوله كذبا . لكنـــه الصدق ، ولن اخشى أن احلف . اعطنى الصليب !

بيرك : (يسلمه اليها ــ وهو يفزع ، كما لو أنه خائف عليها) انى اقول لك . . كونى على حذر مما تقسمين .

أنّا : (تمسك بالصليب في حذر) حسن ، . . . ما الـــذى تريدنى ان أقوله في القسم ؟ قل ماتريد .

بيرك : احلفى انى أنا الرجل الوحيد الذى أحببته في الدنيا .

أنّا : (وهى تنظر في عينيه في ثبات) أقسم على هذا !

بيرك : وأنك منذ هذا اليوم ستتوبين عن كل رذيلة ارتكبتها في الماضى ولن تعودى إليها أبدا بعد ذلك

أنّا : (بتأكيد) اقسم على هذا ! اقسم بالله على هذا !

بيرك : وليصب الله لعنته الرهيبة اذا كان ماتقولينه كذبــا . قولى هذا الآن !

أنّا : وليصب الله لعنته الرهيبة على اذا كان ما أقوله كذبا !

بيرك : (بتنهيدة هائلة) أوه ، المجد لله ، انى صدقتك الآن (يتناول الصليب من يدها ، وقد تهلل وجهه بالبشر ثم يعيده الى جيبه . يحيطها بذراعه ويهم بتقبيلها ولكنه يتوقف فجأة وقد أفزعه شك فظيع) .

أنّا : (فزعة) ما الذى دهــاك ؟

بيرك : (وهو يسألها بطريقه مفاجئة فظة) أأنت كاثوليكيه ؟

أنّا : (في ارتباك) لا . . ولم هذا السؤال ؟

بيرك : (وقد شعر بحيرة وتطــير) أوه ؟ عونك يارب ! (بنظرة شك مبهمة سريعة) ان هذه خدعة من خدع الشيطان ، ان تحلفى القسم على صليب الكاثوليــك ، وأنت واحدة من المذاهب الأخرى .

أنّا : (في ذهول) أوه ، يامات ، الا تصدقنى ؟

بيرك : (في شقاء) اذا لم تكونى كاثوليكية . . .

أنّا : انى لا انتمى الى اى مذهب . ثم ما الفرق ؟ الم تسمعنى احلف ؟ .

بيرك : (بعاطفة) ان لى الحق في أن أبتعد عنك . . ولكــنى لا استطيع . انى أحبك رغم كل هذا ، وأريــد ان

اكون معك ، سامحني يارب ، مهما يكون حـــالك .
سأجن اذا لم تكونى لى! سأقتل الدنيا . . . (يحتضها بذراعيه ويقبلها بعنف) .

أنّا : (وهى تلهث من الفرح) مات !

بيرك : (يبعدها عنه ويحدق في عينها كما لو أنه يسبر غـــور نفسها . . ثم بهدوء) وحتى ولو كان قسمك باطـــلا فانني سوف أتمسك بما قُلت ، وتكونين لى ، على أية حال . انني أعتقد . . . انني في حاجة ماسه اليك !

أنّا : (وقد تألمت . . ثم مؤنبة) مات ! لقد أقسمت ،أليس كذلك ؟

بيرك : (في تحد ، كما لو أنه يتحدى القدر) قسم او غـــير قسم ، هذا لايهم . سنتزوج في الصباح ، بعون الله ، (في تحد أكثر) سنكون سعداء الآن ، نحن الاثنان. رغم الشيطان !

(يضمها الى صدره بشدة ويقبلها ثانية . يفتح الباب جهة اليسار ويبدو كريس في المدخل . يقف وهو يبربش فيهما . لأول وهلة تبدو في عينيه كراهية بيرك بطريقة غريزية . ثم نظرة استسلام وراحة . ثم يشرق وجهه بخاطر سعيد ، مفاجيء . ثم يعود الى غرفة النوم . . ويظهرمن جديد وقدح البيرة في يده . . . وهو يبتسم ابتسامة عريضة)

كريس : بالله ، فلنشرب نخب هذا (ينفصل كل عن الآخـــر ، وهما يصيحان في فزع) .

بيرك : (منفجرا) قاتلك الله ! (يخطو نحو كريس مهددا).

أنّا : (في سعادة . . إلى والدها) هكذا يجب أن يكون الحديث (ضاحكة) وأقول الآن بأنه آن الأوان أن يقبل كل منكما الآخر وتتصالحا . انكما ستكونان — رفيقين على السفينة لوند نددرى ، هل عرفتما ذلك ؟

بيرك : (مندهشا) رفيقان . . . هل هو . . .

كريس : (لا يقل اندهاشا) وأنا سأكون الربان .

بيرك : ياللشيطان (ثم بغضب) وهل ستعود إلى البحر وتتركها لوحدها ؟

أنّا : فعلا ، يامات . هذا هو المكان الذى ينتمي اليه ، وأنا أريده أن يذهب . وعليك أن تذهب أيضا ، فنحن في حاجة إلى المـــال (بضحكة وهي تأخذ كأسيهما) أما بقائي وحيدة ، فهذا أمر اعتادت عائلتنا عليه ،وسأعتاده أيضا (تصب لهما الشراب) سأهيىء بيتـــا صغيرا ، وسيكون مأوى لكما عندما تعودان من البحر . . . انتظرا وستريان ما أفعل . والآن اشربا وكونا صديقين.

بيرك : (في سعادة . . ولكنه لايزال حانقا على الرجل العجوز) نعم ، بالطبع . (يلمس كأســـه بكأس كريس) في صحتك (يشرب) .

كريس : (وقد غلب على أمره . . وفي وجهه حزن) في صحتك. (يشرب) .

بيرك : (إلى أنّا ، وهو يغمز بعينيه) لن تكوني وحيدة لفترة طويلة ، سأحاول ذلك بعون الله . أؤكد لك أنه سيكون لوالدك حفيد يركب على رجليه !

أنّا : (تلتفت بعيدا في حرج) كُفَّا عن المزاح ، الآن .

(تلتقط حقيبتها وتدخل في الغرفة جهة اليسار . حالما تذهب يعود بيرك إلى حالة من التفكير الكئيب . يحملق كريس في البيرة وهو شارد الذهن . يلتفت اليه آخر الأمر) .

بيرك : هل أنتما على دين . . مهما كان . . . أنت وابنتك وأنّا ؟

كريس : (مستغربا) نعم . نحن كنا من أتباع لوثر في بلدنا .

بيرك : (فزعا) من أتباع لوثر ؟ (ثم في استسلام قاتم ثم يحدث نفسه بصوت مرتفع) ويل لى ، إذن ، ياه ، وما الفرق ؟ انها إرادة الله ، على كل حال !

كريس : (مهموما بما يدور في ذهنه من خواطر . . ثم يتحدث بصوت فيه تطير عندما تعود أنّا من جهة اليسار (انه بصوت فيه تطير عندما تعود أنّا من جهة النيسار) انه لأمر غريب . أمر غيب ، فعلا . . . . أن نبحر سويا على نفس الباخرة بهذه الطريقة . إنه أمر غير مناسب . لا أدرى . . انها الطريقة الغريبة التي يسير عليها البحر ، ذلك الشيطان العجوز وحيلة القذرة ، نعم . ان الأمر كذلك . (يقف ثم يعود فاتحا الباب ويحملق في الظلام) .

بيرك : (يومىء برأسه موافقا في حزن . . . وقد أطلق تنهيدة كبيرة (أخشى أن تكون مصيبا هذه المرة ؟ . . . فليأخذك الشيطان .

أنّا : (تتكلف الضحك (يا إلهي ، أنت لاتوافق على رأيه ، أليس كذلك ، ياماث ؟) تتقدم وتضع ذراعها على كتفه . . بفرح لا يتزعزع) على فكرة ، ما هي الحكاية ؟ اطردا الهم . لقد سويت الآن كل الأمور ، بالنسبة لى ولك وله ؟ (تصب بيرة في كأســه . . ثم تملأ كأسا لها . . ثم تضربه على ظهره) تعال ! لنشرب نخب البحر ، مهما كانت الأحوال . كن مــرحا ولنشرب نخب هذا ! تعال !) تشرب كأسها مــرة واحدة . يطرد بيرك أوهامه وتطيره بهــزة تحــد من رأســه ، ثم يبتسم لها ويشرب نخبها) .

كريس : (ينظر في ظلام الليل . . وقد غرق في أفكاره الكئيبة . . ثم يهــز رأســه ويتمتم) ضباب ، في ضباب ، في ضباب ، طوال هذا الوقت اللعين . أنت لاترى طريقك . . . لاترى . إنه فقط البحر ، ذلك الشيطان العجوز . . . . الذى يعرف .

(يحملق الاثنان فيه . وتأتي من الميناء أصوات صافرات البواخر وكأنه نواح حزين مكتوم) .

« يســدل الســتار »

فهرست

ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١	مانويل جاليتش	سمك عسير الهضم
٢	جان آنوى	القبّرة (جان دارك)
٣	هال بورتر	البرج
٤	تساو يو	عاصفة الرعد
٥	هارولد بنتر	١ ـ الخادم الاخرس ٢ ـ التشكيلة او عرض الازياء
٦	جون وبستر	الشيطانة البيضاء
٧	تيرانس راتيجان	الاسكندر المقدوني او قصة مغامرة
٨	تييرى مونييه	سباق الموت
٩	جون مورتيمر	استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠	فريدريش دورنيمات	النيزك
١١	يونسكو ـ اداموف ـ ارابال ـ البى	دراما اللامعقول
$\frac{١٢}{١}$	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ١ ١ ـ مس جوليا ٢ ـ الآب
١٣	نيقوس كازنتزاكى	عطيل يعود
١٤	بيتر فايس	انشودة انجولا
١٥	اوليفر جولد سميث	تواضعت فظفرت
$\frac{١٦}{١}$	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ١ ● مدرسة الزوجات ● نقد مدرسة الزوجات ● ارتجالية فرساى
١٧	دوجلاس ستيوارت	عسكر ولصوص او نيد كيللى
١٨	وليم شكسبير	العين بالعين
$\frac{١٩}{٢}$	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٢ الطريق الى دمشق ـ ثلاثية

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٠	رومان رولان	١٤ يوليو
٢١	انجس ويلسون	شجرة التوت
٢٢	تيرانس راتيجان	روس او لورانس العرب
٢٢	كارون دى بومارشيه	حلاق اشبيلية
٢٤	وليم شكسبير	هاملت
٢٥	نويل كوارد	الحياة الشخصية
٢٦	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ١ نساء تراخيس
٢٧	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ١ ١ ـ رجل الله ٢ ـ القلوب النهمة
٢٨	انريكى خارديل بونثلا	ليلة ساهرة من ليالى الربيع
٢٩	اوجست ستراندبرج	(من الاعمال المختارة) ستراندبرج ـ ٣ ١ ـ الاقوى ٢ ـ الرباط ٣ ـ الجرائم انواع ٤ ـ موسيقى الشبح
٣٠	بيتر شافر	اصطياد الشمس
٣١	جورج شحادة	(من الاعمعمال المختارة) جورج شحادة ـ ١ ١ ـ حكاية فاسكو ٢ ـ السيد بوبل
٣٢	هـ . و . فيرمان	انتصار حورس
٣٣	جورج برنارد شو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ـ ١ ١ ـ بيوت الارامل ٢ ـ العابث
٣٤	فرناندو ارابال	ثلاث مسرحيات طليعية ١ ـ قرافة السيارات ٢ ـ فاندو وليز ٣ ـ الشجرة المقدسة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٣٥/٢	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٢
		١ ـ اوديب الملك
		٢ ـ اوديب فى كولون
		٣ ـ اليكترا
٣٦/١	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ١
		١ ـ اليكترا
		٢ ـ لن تقع حرب طروادة
٣٧/١	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ١
		١ ـ المغنية الصلعاء
		٢ ـ العرس
		٣ ـ جاك او الامتثال
		٤ ـ المستقبل فى البيض
		٥ ـ الكراسى
٣٨	كوبر ـ لشيرشل ـ شارب ـ بيرمانج	مسرحيات الناعية
٣٩/٢	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ٢
		١ ـ روما لم تعد فى روما
		٢ ـ المحراب المضىء او (مصباح النعش)
٤٠	انطون تشيخوف	١ ـ شيطان الغابة
		٢ ـ الخال فانيا
٤١/٢	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ٢
		١ ـ مهاجر بريسبان
		٢ ـ البنفسج
٤٢/١	لويجي بيرندلو	(من الاعمال المختارة) لويجي بيرندلو ـ ١
		١ ـ ديانا والمثال
		٢ ـ الحياة عطاء
		٣ ـ لذة الامانة
٤٣	جيمس جويس	١ ـ ستيفن « د »
		٢ ـ منفيون

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٤٤/٤	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٤ ١ ـ الفرماء ٢ ـ الأميرة البيضاء ٣ ـ عيد الفصح
٤٥/٣	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٣ ١ ـ انتيجونة ٢ ـ اجاكس ٣ ـ فيلوكتيت
٤٦/٢	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ٢ ١ ـ سدوم وعمورة ٢ ـ مجنونة شايو
٤٧/٢	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٢ ١ ـ ضحايا الواجب ٢ ـ مرتجلة الما ٣ ـ سفاح بلا كراء
٤٨/٢	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ٢ ١ ـ طريق القمة ٢ ـ العالم المكسور
٤٩	البى ـ شيزجال	١ ـ الحلم الامريكي ٢ ـ الطابعان على الآلة
٥٠	ارمان سالاكرو	الارض كروية
٥١/٢	جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ـ ٢ ١ ـ السلاح والانسان ٢ ـ كانديدا ٣ ـ رجل المقادير
٥٢/٢	هارولد بنتر	الحارس
٥٣	مارتينيس دى لاروزا	ابن امية او ثورة الموريسكيين

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٥٤	وليم شكسبير	مأساة كريولانس
٥٥	انطونيو بويرو باييخو	القصة المزدوجة للدكتور بالى
٥٦	يوربيديس	● الكترا ● أورستيس
٥٧	فيكتور هيجو	هرنانى
٥٨	ليو تولستوى	المستنيرون
٥٩/٢	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير — ٢ ١ — سجاناريل ٢ — المتحذلقات المضحكات ٣ — مدرسة الأزواج ٤ — الطبيب الطائر ٥ — غيرة الباربوييه
٦٠	روبرت شيروود	الطريق الى روما
٦١	فيليب بارى	١ — المهرجون ٢ — قصة فيلادلفيا
٦٢	ماكس فريش	قصة حياة
٦٣	جون جى	أوبرا الصعلوك
٦٤	دنيس ديدرو	الابن الطبيعى
٦٥/٥	اوجست ستريندبرج	(من الاعمال المختارة) ستريندبرج — ٥ ١ — رقصة الموت ٢ — الطريق الكبير
٦٦	وليم ساروريان	١ — أيام العمر ٢ — سكان الكهف
٦٧	اندريه شديد	١ — العارض ٢ — بيرينيس المصرية

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٦٨/٢	لويجي بيرندلو	(من الاعمال المختارة) بيرندلو ــ ٢ ١ ــ المعصرة ٢ ــ اداء الادوار ٣ ــ ابو زهرة بفمه
٦٩	البير كامى	حالة طوارىء
٧٠/١	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ــ ١ ١ ــ حياة جاليليو ٢ ــ طبول فى الليل
٧١	جراهام جرين	غرفة المعيشة
٧٢/٣	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ــ ٣ ١ ــ المستاجر الجديد ٢ ــ اللوحة ٣ ــ الخرتيت
٧٣/٣	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ــ ٣ ١ ــ السفر ٢ ــ سهرة الامثال
٧٤	ثورنتون وايلدر	تجوننا باعجوبة
٧٥/٣	جورج برنارد شو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ــ ٣ ١ ــ تلميذ الشيطان ٢ ــ هداية القبطان براسباوند
٧٦	وليم شكسبير	● الملك لير
٧٧	وول شوينكا	● الطريق
٧٨	الكسى اربوزف	● عزيزى مارات المسكين
٧٩	هوجو فون هوفمانزتال	● زفاف زبيدة
٨٠/١	جون آردن	(من الاعمال المختارة) جون آردن ــ ١ ١ ــ مياه بابل ٢ ــ رقصة العريف

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٨١	رومان رولان	روبسبيير
٨٢	سينيكا	● اوديب
٨٣/١	يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل ـ ١ ١ ـ ظمأ ٢ ـ عبودية ٣ ـ ضباب ٤ ـ مبحرون شرقا الى كارديف ٥ ـ فى المنطقة ٦ ـ بدر على البحر الكاريبي
٨٤	جان كوكتو	١ ـ فرسان المائدة المستديرة ٢ ـ الآباء الاشقياء
٨٥	تيرانس راتيجان	١ ـ تعلم الفرنسية بلا دموع ٢ ـ الممر المضيء
٨٦	فيديريكو غرسيا لوركا	● العرس الدموى
٨٧	كالدرون دي لاباركا	● الحياة حلم
٨٨	وليم شكسبير	● يوليوس قيصر
٨٩	يوربيديس	١ ـ الفينيقيات ٢ ـ المستجيرات
٩٠	الكسندر استروفسكى	● لكل عالم هفوة
٩١/١	جون ميلنجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جونميلنجتون سنج ـ ١ ١ ـ ظل الوادي ٢ ـ الراكبون الى البحر ٣ ـ زفاف السمكري ٤ ـ بئر القديسين

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحيـة
٩٢/٢	جون ميلنجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج ــ ٢ ١ ــ فتى الغرب المدلل ٢ ــ ديردرا فتاة الاحزان ٣ ــ عندما غاب القمر
٩٣	آرثر ميللر	١ ــ كلهم ابنائى ٢ ــ الثمن
٩٤/٢	برتولت برتشت	(من الاعمال المختارة) برتولت بريشت ــ ٢ ١ ــ اوبرا القروش الثلاثة ٢ ــ لوكلوس ٣ ــ بعـل
٩٥	وليم شكسبير	تيمون الاثينى
٩٦	كارلو جولدونى	خادم سيدين
٩٧	اوجين لابيش	رحلة السيد بريشون
٩٨/٤	يوجين يونسكو	(من الأعمال المختارة) يوجين يونسكو ــ ٤ ● فتاة في سن الزواج ● مشاجرة رباعية ● تخريف ثنائى ● الثغرة ● لعبة الموت
٩٩/٣	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) لويجي بيرندلو ــ ٣ ١ ــ ست شخصيات تبحث عن مؤلف ٢ ــ كل شيخ له طريقة ٣ ــ الليلة نرتجل
١٠٠/١	تشيكا ماتسو	(من الاعمال المختارة) تشيكا ماتسو ــ ١ ١ ــ انتحار الحبيبين فى سونيزاكى ٢ ــ معارك كوكستينجا
١٠١/٢	يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل ــ ٢ ١ ــ وراء الافق ٢ ــ انا كريستى

الثمن

البلد	الثمن	البلد	الثمن	البلد	الثمن
الكويت	١٥٠ فلسا	ليبيا	١٥ قرشا	مسقط	١٥٠ بيزة
السعودية	٢ ريال	المغرب	٢ درهم	اليمن الجنوبية	[illegible]
العراق	١٥٠ فلسا	تونس	٢٠٠ مليم	اليمن الشمالية	٢ ريال
الاردن	١٥٠ فلسا	الجزائر	٢ دينار	البحرين	[illegible]
سوريا	١,٥ ليرة	القاهرة	١٥٠ مليما	الخليج العربي	٢ ريال
لبنان	١,٥ ليرة	السودان	١٥٠ مليما		

فى العـدد القـادم

مـن الاعمال المختارة **جون آردن ـ ٢**

فى هذا العدد نقدم المجلد الثاني والاخير من اعمال جـون آردن المسرحية ويضم مسرحيتين هما :

١ ـ الحرية المغلولة : مسرحية تاريخية يحاول فيها آردن أن ينفث روحا جديدة فى قصة قديمة « لملك وغد اضطر للرضوخ لمطالب باروناته الاوغاد » . تدور فكرة المسرحية الرئيسية حول وثيقة الحقوق العظمى التي أكره النبلاء الملك جون على اقرارها واعتمادها فى رينميد فى ١٩ يونيو ١٢١٥ ، ولكـن آردن لا يلقى بثقله كله على فكرة الحرية وحقوق الانسان بل ينصب اهتمامـه على فشل هذا الميثاق بعد اعلانه . فالميثاق « حبر على ورق » مالم تترسخ بنوده فىأذهان الطرفين ـ الملك والبارونات . ولهذا يعتمد البناء المسرحي هنا على حقائق تاريخية ثابتة بالاضـافة الى آراء اجتهادية لا يساندها التاريخ . قام آردن بتأليفالمسرحية بتكليف من بلدية مدينة لندن بمناسبة الاحتفالات بمرور ٧٥٠ سنة على توقيع « الماجنا كارتا » .

٢ ـ صعود البطـل : هى قصة أمير البحار نلسون ، أعظم قائد بحرى فى تاريخ بريطانيا ، هي ملحمة تزخر بالمتناقضات فى هذه الشخصية الفذة ، اشترك فى نسج مشاهدها جون آردن مع مرجريتا دارسى ليقدما لنا استحضارا لروح نلسون وروح « ملاكه الحارس » ، عشيقته ، ايما هاملتون . لقد كرمته أمته لانه كان عبقريا فى تحطيمأساطيل أعدائها ، ولكنها أغمضت عينيها عن حياته الشخصية وعلاقته بعشيقته . كان فى نظر مواطنيـه بطلا لانهم كانوا فى حاجة اليه لينتشلهم مما كانوا فيه من محن : « كنا في حاجة اليه ، » قالوا ، « وأنجز ما طلبنا . » ربما كان ، كما أطلق عليه الايرلنديون « الاعور الفاسق » ولكنه كان رجـلا استغلته انجلترا فى « قتل الناس » أحسن استغلال ثم اعدوا له نصبا ، بعد مقتله ، يتسنمه تمثاله فى ميدان الطرف الأغر .

فى هذا العدد

من الاعمال المختارة **يوجين اونيل ـ ٢**

فى هذا المجلد الثاني من أعمال أونيل نصل الى « مرحلة الواقعية الأولى » بعد مرحلة التلمذة (عدد ١/٨٣) وفيه يقدم لنا نفس المترجم دكتور عبد الله متولى ، مسرحيتين ، حازت الأولى على جائزة بوليتزز لأحسن مسرحية عرضت فى عام ١٩٢٠ والثانية على نفس الجائزة عام ١٩٢٢ .

وراء الأفق توحى من عنوانها بوجود عالمين مختلفين لكل منهما شخصية ترمز اليه :

اندرو الفلاح الذى يرتبط بالأرض كما تنتمى سنبلة القمح الى الحقل وروبرت يحلم بما وراء الأفق ، بعالم الشعر والخيال والأحلام . ولكن ما الذى يكمن وراء الأفق ؟ الثروة ؟ التحرر ؟ أم اكتشاف المجهول ؟ أم الموت ؟ على المستوى الرمزى قد يرمز العنوان « **وراء الأفق** » الى الجنة وقد تكون المسرحية صورة مصغرة لقصة آدم وحواء .

أنّا كريستي تترسم خطوات الفكرة الرئيسية فى **وراء الأفق** فالبحر هو بطل المسرحية ، ذلك الغول . وكما يهز ايهاب فى قصة ميلفيل قبضة يده متحديا الحوت الأبيض ، نرى كريس هنا يرى نفسه وابنته : « انها ليست غلطة أحد ... انه البحر ذلك ا العجوز فالبحر فى المسرحية قوة جهنمية تستخدم ألاعيب كالضباب إلا أنه من وجهة نظر « بيرك » حلبة تمتحن فيها الرجال . والبحر عند أنّا هو المطهر ، وحياة البحر هي ا « انها تشعرني ... كما لو أني أخذت حماما . » ماهو س اذن ؟ يقول لنا كريس : « لاندرى ... فقط ذلك الشيطان ا البحر يعرف ـ يعرف » .



ان من أهم ما تتميز به هاتان المسرحيتان هو الاختلاف بين « الشخصية المأساوية » الحديثة وبين الشخصيات المأ الكلاسيكية التى تتبع القواعد الارسطية .